هديتك مع العدد
براعم الإيمان



العدد ٣٧٩ - ربيع الأول ١٤١٨هـ - يوليو / اغسطس ١٩٩٧م

مفهوم التنمية بين الإسلام والفكر الوضعي

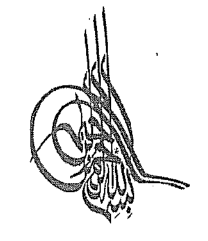
الاتجاه الإسلامي في تفسير السلوك الإجرامي

إشكالية تاريخ بداية الاستشراق



في ندوة صناعة الخدمات المالية الإسلامية:

المال الإسلامي يتجه نحو العالمية باستخدام موارده وتحقيق التنمية الإسلامية



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٧٩ – السنة الثانية والثلاثون
ربيع الاول ١٤١٨هـ - يوليو / اغسطس ١٩٩٧م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

سكرتير التحرير
تمام أحمد
TAMMAM AHMD

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هاتف:

٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر

كلمة العدد

طريق النجاة

يعيش عالم اليوم في فوضى أخلاقية لا متناهية تكاد تهوي به وتدمره بالرغم من حضارته وتقدمه العلمي والتكنولوجي، والكارثة أن معدلات الجريمة ـــ على اختلاف أنواعها وانحرافات الأحداث السلوكية ـ في ازدياد مطرد وبأساليب غير مألوفة أو مسبوقة

إن الدراسات والأبحاث والنظريات التربوية لم تستطع أن تخلق ـ على الأقل ـــ جيلا يحتفظ بإنسانيته وكرامته ولا يمتهنها. كما أن الخواء الروحي والانحطاط الأخلاقي الذي يخيم على البشرية اليوم هو بمثابة القنبلة الموقوتة التي ستزلزل كيانه وتحطم أركانه، وهي بلا شك تفوق في تدميرها أحدث ما صنع الإنسان من وسائل الخراب والدمار.

قال الله عز وجل: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم / ٤١).

ولابد أن يدرك العالم ـ شرقه وغربه ـ أن النجاة من هذه الكارثة لن تكون إلا بالرجوع والخضوع والعبودية لله الواحد القهار، واتباع دينه ـــ دين الفطرة السوية ـ قال تعالى: (ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (الأعراف / ٩٦).

الوعي الاسلامي

الاشتراكات

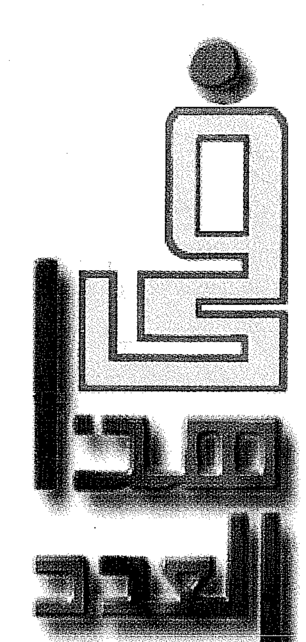
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)

* ترسل قيمة الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الأخرى دولاران او ما يعادلهما

مطابع السياسة ـ الكويت





المسلمون أمة مبعوثة

إن سبيلنا لاسترجاع العزة والكرامة والمجد والمكانة أن نستجيب لأمر الله عز وجل، وأن نحقق في أنفسنا وفي أمتنا ومجتمعاتنا شروط الله عز وجل للاستخلاف والتمكين والأمن، وأن وعد الله حق ولكنه وعد مشروط أن نعبد الله وحده مخلصين له الدين وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأن نستمسك بسنة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

١٢

الإسلام بعد الحرب الباردة

إن ظاهرة الإحياء الإسلامي في الشرق الأوسط لا تعبر عن عداء الغرب وأمريكا، بقدر ما تعبر عن فشل الأيديولوجيات الغربية السياسية والاقتصادية بما فيها الشيوعية والقومية والاشتراكية في حل مشاكل الشرق الأوسط.

٢٣

الإسلام والغرب: رؤية مستقبلية جديدة

إذا أردنا أن نفهم المواقف الغربية الراهنة إزاء الإسلام، فلابد لنا من التعرف على المنابع الأساسية التي يستقي منها الغرب تصوراته عن الإسلام.

٧٩

لنتعاون معا على التخطيط المالي للأسرة

إن النساء ليفخرن على مر الزمان بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التجأ ــ بعد أن أوحي إليه ــ إلى زوجته... فكانت أول من علمت بأمر الوحي... وكانت أول من صدقت وآمنت وأيدت ونصرت.

٧٤

اقرأ في الأعداد القادمة

- نحو وعي إسلامي يتصدى للغزو الثقافي
عبدالرحمن شيخ حمادي
- تعريف الشورى ودليل مشروعيتها
د. أمل القادري
- الاستنساخ البشري
د. أحمد الحجي الكردي
- الإبداع القصصي في القرآن الكريم
ناصر مصطفى مرسي
- الطفولة في ضوء المنهج القرآني
علال البوزيدي
- الإعلان من منظور إسلامي
محمد السلمان



مفتي تشاد الدكتور / حسين أكبر:
احتجاز الأسرى مرفوض ديناً وإنسانية وأخلاقاً.
حوار: د. عماد الدين عثمان

البيروني أعظم عقلية معرفية عرفها التاريخ

البيروني واحد من الذين حفل بهم التاريخ في فترات متفاوتة وأحد العلماء العظام الذين ملأوا سمع الدنيا بأعمالهم المجيدة واكتشافاتهم العظيمة، وابتكاراتهم الرفيعة والتي صارت من الأعمدة التي يقوم عليها العلم في العصر الحديث.

٣٧

السفارة والسفراء في الإسلام

يدل تاريخ السفراء في الإسلام على أنهم كانوا صفوة أبناء مجتمعهم علما وخلقا وخبرة، إذ كانوا يختارون من بين الشخصيات البارزة في الدولة ذات المنزلة العامرة والمشهورة بالعلم والخلق، مما يجعلهم أهلا لما يعهد به الخلفاء والسلاطين إليهم من أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم.

٦٧

مفهوم التنمية بين الإسلام والفكر الوضعي

التنمية في الإسلام غايتها الإنسان نفسه، وأنها تنمية إيمانية تربط بين التقوى والإنفاق في سبيل الله، كما أنها تنمية شاملة متوازنة، لا تنفرد بها طائفة دون أخرى، فهي تكفل عدالة التوزيع لكل أفراد الأمة، مع ضمان حد الكفاية للحياة الآمنة، وبذلك يتجه المجتمع بكل أفراده إلى العمل وزيادة الإنتاج.



تطبيق شريعة الله

شريعتنا الإسلامية شريعة الخلود، ترتبط بالقرآن الكريم الذي تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه، وهي تتضمن الأحكام الإلهية، ولا يجوز لأحد أن يعرض عن أحكام الله، والذين يعرضون عن أحكام الله جاء ذمهم في القرآن الكريم، كما جاء فيه مدح الخاضعين لهذه الأحكام إيمانا وتصديقا واحتسابا.



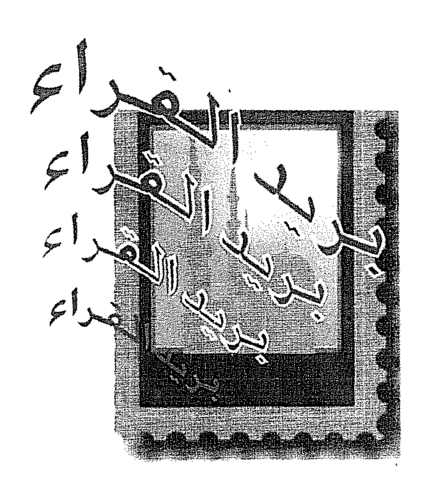


التفكير في لغة القرآن

عقدت في القاهرة ندوة حول: «التعريب ضرورة حضارية»، شارك فيها نخبة من العلماء واللغويين، تحول فيها الحديث إلى التفكير والهوية وصلتهما باللغة، وأن التفكير في اللغة العربية هو الباب الصحيح الذي يؤدي إلى حفظ الهوية وصيانة الذات الخاصة.

٤٠

الفهرس



قراؤنا في قلوبنا

كلمة شكر واعتزاز لقرائنا الأحباب لما يبذلونه من جهد في قراءة مجلتهم «الوعي الإسلامي» والاهتمام بما فيها ومخاطبتنا بوجهة نظرهم لكل جديد يودون إضافته إليها وإبداء ملاحظاتهم على موضوعاتها، فقد لمسنا ذلك من خلال كم الرسائل الهائل الذي يصلنا بأعداد كبيرة تجمع بين الإشادة والإرشاد إلى جانب المطالبات الأخرى المتعددة.
ونحن بدورنا نفسح صدورنا لقرائنا الأحباب، ونحاول جاهدين تلبية طلباتهم فيما يخص المجلة وموضوعاتها، وتحويل الباقي من الرسائل إلى جهات الاختصاص لإبداء رأيها واتخاذ ما يلزم فيها حسب كل طلب على حدة، ونؤكد لقرائنا الأعزاء أن بريد القراء يرد على الرسائل حسب أولوية الوصول باستثناء الطروحات الضرورية أو المناسبات.
كما أننا نوجه عنايتهم إلى أن باب بريد القراء لا يهمل بدوره أية رسالة تصله من الرسائل حتى لا يشك البعض في أن هناك تجاهلاً لرسائلهم المرسلة من قِبَلِ المجلة، ولكن مساحة الباب وأولوية الوصول أساسا التحكم في ذلك.

أسرة التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

منزلة بيت المقدس

لأرض بيت المقدس منزلة عظيمة في قلوب المسلمين، فهي الأرض التي كانت موطن نبي الله إبراهيم «عليه السلام» ومعراج نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، وهي القبلة التي صلى إليها المسلمون الأول في بداية الإسلام، وهي مقر الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومهبط الوحي، وهي الأرض المقدسة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم على لسان سيدنا موسى عليه السلام، (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) المائدة ـ ٢١.
وهي الأرض التي كان إليها مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) الإسراء ـ ١.
وهي أرض ثالث الحرمين التي لا تشد الرحال ـ بعد المسجدين ـ إلا إليها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» رواه البخاري ومسلم.
وهذه المنزلة العظيمة تحمل المسلمين مسؤولية تحرير بيت المقدس والحفاظ عليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» أخرجه الإمام أحمد في مسنده.
فالأقصى والقدس أمانة ومن واجب كل مسلم أن يصون ويدافع عن هذه الأمانة وألا يفرط فيها مهما بلغت التضحيات فالحق لابد أن يعود لأهله طال الزمن أم قصر.
نسأل الله العلي القدير أن يوفق المسلمين إلى التمسك بالحق والدفاع عنه وأن يكونوا حُماته لا يهابون الباطل وسطوته، وأن يجعل الدائرة على أعدائهم أعداء الدين وأن يجعل الغلبة والنصر للمسلمين إنه نعم المولى ونعم النصير.
(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

مهندس / محمود محمد فودة ـ مصر

الصحافة... ما لها وما عليها

لوحظ في الآونة الأخيرة ازدياد مساحة أخبار الحوادث التي تفردها صفحات جرائدنا العربية والإسلامية على السواء، بل لوحظ أيضاً ظهور جرائد بعينها تختص بنشر تلك الأحداث وإفراد سيناريوهات الجرائم المختلفة، بما فيها خصوصيات الأسر والعائلات، ضاربة بحرمات المنازل والأعراض عرض الحائط، ومعتبرة تلك الجرائم نوعا من السبق الصحفي، وما هو بذلك لأن السبق الصحفي أسمى وأنبل من أن يخوض في أعراض الناس وخصوصياتهم.

ولكن ما نود الحديث عنه هو خطورة تلك المسارات الوافدة والدخيلة للصحافة على المجتمع الإسلامي ورقيه، فمما لا شك فيه أن استمرار نشر تفاصيل الجريمة، خاصة الشاذة منها، يوحي إلى القلوب البعيدة عن مسارات الجريمة أن جو المجتمع العام كله جو ملوث، وأن الجريمة فيه متفشية، ومع استمرار النشر ومرور الوقت تصبح هذه القلوب قاب قوسين من الجريمة، والخطوة التالية هي الإقدام على اقترافها بدون شعور، نتيجة للشعور العام بأن كثيرين غيرهم يقترفونها.

إن الصحافة بهذا الأسلوب الشاذ عن تقاليدنا الإسلامية الأصيلة تساهم بطريقة غير مباشرة في تحريض الكثير من أصحاب النفوس الضعيفة على ارتكاب الفاحشة التي كانوا بعيدين عنها، والتي كانوا يعتقدون ـ في فترة ما قبل نشر تفاصيل الجريمة ـ أنها ممنوعة بشدة، ونادرة الحدوث في المجتمع.

إذن كان لابد من وقفة، حتى لا نخسر أكثر من ذلك، لابد أن نقر ونعترف أولاً بأن الأسلوب الصحفي المتبع في التعامل مع الجريمة خاطىء وغريب عن تعاليم الإسلام الذي يحرص على نظافة المجتمع وطهارته، لأن المجتمع الإسلامي لا يخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة، ولكنه يخسر بصورة فاجعة بشيوع البلوى، والتهاون حيال معالجتها بطريقة صحيحة، ويخسر المجتمع أيضا بالإعلان عنها بكل صفاقة وبلا حرج.

إنها دعوة لإصلاح الصحافة، حتى لا يخسر المجتمع الإسلامي طاقاته وأجياله.

صالح عبدالله صمصم محمد ـ مصر ـ الإسكندرية

تنويه واعتذار

أحب أن أنوه إلى خطأ غير مقصود وقع في مقالي: «الحروب الصليبية الجديدة» المنشور في العدد ٣٧٨ ـ صفر ١٤١٨هـ ص ٤٤ (العمود الأول، السطر ٤٣) حيث كتبت «أسبانيا (الأندلس الإسلامية) والصواب كالتالي: «جزر البحر الأبيض المتوسط»، وأرجو أن تتفضلوا بنشر اعتذاري للسادة القراء، حيث إنني أخطأت دون قصد وذلك لم يحدث من قبل في أي مقال نشر لي في المجلات الأخرى، لذا ألتمس أن تقبلوا اعتذاري وأرجو تبليغه للقراء بصفة أو بأخرى.... وذلك للأمانة العلمية.

ممدوح إبراهيم الطنطاوي

مساهمة

قال الشاعر الحكيم، الحكيم الشاعر:

علم العالم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي قد أحرز منهما الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا بي للرحمان عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له
بأينا الرحمن في فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيّده
وقبل العقل رأس العلم وانصرفا

أخوكم في الله
مصطفى إسماعيلي ـ المغرب

ردود خاصة

● الأخ القارىء أحمد عبدالفتاح محمد ـ مصر والقارىء كامل محمود كامل ـ ماليزيا: عنوان الجامعة الإسلامية الأمريكية كالتالي:

The American Dpen University
3400 Payne St., Suite 200
Falls Church, VA 22041 U.S.A

رقم الحساب

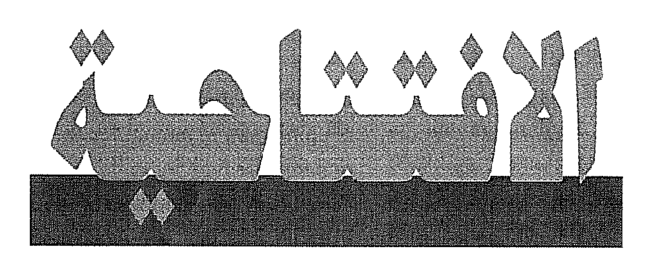
Central Fidelity National Bank
5802 Columbia Pike.
Bailey,s Crossroads,
Falls Church, VA 22041
Account 7911711855

Tel (703) 671 - 2115 * Fax (703) 671 - 2377 * e-mail: info @ open -university. edu * http: // www. open - university. edu

● الأخت القارئة أوكساناترافيكوفا ـ كييف ـ نحمد الله تعالى أن هداك للإسلام، والمجلة ترحب بأي مشاركة هادفة منك ونحن بانتظارك.

● الأخ القارىء د. عبدالصبور فاضل ـ مصر، نعتذر عن تنفيذ مطلبك الخاص بالمجلة، ولك خالص الشكر والتقدير.

● الأخت القارئة فاطمة العياش الداودي ـ المغرب عليك مراسلة الجهات الخيرية ونتمنى لك التوفيق.



السيرة النبوية ...... المعرفة والهداية

يأتي علينا شهر ربيع الأول وهو يحمل معه معاني الذكرى العطرة لمولد سيد الخلق وهادي البشرية محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسيرته معين لا ينضب، وزاد لمن أراد أن يتزود بالتقوى، ليسعد في الدنيا والآخرة، وإن من محبة المؤمنين لنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دراسة سيرته دراسة واعية، والاهتداء بهديه، والعمل بسنته، والدعاء بدعوته.

يقول ابن القيم في كتابه «زاد المعاد»: «ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر..... فما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته....»

لقد بعث الله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حين فترة من الرسل، والأرض تموج بالشرك والكفر والظلم والطغيان.

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جوراً، مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم

بعث الله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنار للأمة الطريق، وسلك بها سبيل الهداية، قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [الجمعة ـ ٢].

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ القدوة الصالحة للمسلمين على مر الأجيال، فبهداه تهتدي البشرية في كل زمان ومكان، فهو السراج المنير:

قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [الأحزاب ـ ٢١]. وقال تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا) [الأحزاب ـ ٤٥ و ٤٦].

إن الله عز وجل جعل في شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصورة الكاملة، والواضحة لمنهج الإسلام وتعاليم القرآن، لتتأثر وتقتدي به الأجيال المتعاقبة، ولا أدل على ذلك من إجابة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عندما سُئلت عن خلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: «كان خلقه القرآن».

وهذه بعض مشاهد ومواقف نقتطفها من السيرة النبوية قاصدين بها الدرس والعبرة.... والاقتداء:

* عبادته لربه صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: (يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً.) [المزمل ـ ١ ـ ٥]. وروى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ولما قيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكورا»؟

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمله ديمة، وكان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم.

وهكذا فقد تعلق قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعبادة والخضوع والخشوع لله رب العالمين، وشغف بها، فهو يقوم الليل، ويتهجد، ويبتهل إلى الله بالدعاء، وقد جعلت قرة عينه في الصلاة... وكان يقول لبلال عندما يريد إقامة الصلاة: أرحنا بها يا بلال.

* أما عن كرمه: فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

فقد روى الحافظ أبو الشيخ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: لم يسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه، وأن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما سئل رسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم ـ شيئاً قط قال: لا».

وأما عن زهـده فيقول عبدالله بن مسعود: دخلت على رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد نام على حصير، وقد أثر في جنبه الشريف، فقلت: يا رسـول الله لـو اتخذنا لك وطـاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه، فقال: «مالي وللدنيا، مـا أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

وأخرج أحمد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: إن فاطمة ـ رضي الله ـ عنها نـاولت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كسرة من خبز الشعير، فقال لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «هذا أول طعام أكله أبـوك منذ ثلاثة أيام».

وأما عن تواضعه: «فقد أجمع من عاصر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجتمع به أنـه ـ صلوات الله عليـه ـ كان يبدأ أصحابـه بالسلام، وينصرف بكليتـه إلى محدثـه صغيرا كـان أو كبيراً، وكـان آخـر من يسحب يـده إذا صـافح، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي بأصحـابـه المجلس، وكان يـذهب إلى السوق. ويحمل بضـاعته ويقـول: أنا أولى بحملهـا، ولم يتكبر عن عمل الأجير، والصـانع، سـواء كـان في بنـاء مسجـده الشريف، أو في حفر الخنـدق...... وكان يجيب دعـوة الحر، والعبد، والأمة، ويقبل عذر المعتذر. وكان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم في مهنـة أهلـه، وكـان يَعْقِل بعيره، ويأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، ويجلس على الأرض...»

وأما عن حلمه: فقـد روى الشيخان عن أنس ـ رضي الله ـ عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بـردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء.

وأما عن شجاعته: فكان لا يضاهيه أحد، حيث فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق نـاس من قِبَل صوتٍ، فتلقاهم رسـول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ وقـد سبقهم إلى ذلك الصوت، واستبرأ الخبر على فـرس عُرْيٍ لأبي طلحة، والسيف في عنقه، وهو يقول: لن تُراعُوا.

وأما عن حسن سيـاسته: «فقد كان فيها مضرب المثل للناس جميعا صغيرهم وكبيرهم، مـؤمنهم وكافرهم، عـامتهم وخاصتهم... ولقـد أوتي ـ عليه الصـلاة والسلام ـ النجاح في كل شيء، لما فُطـر عليه من أخـلاق كريمـة، وما أعطيـه من حسن السيـاسة، ووضع الأمـور في نصابها، ومن ذلك موقفه مع الأنصار بعد غزوة حنين فإنه لما أعطى رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ مـا أعطى من تلك العطايـا، في قـريش وفي قبائل العـرب، ولم يكن في الأنصار منهـا شيء، وجد هـذا الحي من الأنصـار في أنفسهم، حتى كثـرت منهم القالـة، حتى قـال قائلهم: لقي والله رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه، فدخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: يـا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قـد وَجَـدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هـذا الفيء الـذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخـرج سعد، فجمع الأنصـار في تلك الحظيرة، قال: فجـاء رجل من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هـذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحمـد الله وأثنى عليه بما هـو أهله، ثم قال: يـا معشر الأنصار: ما قـالة بلغتني عنكم، وَجِدَةٌ وجـدتموها في أنفسك؟ ألم آتِكم ضُـلالاً فهداكم اللـه، وعالة فـأغناكم اللـه، وأعداء فألف الله بين قلوبكم، قالوا: بلى، اللـه ورسوله أَمَنُّ وأفضل. ثم قال: ألا تجيبونني يـا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يـا رسول الله؟ لله ولرسوله المنُّ والفضل. قال ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ: أما والله لو شئتم لقلتم، فَلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ: أتيتنا مُكـذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطـريداً فـآويناك، وعـائلاً فآسينـاك، أوجدتـم يا معشر الأنصـار في أنفسكم في لعاعـة من الدنيـا تألفت بهاقـوما ليسلمـوا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشـاة والبعير، وترجعـوا برسـول الله إلى رحـالكم؟ فوالـذي نفس محمد بيـده لولا الهجـرة لكنت امرأ مـن الأنصار، ولو سلـك الناس شعبـاً، وسلكت الأنصار شعبـاً لسلكت شِعب الأنصـار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القـوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالـوا: رضينا برسـول الله قَسْماً وحظـا، ثم انصرف رسـول اللـه ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ وتفرقوا.

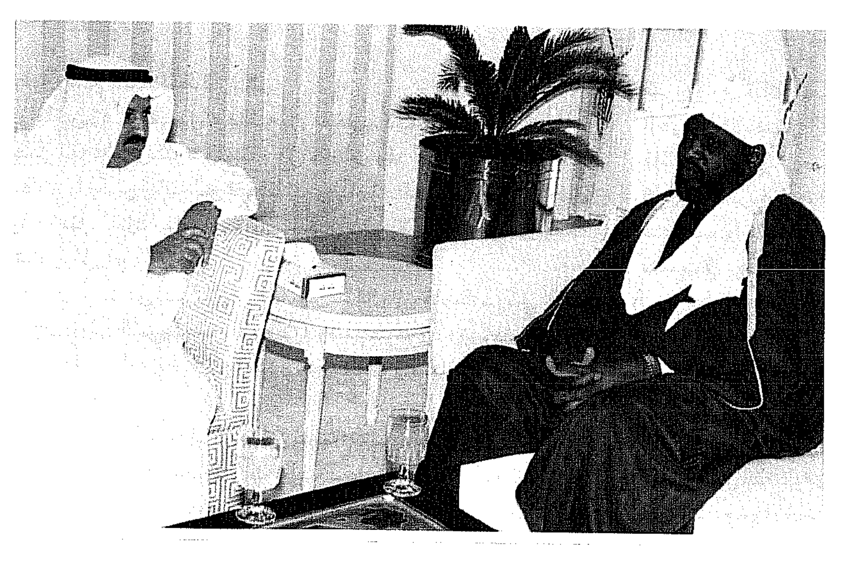
هـذه بعض المواقف نسردهـا للقارىء الكـريم ليقف على جـوانب من شخصية الرسول المؤثرة التـي بها تحيا القلوب وتسعد بها النفوس، وتتشوق إلى المستوى الأكرم.

بقيت قضيـة مهمة وهي قضيـة تدريس السيرة وعـرضهـا بأسلـوب تعليمي وتـربوي مشـوق في منـاهج التعليم، لينهل منهـا الناشئـة، محاولين الاقتداء بصـاحب السيرة العطرة، وهـذه مسؤوليـة عظيمة نسأل الله أن يـوفق القائمين على إعداد مناهج التربيـة الإسلامية إلى تيسيرها وتبسيطها لتؤتي الثمرة المرجوة.

أنشطة الوزارة

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التشادي شكر دولة الكويت حكومة وشعباً في اثناء زيارته

إعداد:
أحمد فرغلي



بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قام الدكتور حسين أبكر- رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ورئيس أمناء جامعة الملك فيصل في تشاد بزيارة رسمية إلى دولة الكويت.

واجتمع الدكتور أبكر خلال زيارته مع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ضيف الله شرار وبحث معه سبل دعم التعاون بين دولة الكويت وجمهورية تشاد في المجالات الإسلامية.

وصرح الدكتور أبكر للوعي الإسلامي: انني زرت الكويت للمرة الثالثة وكنت قبل هذه الزيارات أسمع من المسؤولين في تشاد ان الكويت بلد الخير والعطاء وأنها وقفت كثيرا إلى جانب اخوانها في تشاد في العديد من المواقف.

وأضاف الدكتور أبكر: انني لمست ذلك بنفسي خلال زياراتي الثلاث وعرفت ان الكويت أميرا وحكومة وشعبا ومؤسسات يحبون الخير ويبذلون الكثير من الجهد والوقت والمال لإعلاء راية الإسلام في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي.

وقال الدكتور أبكر:
إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دعمت احتياجات اخوانهم المسلمين في تشاد في المجالات الإسلامية لعل آخرها تزويد مكتبة الملك فيصل في تشاد بمكتبة متكاملة لأن طلاب الجامعة البالغ عددهم ٤ آلاف طالب وطالبة في أمس الحاجة الى مثل هذه المكتبة.

وكرر الدكتور أبكر شكره لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والهيئات والمؤسسات الخيرية على استجابتهم لمطالب اخوانهم المسلمين في تشاد.

الأوقاف تنهي مشكلة خرير أسقف المساجد

أنهى قطاع المساجد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المراحل النهائية لعلاج مشكلة خرير الماء في أسقف المساجد والتي تم تنفيذها برعاية الصندوق الوقفي للمساجد، وقد اقامت الوزارة حفل تكريم لفريق العمل الذي قاده مراقب الشؤون الفنية عبد الله شهاب، حضر حفل التكريم الوكيل المساعد للعلاقات الإسلامية الخارجية ورئيس قطاع المساجد بالنيابة بدر ناصر المطيري حيث أبلغ فريق العمل شكر وزير الأوقاف ووكيل الوزارة على الجهود التي بذلوها لعلاج هذه المشكلة.

وقال في كلمة له: ان مثل هذه الحلول الجذرية سيعود أثرها المبارك على جميع مساجد الوزارة بالنفع والخير. وهناك فرق أخرى تعمل على حل جميع مشاكل الصيانة بإذن الله.

ودعا المطيري الجميع إلى الاستفادة من جميع الفرق الفنية التي يعود أثرها الواضح على العاملين في المساجد. والعمل على البذل والعطاء لخدمة بيوت الله التي شرّفنا الله برعايتها وصيانتها والحفاظ على جميع مرافقها وسلامتها.

وقد قام الوكيل المساعد بدر المطيري ومدير التنسيق في المساجد خالد الشعيب بتوزيع الشهادات والجوائز التقديرية على فريق العمل.

الأوقاف تكرّم حفظة القرآن في السجن المركزي

أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حفل تكريم لنزلاء السجن المركزي الفائزين في مسابقة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتي تنظمها إدارة الثقافة الإسلامية- مكتب التوعية والارشاد - في الوزارة بالتعاون مع إدارة المؤسسات العقابية في وزارة الداخلية.

وحضر الاحتفال الوكيل المساعد للثقافة الاسلامية عبد العزيز البدر القناعي ونائب مدير إدارة المؤسسات العقابية العقيد داوود القناعي، ومدير ادار الإعلام الديني في الوزارة خالد ساير العتيبي، وألقى ياسر الضويحي كلمة الوزارة والتي جاء فيها ان التعاون بين وزارة الأوقاف والإدارة العامة لتنفيذ الأحكام والسجون العامة من شأنه تهيئة النفوس إلى الخير واعدادها من جديد لتكون عنصرا فعالا وإيجابيا في المجتمع، ومن ثم سعت وزارة الأوقاف إلى نشر الثقافة الإسلامية عن طريق الوعاظ والعلماء وعقدت المسابقات بين النزلاء في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وهذه هي المسابقة الثالثة التي نأمل أن تحقق الأهداف المرجوة منها.

واضاف الضويحي: ان الوزارة أنشأت مكتبا للتوعية والارشاد وقد لمسنا أثره الطيب في نفوس النزلاء وتحسين سلوكهم وتصحيح المعوج منها حتى يعود النزيل الى المجتمع عنصرا عاملا وصالحا فيه.

وشكر الضويحي وزارة الداخلية ممثلة في إدارة تنفيذ الاحكام والسجون على حسن رعايتها للنزلاء واتاحتها الفرصة لوعاظ وعلماء وزارة الأوقاف ومساعدتهم على القيام بواجبهم تجاه النزلاء وتوفير كل مامن شأنه ان يحقق الثمرة المرجوة منه.

كما ألقى العقيد/ داوود القناعي كلمة شكر فيها وزارة الأوقاف على الدور الذي تقوم به تجاه المؤسسات العقابية وقال:

ان معدل الجريمة تزايد ونحن في أمسّ الحاجة إلى اصلاح المذنب واعادته للمجتمع بعد نيل العقاب كي يكون أنموذجا صالحا في المجتمع وأن هذا الدور تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وألقى احد النزلاء كلمة نالت اعجاب الحضور.

ثم قام الوكيل المساعد للثقافة الإسلامية والعقيد القناعي بتوزيع الجوائز على الفائزين وقدّم الوكيل المساعد في وزارة الأوقاف عبد العزيز البدر القناعي درعا تذكارية للعقيد القناعي.

الكويت تشارك في مؤتمر «بين الشورى والديمقراطية»



شاركت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في مؤتمر «بين الشورى والديمقراطية» الذي عقد في القاهرة تحت رعاية فضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي خلال الفترة من ١٦ ــ ١٩ محرم ١٤١٨هـ، ٢٣ ــ ٢٦ مايو ١٩٩٧م ــ بوفد ضم الأستاذ عبدالعزيز القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للثقافة الإسلامية، وخالد ساير العتيبي مدير إدارة الإعلام الديني.

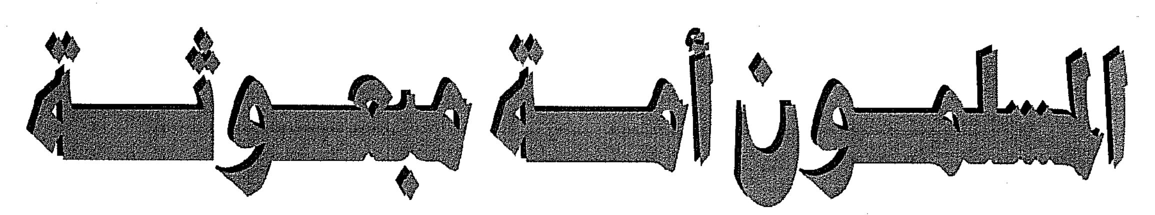
اشتمل المؤتمر على ثماني جلسات علمية إلى جانب الجلسة الافتتاحية والختامية، ناقش موضوعات: (ضوابط الشورى في الإسلام)، (مبدأ الشورى في الإسلام وآليات تطبيقه)، (وجود الشورى في الحكم الإسلامي)، (الشورى بمدلولات المضامين السياسية والاجتماعية والدينية عند العرب)، (في إشكالية العلاقة بين الشورى والديمقراطية)، إضافة إلى بعض الأبحاث المقدمة منها: (شورى القتال حتى نهاية العصر الأموي)، (الدين والدولة إشكالية معاصرة)، (الشورى أساس النظام السياسي للدولة الإسلامية)، (نحو مفهوم جديد للشورى الإسلامية)، (قضايا الإنسان المعاصر بين الشورى والديمقراطية).

كما ناقش أيضاً العديد من الأبحاث منها: (الشورى والنظام الديمقراطي العربي)، (الديمقراطية الغربية والعالم الثالث)، (المشاركة السياسية بين ازمة الديمقراطية وخلق آليات تفعيل نظام الشورى)، (الديمقراطية والعلمانية وحقوق الانسان المرجعية الغربية والمرجعية الاسلامية)، (المد والجزر الديمقراطي بين الديمقراطية المعاصرة والشورى).

مناسبات

في الذكرى العطرة لمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين، حيث هيأ الله عز وجل جزيرة العرب لاستقبال رسالته الخاتمة بنفوس يستكن فيها الخير، وتستقر الفطر السليمة، يعلوها غبش الجاهلية، ويغشيها ظلام الباطل، ولكنها حينما أشرقت عليها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، تخلصت من أوزار الجاهلية وآثامها، وسمت إلى مشارف الملأ الأعلى، وصدق عليها قول الله عز وجل: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (الفتح: ٢٩)، ويؤكد هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يسأل عن أكرم الناس فيقول: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، فيقولون: ليس عن هذا نسألك، فيقول: «أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، فيقولون: ليس عن هذا نسألك، فيقول: «فعن معادن العرب تأسلونني؟ فيقولون: نعم. فيقول: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «تجدون الناس معادن. خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٢).



المسلمون أمة مبعوثة

بقلم: محمد حسن دراز

هؤلاء سلفنا الصالح، الذين شرفوا بصحبة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وفازوا برضى الله عز وجل عنهم، وجاهدوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام، وتلقوا عنه القرآن الكريم، ورووا سنته الشريفة، وتخلقوا بأخلاقه السامية الجليلة، وتحلوا بسمته وهديه، وحملوا من بعده راية الجهاد، وأمانة التبليغ، ونشر الرسالة، ففتح الله بهم الأمصار، وهدى بهم الأمم والشعوب.

شرقت راياتهم حتى وصلوا إلى حدود الصين، وغربت حتى وقفوا على شاطىء الأطلسي، وحتى خاض «عقبة بن نافع» بفرسه في ماء المحيط وقال: لو أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته مجاهداً في سبيل الله(٣).

وانطلقوا شمالاً حتى فتحوا «باب الأبواب» وغزوا «بلنجر والترك» ووصلوا إلى أسوار «القسطنطينية» عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، واستشهد حولها بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي استضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة، حتى بنى مسجده الشريف ومسكنه.(٤).

وبذلك كان أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعدهم أمة مبعوثة، تحمل رسالة نبيها عليه الصلاة والسلام إلى أمم الأرض جميعاً.

ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله سبحانه وتعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور. يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (الحج: ٧٥ ـ ٧٨).

تبتدىء الآيات الكريمة بتقرير هذه القاعدة الكلية: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس)، يجتبي ويختار رسله من الملائكة ومن الناس. ويستخدم القرآن الكريم هذه الكلمة الجامعة «ومن الناس»، لتمثل رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، وتحتمل ـ كذلك حملة الرسالات من بعدهم، وإن لم يكونوا مرسلين: مثل أنبياء بني إسرائيل، وحواريي عيسى عليه السلام، وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وتزكي الآيات الكريمة هذا المعنى، فيأتي في هذا السياق نداء الله تعالى للذين آمنوا ليقيموا الصلاة، وليعبدوا الله، وليفعلوا الخير، وليجاهدوا

في اللـــه حق جهـاده، لأنهم مجتبـــون «هـو اجتبـــاكم» وبين اجتبى واصطفى صلة واضحة، وتـرابط وثيق، وتذكر الآيات الكـريمة بعض خصائص الأنبياء في صفات أولئك المؤمنين: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، (وتكـونوا شـهداء على النـاس)، وقد عرض القـرآن الكريم هـذه الخاصية الأخيرة لأمـة محمـد صلى اللـه عليه وسلـم في قولـه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة : ١٤٣.

وقد قدمت الآية الكريمة من سورة البقرة شهادة المسلمين على شهادة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، مع أن الأصل سبق شهـادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهادة المسلمين تبع لشهادته عليه الصلاة و السلام، وأرى أن ذلك لأمرين: الأول: أن آيـة سورة البقرة وردت في معرض تحويل القبلة من بيت المقـدس إلى الكعبة المشرفة، وقد اعترض اليهود على أمر الله العزيز الحكيم بهذا التحويل سفاهة وافتراء وبغيا، واللـه عز وجل يثبت المسلمين، وينـزل عليهم السكينة، لكيـلا يبالـوا بأقـوال هؤلاء السفهـاء، وذلك بتقريـر هـذه القاعـدة، وهي أنهم أهل الحق، وأصحاب الشهادة المقبولة بين يدي اللـه عز وجل يوم القيامة، وهم في مـوقف من مـــواقف الأداء لهذه الشهـادة، وهي ثمـرة هـذه الوسطيـة التي ميزهم اللـه بها، والوسط العدل كما أخبر رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من الأنسب أن تتوالى منن الله تعالى عليهم: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس..)، الأمر الآخر: أن شهادة محمـد عليه الصلاة والسلام على أمتـه ثابتة مؤكـدة، قال تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (النساء: ٤١)، وقـال تعالى: (ويوم نبعث في كل أمـة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هـؤلاء..) (النحل: ٨٩)، أما شهادة أمته، فـذلك فضل من الله العـزيز الحكيم منحـه أمة محمـد عليه الصـلاة والسلام، ولأنـه أمر غير مسبـوق، فقد احتـاج إلى مزيد مـن التأكيد، فاقتضى أن يقدم في الذكر تثبيتاً له وتأكيداً، وذلك في سورة البقرة أول سور القرآن في المصحف بعد الفاتحة، ولما ثبتت هذه القضية وتأكدت بهذا التقديم جـاءت على النسق المناسب في سـورة الحج: (هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس)، وسورة البقـرة أول السور نزولاً بالمدينـة، وسورة الحج مدنية متأخرة في النزول، وتختص آية البقرة بتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (ويكون الرسـول عليكم شهيدا)، لتفيد اختصاص هذه الأمـة بشرف الشهادة من هـذا الرسـول المعظم، وهذا من فضل اللـه وبره بها.(٥)

وتؤكد أحـاديث رسول الله عليه الصلاة والسـلام هذه الخاصية من خصـائص المرسلين لأمـة محمـد عليـــه الصــلاة و السـلام، وروى البخـاري وأحمد والترمذي والنسـائي عن أبي سعيد قـال: قال عليـه الصـلاة و السلام: «يـدعى نوح يـوم القيامـة، فيقال لـه: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هـل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذيـر، وما أتـانا من أحـد. فيقال لنـوح عليه السلام: مـن يشهد لك؟ فيقول: محمـد عليه الصـلاة و السلام وأمته، فـذلك قول اللـه تعالى: (وكـذلك جعلنـاكم أمـة وسطـا)، قال: والـوسط العـدل، فتـدعـون، فتشهدون له بالبلاغ، وأشهد عليكم)(٦).

وجمع هذه الخصائص ما رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن أبان وليث عن شهر بن حَوْشَب عن عبادة بن الصامت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قـال: «أعطيت أمتي ثلاثاً، لم تعط إلا الأنبياء، كان اللـه إذا بعث نبياً قـال له: «ادعني أستجب لك»، وقـال الله لهذه الأمة: «ادعـوني أستجب لكم»، وكـان الله إذا بعث نبيـاً قال لـه: «ما جعل عليك في الـدين من حـرج»، وقـال الله لهذه الأمـة: (ومـا جعل عليكم في الدين من حرج)، وكان إذا بعث نبياً جعله شهيداً على قومه، وجعل الله هذه الأمة شهداء على الناس»(٧).

ويصرح رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم لأمتـه أنهم مبعوثـون في حديثـه عن الأعرابي الذي بال في المسجـد، فقام أصحابه ليقعـوا به، فقال لهم: «لا تزرموه «لا تقطعوا بـوله» فلما انتهى قال: أريقوا على بوله سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(٨).

وقـد فقه أصحـاب رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم هذه القضيـة وخطرهـا وجلالها، فحـرصوا على القيـام بحقها، وأداء مـا تفرضـه عليهم من جهود وتضحيات.

في موقعـة «القادسية» طلب «رستم» قائد الفـرس من قائد المسلمين «سعد بن أبي وقاص» أن يرسل إليه رجلاً يكلمه، فأرسل إليه «ربعي ابن عـامر» فقـال لـه رستم: ما أخـرجكم إلينـا؟ وقد كـان يصيبكم القحط، فنرسل إليكم ما يقيم أودكم، إلا إن أردتم أن تهلكوا أنفسكم. فأجابه ربعي: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله عز وجل، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.(٩)

وشاء الله عز وجل أن يظل النصر حليف المسلمين ماداموا متمسكين بشرائع الإســلام سلوكـاً وخلقا ودعـوة، وقد أعلنـوا ذلك بأنفسهم، وشهد لهم به الأعداء، وسأسوق شواهد لذلك:

الأول: عندمـا فتح المسلمون المدائن الغربية، حـال نهر دجلة بينهم وبين العبـور إلى المدائن الشرقية، لأن الفـرس أخذوا المعـابر مـا بين المدائن وتكريـت، وعثر المسلمون على مخاضـة يمكن العبـور منها، ولكن السيول تـلاحقت، والنهر يقـذف بالزبـد، ورأى سعد بن أبي وقاص في منامه: أن خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت، فعزم على تحقيق الرؤيا، فجمع رؤساء الجنـد، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن عـدوكـم قـد اعتصم منكم بهذا البحـــر، فـلا تخلصـــون إليـه، ويخلصون إليكم إذا شاءوا في سفنهم فيناوشـوكم، وإني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعـاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل، فدعـا: من يبدأ ويحمي لنا الشاطيء الآخـر حتى يتلاحق به الجند؟ فـانتدب لـذلك عاصم بن عمـرو التميمي في ستمائة من أهل النجدة، فأمِّـر عاصماً عليهم، فتقـدمهم في ستين فارسـاً، واقتحموا دجلـة، حتى اقتربوا من الشـاطيء الآخر، فلقيهم الفـرس ليردوهم، فأمر عاصم أصحـابه أن يشرعوا الرمـاح، وأن يقصدوا بها العيون، ولحقهم المسلمـون، وقتلوا أكثرهم، ومـن نجا منهم صار أعـور من الطعن، وتـلاحق الستمائة وحموا الشـاطيء، وعنـدئذ أذن سعـد للمسلمين في الاقتحام وقـال: قولـوا: نستعين باللـه، ونتوكـل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتلاحق المسلمـون في دجلة، وهم يتحـدثون كما يتحـدثون في البر، وكان الذي يساير «سعداً» «سلمان الفارسي»، فعامت خيولهم، وسعد يقول: حسبنا اللـه ونعم الوكيل، والله لينصرنَّ اللـه وليه، وليظهرنَّ دينـه، وليهـزمنَّ عـدوه، مـا لم يكن في الجيش بغي أو ذنـوب تغلب الحسنات، فقـال له سلمان: الإسـلام جديـد، ذللت لهم البحور، كما

ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده، ليخـرجن منه أفواجاً، كما دخلوا فيه أفواجاً. فخرجـوا منه كما قال سلمان، لم يفقدوا شيئاً، ولم يغـرق منهم أحد، وأبـر اللـه قسم سلمان رضي اللـه عنه، وفتح اللـه عليهم المدائن، ومنحهم كنوز كسرى.(١٠)

الثاني: فتح اللـه على المسلمين «باب الأبواب» ودخل «شهـريار» ملك الباب في صلـح مع المسلمين، ثم أمر عمـر بن الخطاب رضي اللـه عنه عبدالرحمن بـن ربيعة قائد المسلمين بغزو الترك، فخـرج القائد بجند المسلمين، حتى قطع «الباب» فقال له «شهـريار»: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غـزو «بلنجر والترك» قال: إنا لنرضى منهم أن يـدعونا من دون الباب!

قال عبدالـرحمن: لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديـارهم، وبالله إن معنا أقـواماً لو يأذن لهم أميرنـا في مواصلـة السير لبلغت بهم الروم، قال: ومن هم؟ قـال: قوم صحبـوا رسول الله صلى اللـه عليه وسلم، ودخلوا في هذا الدين على بينـة، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً، ولا يزال النصر معهم ما داموا مستمسكين بأمـر الله عز وجل ما لم يتغيروا أو يلفتوا عن حالهم.(١١).

الثالث: ظل «يـزدجرد» كسرى فارس يقاوم المسلمين ويتلقى هـزيمة بعد هزيمة، حتى فتح المسلمـون «مرو الروذ» فأرسل رسولاً إلى ملك الصين، ليمـده لحرب المسلمين، واستمـرت هــزائمـه، حتى عبر نهر «جيحون» من «بلخ» إلى «فرغانة»، وهنـاك لقي رسوله عائدا، فأخبره أن ملك الصين سألـه: صف لي هـؤلاء القـوم الـذين أخـرجـوكم من دياركم، فإني أراك تذكر قلـة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم، إلا بخير فيهم وشر فيكم، قلت: سل عما أحببت.

قال: أيـوفون بالعهد؟ قلت: نعـم، قال: وما يقولـون لكم حين القتال؟ قلت: يـدعوننـا إلى واحدة من ثـلاث: إما دينهم، فإن أجبنـا أجرونـا مجراهم، أوالجزية والدفاع عنّا، أو المنابذة والقتال، قال: كيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم وأرشـدهم، قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأجبتـه، قال: هل يحلـون ما حـرم عليهم أو يحرمون مـا أحل لهم؟ قلت: لا، قال: فإن هؤلاء القوم لا يزالـون في ظفر، حتى يحلوا حرامهم أو يحرموا حلالهم.

وكتب إلى «يـزدجرد»: إنه لم يمنعني أن أبعـث لك بجند أولـه «بمرو» وآخره بـالصين إلا الجهالة بما يحق لك علي ولكن هؤلاء القـوم الذين وصف لي رسولك، لو يحاولون الجبـال لأزالوها، ولو خلا لهم سربهم أزالـوني، ماداموا على ماوصف، فسـالمهم وارض منهم بـالمساكنـة ولاتهيجهم مالم يهيجوك. فرفض «يزدجرد» حتى فقد مملكته.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر جمع المسلمين وخطبهم فقال: ألا إن ملك المجوسيـة قد هلك فليسوا يملكـون من بلادهم شبرا يضر بمسلم، ألا وإن الله أورثكم ارضهم وديارهم وأبنـاءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فإني لا أخاف على هذه الأمة ان تؤتى إلا من قبلكم.(١٢).

الرابع: اثناء فتوحات المسلمين بالشام، اقام «هرقل» بمدينة «حمص» يمد الـروم المقاتلين ويتابع سير المعارك واذا بهم يتعـرضون لهزائم متـوالية، فيستقبل بعض فلـولهم المنهـزمة، ويسألهم: أليس الـذين تقاتلون بشراً مثلكم؟ قالوا:بلى. قال: انتم اكثر أم هم؟قالوا: نحن أكثر أضعافا في كل مـوطن قال: ويلكم فلم تنهزمون؟ فأجـابه شيخ منهم قـال: أنا أقـول لك، هم ينتصرون لانهم يقومـون الليل، ويصومـون النهار، ويوفون بالعهد، وأميرهم واحد منهم، ولايظلم بعضهم بعضا ونحن ننهـزم، لأننـا نغضب الله، ونـرتكب المعـاصي، ويظلم بعضنـا بعضا.

قال له هرقل: أنت صدقتني (١٣).

هؤلاء سلفنا الصـالح طلائع الأمة المبعوثة، حملة رسـالة محمد صلى الله عليـه وسلم شرقوا وغربـوا تتوالى عليهم البشـائر والانتصارات، وقد وصفهم «شوقي» في همزيته:

يمشون يغضي الارض عنهم هيبة ولهم حيال نعيمها إغضاء
حتى إذا فتحـت لهـم أطرافـها لم يغرهم ترف ولا خيلاء

ونحن خلف لهم في هذه الـرسالة السـامية، رسالـة الإسلام العظيم: عبادة وعدلا، وسلوكا وخلقا، وفضلا ورحمة، وجهادا ودعوة!

فهل نمضي على الطريق؟ حتى يحقق اللـه بنا وعده! ويرفع بسـواعدنا رايات العزة والكـرامة والفخار! ويقيم على أيدينـا دولة الخلافة أم أن النوازل والكوارث التي تنهال على عالمنا العربي والإسلامي اليوم تفل منا القوى، وتحطم العزائم وتبث في نفوسنا اليأس والقنوط!

لا أيها المسلمون الافاضل ان بنفوسنا بقية من خير وان الاسلام قادر ان يستثير فينـا القـوى المدخـرة، وينهـض العـزائم الفتيـة، ويطلق الطـاقات الكـامنة، ومـاعلينا إلا ان نصل حبـالنا بـالله نستعين بـه ونتوكل عليه ونستمد منه العـون والنصر، والسداد والرشد. وسأقدم نمـوذجين يكشفـان عن أثـر الاسـلام في صنع الابطـال، اذ يستثير العزائم ويبرز الإمكانـات التي غشيها الشرك، وران عليها الجهل فلما استنـارت البصـائر بنور الايمان، واهتـدت الفطـر بشرائع الاسـلام تحول اصحابها من الجبن والخور الى آفـاق عالية من البطولـة الفذة والشجـاعة الفـائقـة هما: عكرمـة بن ابي جهل، وطلحـة بن خويلـد الاسـدي المتنبيء الكـذاب، عكـرمة يتصـدى لحرب المسلمين، وهـو مشرك في معركة الاحزاب والخنـدق بين المسلمين واعدائهم من قريش وغطفـان، استعد فـوارس من قريش للقتـال منهم عمرو بن عبـد ود وعكرمة وهبيرة بن ابي وهب، ثم خرجـوا على خيولهم، وقصدوا مكانا ضيقا من الخندق، فاقتحموا منه، ووجه اليهم الرسول الكريم علي بن أبي طـالب في نفر من المسلمين، لمواجهتهم، وتقـدم عمرو بن عبـد ود للمبارزة فنازله علي حتي قتله، ورجعت خيل المشركين منهزمة، وفيهم عكـرمة لم يغن شيئـا بل ألقى رمحه وهو منهـزم حتى لايعوقـه عن الفرار وسخر منه حسان بن ثابت فقال:

فـــــــر وألقــى لنـــــــــا رمحه
لعلــك عكــــــــــــرم لم تفعــل
ووليـت تعـــــدو كعـــــدو الظليـم
كـأن قفـــاك قفـــا فُـــــزعُــــل

«ظبي صغير» (١٤).

وفي فتح مكة امر الرسول عليـه الصلاة والسلام بقتله، كما امر بقتل غيره من مجرمي الحرب، ففر الى اليمن واسلمت امـرأته أم حكيم بنت عمـه الحارث بن هشـام واستأمنت لـه رسـول اللـه عليـه الصـلاة والسلام فأمنـه وأعطاهـا كتاب امـان له، فخرجـت في طلبه الى اليمن ورجع معها مسلما، فـرحب به الـرسول الكـريم وقال: «مـرحبا بمن جاءنا مسلما مهاجرا». (١٥)

حسن إسـلامـه واشترك في حـروب الـردة وخـرج مع المسلمين الى اليرموك، وجعله قائد المعركة خـالد بن الوليد في القلب مع القعقاع بن عمرو التميمي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ولما نشبت المعركة، حمل

الروم حملة أزالت المسلمين عن مواقعهم فقال عكرمة: قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ثم افر اليوم! ونادى: من يبايع على الموت! فبايعه اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا امام خيمة خالد حتى اصيبوا جميعا بالجراح الخطيرة، وقتلوا إلا من برىء منهم، ونصر الله المسلمين وقتلوا من الروم حوالي ثلاثين ألفا وقد استمر القتال طول النهار ومعظم الليل، واصبح خالد وهو في رواق رئيس جند الروم.

وأتى خالد بعكرمة جريحا، فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة، فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما، وقطر في حلوقهما الماء حتى استشهدا(١٦).

كيف تحول عكرمة هذا التحول الخطير من جبان يفر الى قائد شجاع في معركة خطيرة، المسلمون فيها أربعون ألفا، والروم مائتان وأربعون ألفا!

ان الجديد الذي طرأ عليه هو الإسلام، استثار طاقاته، وشحذ قدراته حتى صنع عكرمة المسلم هذه الاعاجيب، وهذا أثر الإيمان حتى تخالط بشاشته القلوب

الأنموذج الآخر: طلحة بن خويلد الأسدي الذي ارتد في أواخر حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتنبأ، واجتمع حوله بنو أسد وعبس وذبيان وفزارة ولقيهم خالد بن الوليد في « بزاخة» وهزمهم، فلما غشي المسلمون طلحة ركب فرسه وحمل امرأته على ناقة وفر بها تاركا قومه لسيوف المسلمين، ولجأ الى قبيلة «كلب» بالشام ولما اسلمت أسد وغطفان اسلم طلحة ولما خرج سعد بن ابي وقاص بجيش المسلمين الى القادسية استأذن طلحة عمر بن الخطاب ان يخرج للجهاد، فأذن له، ولما نزل سعد والمسلمون بالقادسية وقدم «رستم» بجند فارس ارسل سعد بن ابي وقاص عمرو بن معد يكرب وطلحة ومعهما عشرة من المسلمين ليستطلعوا اخبار الفرس فلم يسيروا إلا فرسخا وبعض فرسخ، حتى رأوا طلائع جيش الفرس منتشرا في البقاع، فرجع عمرو ومن معه وأبى طلحة إلا ان يتقدم فحذروه فأبى، ومضى حتى دخل معسكر «رستم» وبات فيه يتنقل ويكتشف وقطع حبال خيمة فارس واقتاد فرسه وفعل ذلك بأكثر من فارس ثم خرج يعدو به فرسه، وطارده الجند ولحقه فارس منهم فقتله طلحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد غيظا فلحق طلحة، فكر عليه طلحة وأسره واقترب طلحة من معسكر المسلمين، فانصرف الفرس عنه.

ودخل على سعد بن ابي وقاص ومعه الفارس فسأل الترجمان الفارسي فقال:

أخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان اخبركم عمن قبلي، باشرت الحرب وانا غلام إلى الآن وسمعت بالأبطال ولم اسمع بمثل هذا، رجل يسير فرسخين الى معسكر به سبعون ألفا فلم يخرج كما دخل بل سلب فرسان الجند، وقطع لهم الخيام فلما ادركناه قتل الأول وهو يعد بألف فارس، ثم الثاني وهو نظيره ثم ادركته ولا أظن انني دونهما، وانا الثائر المغيظ لا بني عمي وقد رأيت الموت فاستؤسرت ثم اخبر عن الفرس واسلم وقاتل مع المسلمين.

بطولة طلحة لاتحتاج الى تعليق ماالذي غيره الى هذا المستوى الرفيع من البطولة والشجاعة والفدائية! وهو الذي فر بالأمس ومعه امرأته، وترك قومه لسيوف المسلمين! لاشك انه الايمان!! استثار القوى المذخورة والهمم الدفينة فصنع طلحة الأعاجيب!

ان سبيلنا لاسترجاع العزة والكرامة والمجد والمكانة ان نستجيب لأمر الله عز وجل:﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[الانعام:١٥٣] وان نحقق في أنفسنا وفي امتنا ومجتمعاتنا شروط الله عز وجل للاستخلاف والتمكين والأمن. في قوله جل وعلا:﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون. لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾[النور/ ٥٥-٥٧].

ان وعد الله حق ولكنه وعد مشروط ان نعبد الله وحده مخلصين له الدين وان نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وان نستمسك بسنة رسولنا الكريم، وألا نستكين لأعداء الله مهما طغوا وبغوا، فليسوا بمعجزين في الارض، وقد علمنا ديننا ان القوى المادية مع اهميتها وضرورتها ليست وحدها التي تحسم المعارك، إذ لابد ان تدعمها القوى الروحية التي يمنحها الله عز وجل للمؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وثباتا وتضحية. قال تعالى:﴿ هو الذي أيدك بنصره وبا لمؤمنين. وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾[الانفال/ ٦٢ و٦٣].

اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع على الحق كلمتنا، ورد عنا كيد أعدائنا. ■

الهوامش:

١ ـ ابن الأثير ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ج١ ص ١٤٥.
٢ ـ العلامة القسطلاني ـ إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ج٦ ص ٤ ـ المطبعة الأميرية ـ بولاق سنة ١٢٩٣هـ.
٣ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص ١٤.
٤ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٣ ص ٢٢٨.
٥ ـ الإمام الزمخشري ـ الكشاف ج١ ص ٣١٨، وبهامشه حاشية الإنصاف لابن المنير.
٦ ـ الإمام الشوكاني ـ فتح القدير ج١ ص ١٥٢.
٧ ـ القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص ١٥٥ و ٣٠٩.
٨ ـ ابن الأثير ـ جامع الأصول ج ٨ ص ٢٥.
٩ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٠.
١٠ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٦.
١١ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٤.
١٢ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٨.
١٣ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية المجلد ٤ ص ٥٤.
١٤ ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية ج ٣ ص ١٣٤.
١٥ ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٩.
١٦ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤١٣.
ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٧.
ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٦٠.

الوضع الاقتصادي في العالم الآن بات هو الأساس، وهو محور الاهتمام وبه اتخذت الأمة مكانتها بين الأمم فالاقتصاد يتحكم في السياسة والأمة القوية هي الأمة التي تحمي نفسها بنفسها وتمتلك مقومات حياتها والأمم الفقيرة هي الأمم المسلوبة الإرادة التي لا تملك قرارها، فالاستعمار الاقتصادي اليوم يتقدم الاستعمار العسكري، والسياسي ويتحكم فيهما، لذلك كان المطلوب من الدول العربية على وجه العموم والدول الإسلامية على وجه الخصوص الاهتمام بوضعها الاقتصادي فقد حباها الله سبحانه بخيرات كثيرة لو أحسن استغلالها وتوجيهها لكانت لها المكانة السامية بين أمم الأرض قاطبة، ومن هذا المنطلق كان لابد من أن يتداعى المهتمون بالشأن العربي والإسلامي إلى دراسة الوضع الاقتصادي والسياسة الإسلامية في هذا الإطار حتى ينهض العالم الإسلامي من وضعه الحالي إلى الوضع الأفضل. وضمن السياسة الاقتصادية والجهود المستمرة التي تبذلهما اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة التابعة للديوان الأميري - الكويت - وبنك الكويت المركزي بالتعاون مع البنك المركزي الماليزي، نظمت اللجنة «ندوة صناعة الخدمات المالية الإسلامية» والتي انعقدت لمدة ثلاثة أيام في مقر منظمة المدن العربية في دولة الكويت من ٢ - ٤ صفر ١٤١٨هـ، ٧ - ٩ يونيو ١٩٩٧م.

في «ندوة صناعة الخدمات المالية الإسلامية» نظمتها لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية

المال الإسلامي يتجه نحو العولمة باستخدام الموارد وتحقيق التنمية الإسلامية

كتب: حسين الديب

اشتمل اليوم الأول للندوة على محاضرات تحدثت عن «محددات الطلب على صناعة الخدمات المالية في منطقة الخليج» وكان المحاضر عدنان عبدالعزيز البحر رئيس مجلس إدارة شركة المستثمر الدولي الذي أعلن في الندوة أن صناعة الخدمات المصرفية الإسلامية تدير نحو ٣٥ في المئة من إجمالي المدخرات في الكويت، و٣٠ في المئة من المدخرات في منطقة الخليج، وأن معدل النمو يتراوح بين ١٢ - و١٥ في المئة سنوياً، في الوقت الذي تنمو فيه الصناعة المصرفية التقليدية بمعدل يتراوح بين ٦ - ٧ في المئة، وأن صناعة الخدمات المصرفية الإسلامية جزء مهم من الصناعة المصرفية، فهي تدير ٥٠ مليار دولار في دول الخليج، وأضاف أن نمو الوعي الإسلامي لابد أن يعتمد على الخدمات المالية الإسلامية التي يحددها دخل الفرد، وأشار إلى أن الصناعة المصرفية الإسلامية تواجه مجموعة من التحديات تكمن في عدم إطلاق المنافسة لهذه الصناعة في دول الخليج، أما في غيرها فتواجه ضغوطاً من النظم الضريبية، كضريبة المبيعات، ثم دعا إلى ضرورة استخدام أسلوب التوريق للمؤسسات المالية، لأنه يتيح لها القدرة على التسويق مع ضرورة تحمل المؤسسات الإسلامية مسؤولية الإبداع والتطوير لأدوات العمل المصرفي الإسلامي، وذكر أن شركة المستثمر التي يرأسها قدمت عشرين طلباً إلى البنك المركزي لتأسيس بنوك إسلامية في الكويت، وهناك توجه لفتح مجال لإنشاء بنوك إسلامية جديدة، وحول القرار الخاص بالمارجن «هامش الربح» أكد أنه لن يكون

البنوك الإسلامية نجحت في دفع المؤسسات الإسلامية لتوفير خدمات مصرفية مشابهة

له تأثير في السوق.

زيادة المصارف الإسلامية

أما المحاضرة الثانية فكانت ليوسف شهيد يوسف ـ نائب رئيس بنك سيتي الإسلامي الاستثماري ـ الذي أكد في بداية حديثه أن المصارف الإسلامية عانت في بداية تأسيسها من بعض المعوقات الفنية والقانونية في نمو المصارف الإسلامية المتمثلة في غياب الرقابة المالية عن البنوك المركزية، وعدم توحيد المعايير المحاسبية، وقلة المنتجات الشرعية التي تتطلب التزايد، وقصر التجربة العملية، وعدم وضوح بعض المفاهيم الشرعية. وأضاف أنه على الرغم من هذه المعوقات إلا أن الثقة في المصارف الإسلامية باتت في ازدياد، والإقبال في نمو من قبل البعض في دول الخليج خصوصاً ما تشهده الساحة العربية الإسلامية من صحوة في الوعي الإسلامي وما يقابله من زيادة في المصارف الإسلامية.

وأشار إلى أن النمو المتزايد في الودائع، والإقبال على الخدمات الإسلامية ارتفع بحجم الأموال المستثمرة من ١٠٠ مليون دولار العام ١٩٧٧م إلى نحو ٥٠ مليار دولار في العام ١٩٩٧م أي بزيادة قدرها ٣٠ في المئة سنويا وهذا كان في البنوك التقليدية، حيث إن ٤٠ ـ ٦٠ في المئة من المساهمين باستثمارات المصارف والمؤسسات الإسلامية وكان هذا الإقبال دافعا إلى ذلك العائد المجزي بالإضافة إلى نمو الوعي الاستثماري، وحول تطور العمل المصرفي الإسلامي قال يوسف شهيد إن تقسيم التطور يكمن في ثلاث مراحل، الأولى:ـ وهي البداية، كانت متواضعة، وذلك من خلال بنكين فقط في الإمارات، والكويت، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الثقة والطلب على هذه الخدمات، وهي مرحلة الثمانينات فقد زادت الصحوة الإسلامية فيها، والرغبة في التعامل بروح الدين الحنيف والكسب الحلال، وتجنب الحرام مثل الربا وما شابهه، وهذه المرحلة هي التي استفادت منها المجتمعات في العمل المصرفي الإسلامي، وزيادة الثقة، والوعي، وترسيخ المعايير الشرعية، وما إلى ذلك، وهذا هو الذي دفع الناس إلى التعامل مع هذه البنوك.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة: فهي مرحلة الازدهار، وكانت في التسعينات، وتهدف إلى الزيادة في الأدوات الاستثمارية المتاحة في أكثر من ١٢ صيغة مختلفة، وحققت نمواً بواقع ٢٠ في المئة سنوياً، مما زاد في عدد المؤسسات الخليجية إلى ١٧ مؤسسة مالية.



● جانب من المؤتمر

كفاءة البنوك الإسلامية

أما في اليوم الثاني فقد استعرض فيه شفقت علي ميمن ـ العضو المنتدب في بنك سيتي الإسلامي الاستثماري ـ الأساسيات التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي ،كالعدالة، والتوازن الاجتماعيين، وأظهر أن استخدام أسلوب المضاربة هو الأساس، كما أوضح أن البنوك الإسلامية تقوم على أساس تحقيق أعلى كفاءة، وتحقيق رغبة المودع والمستثمر، إذ تعتمد مبدأ الربح والخسارة، وتعتمد على معاملات إسلامية تخلو من الجهالة، والضرر وأشار إلى أن البنوك الإسلامية تعمل بكفاءة منذ ٢٠ عاماً، وتنتشر في معظم أنحاء العالم، حيث يُتبنى هذا النظام ـ النظام المصرفي الإسلامي ـ في كل من: باكستان، وإيران، والسودان، كذلك أشار إلى أن المؤسسات الإسلامية تنتشر أيضاً في ماليزيا، وأندونيسيا ،وبروناي، والكويت، وقد وصل عدد هذه المؤسسات إلى ١٦٠ مؤسسة، ونمت بمعدل ١٥ في المئة على مدار خمس سنوات متتالية، وأن صناعة الخدمات المصرفية الإسلامية تتجه بقوة نحو العولمة، وحسب عدد المسلمين الذي وصل إلى ٢٠ في المئة من سكان العالم، فإنهم ينتجون ما قيمته ١٠ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي.

واستعرض كذلك خريطة المؤسسات المالية الإسلامية، وأشار إلى أن منطقة الخليج تستوعب أكبر المؤسسات الإسلامية حيث يوجد فيها «دلة البركة» التي تقدر أصولها بنحو ١,١ مليار دولار، وبنك فيصل الإسلامي «البحرين» ٠,١ مليار، وبنك دبي الإسلامي ٠,٠٧ مليار دولار، وبنك أبو ظبي الجديد ١,٢٧ مليار دولار، وهذه البنوك الإسلامية الثلاثة عشر تمثل ٥٤ في المئة من رأس المال و٢٣ في المئة من الودائع، و ٣٢ في المئة من الأصول البنكية الإسلامية في العالم، وهذا يدل على أن هناك زيادة، وأتوقع أن تنمو هذه الزيادة لتبلغ ١٠ في المئة وهذا مما سيزيد في عدد البنوك والمؤسسات الإسلامية المالية.

الصناعة المصرفية الإسلامية تدير ٥٠ مليار دولار في البنوك الإسلامية في دول الخليج

مستقبل الخدمات المالية الإسلامية في ظل العولمة

وفي المحاضرة الثانية لليوم الثاني نفسه تحدث عبدالقادر توماس ـ مدير بنك الكويت المتحد/ نيويورك ـ عن مستقبل صناعة الخدمات المالية الإسلامية في ظل العولمة متناولا الموضوع من جوانبه الثلاثة ـ الأقليات المسلمة، الأسواق الناشئة، والمؤسسات العالمية، وعلاقتها بالمؤسسات المالية الإسلامية، وأشار إلى أن الأقليات المسلمة في ازدياد، وأن أجزاء من أميركا وجنوب شرقي آسيا تمتلك قوة ديناميكية لا يجوز تجاهلها، حيث يمثل عدد المسلمين فيها نحو ٢٦ في المئة بواقع ٤ المئة في أميركا و ٢ في المئة في بريطانيا و ٢٠ في المئة في سنغافورة، وهذه الأقليات تحتاج إلى التعرف على حاجاتها التمويلية من خلال صيغ إسلامية لتلبية هذه الحاجات.

وعن الأسواق الناشئة قال: إن هناك حاجة إلى

بنية تحتية، وتسهيلات تمويلية في البلدان الصناعية الحديثة، حيث تقدر أموال الأسواق بنحو ٥٠٠ مليون دولار وبلغت ٣٢,٨ مليون دولار العام ١٩٩٦م، أما من ناحية المؤسسات الإسلامية والشركات العالمية فإن بعض هذه الشركات تسعى إلى قبول التمويل بأساليب إسلامية مثل شركة «شل» التي تعد من أكبر شركات الطاقة، فقد مولت مشروع «ساروك» بأسلوب إسلامي عامي ٨٩/ ١٩٩٠م.

الفقه الإسلامي ومقتضيات العصر

أما الدكتور نزيه حماد - المستشار الشرعي للعديد من المؤسسات المالية الإسلامية - فأشار إلى أن الفقه الإسلامي على مدى أربعة عشر قرنا شهد نمواً عظيما وتطورا هائلا من أجل الوفاء بحاجات الأمة، ومقتضيات مصالحها في كل عصر، وفي كل قطر، فقد نهض الفقه الإسلامي بصياغة العصر واستنباط ما فيه والتفرع عليه وصياغة قواعده واقتناص فوائده.

وأكد أن النمو والتطور سمتان بارزتان واضحتا القسمات في موكب الفقه الإسلامي الحافل على مدى العصور، ونحن في حاجة ماسة إلى استيفاء هذه السمات في كل مجال، وبخاصة المعاملات المالية والأدوات والأساليب الاستثمارية لتكفل البقاء وتحقيق دوام المصالح للأمة والوفاء بحاجاتها، ثم دعا إلى الاجتهاد في الفقه الإسلامي في مجال المعاملات وأساليب الاستثمار الحديثة فيما لم يرد فيه نص شرعي، أو اجتهاد مسبق، ولا تقبل هذه الأساليب بالصورة السابقة له كالشركات المساهمة والاعتمادات المستندية والقروض المتبادلة في العمل المصرفي وفي العمل الإسلامي.

التطوير والإبداع

وتحدث الدكتور فؤاد عبدالله العمر - نائب رئيس البنك الدولي للاستثمار - عن مدى قابلية التطوير والإبداع في تطبيقات الصيغ الإسلامية، وثراء الفقه الإسلامي مع تأكيد المساهمة في رؤوس الأموال المساهمة وتزايد أثرها في هيكل الاقتصاد الإسلامي، وهذا شيء يدل على زيادة رقعة القطاع بنسبة تصل إلى ١٨ في المئة في العام ٩٥ قياساً بـ ١٢ في المئة في العام ١٩٨٥م. وحول مستقبل عملية الإبداع أشار العمر إلى أن هذه العملية ستعتمد على التوجه المتزايد نحو تشجيع المساهمة في رؤوس الأموال والتوسع في التطبيق للمبادئ الفقهية وقدّم لذلك تجربتين إحداهما تحويل شركة باكستانية إلى النظام الإسلامي، والثانية تجربة حيز الإبداع وهو الممثل في إمكان دخول المؤسسات المالية الإسلامية في هيكل الاقتصاد الإسلامي، وأكد أسلوب المساهمة في رؤوس الأموال والذي يعد مهماً في التنمية الاقتصادية للعالم الإسلامي منوها بالفتاوى الشرعية وإسهامها في مجال الشركات، وبخاصة الفتاوى التي صدرت عن مجمع الفقه الإسلامي كفتوى شركة الراجحي التي مُيزت عن مختلف الشركات المساهمة في تطبيقها للنظام الإسلامي.

الاستثمار قصير الأجل

وفي اليوم الثالث والأخير تحدث الأستاذ صلاح ملائكة - الرئيس التنفيذي لشركة الأمين للأوراق المالية والصناديق الاستثمارية في مجموعة دلة البركة - مبيناً أن شركة الأمين تعتمد عملية التوريق التي تقوم على الأسس الشرعية، وبيّن أن فيها هيئة شرعية تراجع هذه العملية، كما أشار إلى أن شركة الأمين ركزت على الاستثمار في الأسواق المحلية «قصيرة الأجل» التي تتراوح مدتها بين سنة وستة أشهر ،على عكس شركة التوفيق التي تعتمد الاستثمار «طويل الأجل ومتوسط الأجل» مثل صندوقي التاجير الخليجي، والتاجير العالمي.

نمو التوريق

أما الاستاذ سامي طبارة - نائب رئيس بنك سيتي كورب - فقد أشار إلى أن النمو الذي تشهده عملية التوريق في الأسواق العالمية، حيث تصل الاستثمارات إلى ٥,٦٥١ مليون دولار في العام ١٩٩٦م مقارنة بـ ٣,٣٨٠ مليون دولار في العام ١٩٨٦م ظهر واضحاً من خلال عملية التوريق التي تتوزع في دول العالم مثل المكسيك والبرازيل والارجنتين، وقدم طبارة حالات متعددة لشركات قامت بتوريق الأصول والديون في السوق الدولية مثل شركتي «غرنتي»، و«إليكون المونيوم» التركيتين.

التوريق:

وفي ختام الندوة فرق الأستاذ الدكتور نزيه حماد بين ثلاث حالات في حكم بيع صكوك المضاربة لدى البنوك الإسلامية التي تمثل حصصا شائعة، فالحالة الأولى كان تكون موجودات وعاء المضاربة سلعا عينية وهذا أمر لا حرج فيه شرعا والحالة الثانية أن تكون موجودات وعاء المضاربة ديون مرابحات مؤجلة لا يحل توزيعها أما الثالثة فهي أن تكون موجودات وعاء المضاربة خليطا بين سلع عينية ونحوها من المنافع وفي هذه الحالة يفرق بين حالين إذا كانت قيمة الأعيان من المنافع أكثر من الدين وحكمها الشرعي هو الجواز والحل أما إذا كانت المنافع والأعيان أقل من مقدار دين المرابحة فهذه الحالة لا تجوز ولا تحل، كما أشار إلى أن التوريق : مصطلح اقتصادي جديد معناه جعل الدين المؤجل في ذمة الغير في الفترة بين ثبوته وحلول أجله صكوكا قابلة للتداول ولذلك اشتقت هذه التسمية من قوله .. في اللغة «أوْرِق الرجل» «إذا صار ذا وُرَق» والورْق الدراهم المضروبة»، وبدأت هذه الفكرة عندما قامت مؤسسة تحويل بناء المساكن في أميركا والمشهورة باسم Gin-nememea وخلص إلى القول بأنه لو تم تطوير مفهوم التوريق Seccritization بالمصطلح الغربي لأمكن جعل التوريق سائغا شرعاً.

التوصيات

وأخيرا خلصت الندوة إلى أنه لابد من فتح المجال للاستثمارات الإسلامية كي تغطي هذه الاستثمارات العالم كله، وعندها تكون الفائدة والغلبة للإسلام والمسلمين بدلا من اتهام الإسلام في هذه الأيام بالسلبية، وأنه أحد الأسباب الرئيسة في تدهور أحوال الشرق الأوسط، وأكدت الندوة ضرورة الاجتهاد في الفتاوى التي لم يرد فيها نص شرعي ومحاولة استنباط الأحكام الشرعية فيها خدمة للاستثمارات الإسلامية. ■

على هامش الندوة

استمرت الندوة لمدة ثلاثة أيام حيث كانت تعقد في الفترة المسائية.

رأس الجلسات - حسب الترتيب - اليوم الأول عبدالجليل الغربلي المدير العام للمكتب الاستشاري الصناعي.

وفي اليوم الثاني محمود عبدالخالق النوري عضو مجلس إدارة بنك الكويت والشرق الأوسط ومعه د. محمد عبدالغفار الشريف عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت -

وفي اليوم الثالث والأخير حامد البدر، وأنور أحمد الفزيع عضو اللجنة الاستشارية العليا وعضو اللجنة الاقتصادية. كما تحدث عدد آخر من المحاضرين منهم عبدالرؤوف شيناني مدير الصندوق والأوراق المالية.

آداب

آداب السفر في الإسلام

بقلم: عدنان الإبراهيم

إذا كان لـديك مزرعـة كبيرة وبها أنواع عـديدة من الأشجـار المثمرة وأشجار الظل وأشجار الزينة، مليئة بـالطيور المغردة والمياه العذبة. لاشك أن مع مـرور الزمن ستحتـاج إلى تغيير هذا المكان رغـم سعته وجماله، لأن حـب التغيير من طبيعة البشر وطبيعـة الكائنـات في هذه الحياة الدنيا.

ومن رحمة الله سبحـانه أن جعل الأرض متنـوعة بطبيعتهـا، متميزة بسهـولها وجبـالها و خضرتها و اجـوائها لتـلائم الطبيعـة البشريـة المتغيرة، كما أوجـد الله سبحـانه وتعـالى الفصـول الأربعة في العـام الواحد لأن فيها فوائد عظيمة للانسان.

إن رحمة الله واسعة ونعمه سبحانه لاتعد ولاتحصى، ولكن التقصير من الانسان لعـدم تفكره في هذه الرحمة وهـذه النعم، حيث التفكر في هـذه النعم وهـذا الفضل الالهي العظيم يجعل حيـاة الانسـان اكثـر استقراراً واكثر سعادة.

والسفر فيه فوائد عظيمة منها انـه يجعل الانسان ينظر نظرة جديدة، غير التي اعتادها ففي هذا التغيير متعة للنفس ونشاط وقوة لها. وكل جهد ومشقـة في سفره ينسيه مشاغل الـدنيا التي اعتادهـا في وطنه، فتقبل روح الانسـان على الحياة أكثـر ولقد قـال سبحانـه في كتابـه الكريم:﴿ هو الـذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في منـاكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾.

فيجب عليـه ألا يتعلق قلبه بـأرض الله وينسى خـالقـه وخالق هـذه الارض بل كلما مر على قدرة أو آية لله سبحانه ازداد ايمانا. وذكر الله وحده لاشريك له لأن ذلك يشعره بالاطمئنان فكما يحيي المطر الارض رغم صـلابتها فـالايمان كـذلك يحيي النفس البشرية رغم قسـوتها. وكثير من الفرائض والسنن هدفها- بالاضـافة الى الأجر والمثوبة من الله سبحانه - ايضا المحافظة على الايمان ،هذا الخير العظيم في الروح الانسانية.

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله في سفره قائلا: «اللهم إنا نسألـك في سفرنا هـذا البر والتقوى ومن العمل مـاترضى، اللهم اصحبنا في سفـرنا واخلفنا في أهلنا، سبحـانك أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطْو عنا بعده، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقَلب في المال والأهل والولد».

وإذا كنا في زمـاننا هـذا قد تعـددت وتطورت وسـائل النقل غير التي كـانت موجـودة في زمن الرسـول صلى الله عليـه وسلم فإننا أحـوج مانكـون الى هذا الـدعاء والاستعانـة بالله خاصـة في وقت الشدائد والصعاب.

وحين يستقر المسافر في البلد الذي وصل اليـه فانه قد يشعر بعد أيام بأنها أوقـات طويلة لايعـرف كيف يقضيها، وهنـا لابد لـه من تنظيم وقته لمصلحتـه ومصلحة أولاده وأسرته، وحتى يتحـول السفر بإذن الله إلى متعة في مرضاة الله ثم فائدة لها آثارها الطيبة مستقبلا.

وكـذلـك يجـــب ان نــراقب الاولاد في الاسفـار وحسـن اختيـار مـايناسبهم في كل مـايتعلق بحياتهم اليوميـة، ليتـحول السفـر إلى متعـة وتـربيـة في آن واحـد وكـذلك شغل فــراغهم بما ينفعهم ويفيـدهم.

والمسلم الذي يلتـزم بآداب الاسلام في بلده، الأولى بـه ان يلتزم بهذه الآداب الكريمة في سفره، لأن الإسلام وهـديه نور يضيء الطريق لكل من يسير فيه.

وكل قيد فرضـه الله سبحانه على الانسـان انما هو لجام يحفظه من شرور شهواته وأهـوائه التي قد تسبب له المخاطر والمهـالك في الدنيا قبل الآخرة.

وليتـذكر الانسـان ان كل بـاب من ابـواب الحرام اغلقه اللـه في دين الاسلام فتح خيرا منه من ابواب الحلال.

وقد تضعـف النفس البشرية وخـاصة في السفـر إلا أن الصلاة دائما هي الملاذ الآمن الذي يلجأ اليه المؤمـن لتسكن نفسه وتطمئن روحه. قال تعـالى:﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر ولذكـر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون﴾.

وكذلك قـول الله سبحـانه :﴿يـاأيها الذين آمنـوا اذكروا اللـه ذكرا كثيـرا .وسبحوه بكـرة واصيلا .هـو الـذي يصلي عليكم وملائكتـه ليخرجكم من الظلمات الى النور وكـان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾.

ولاينسى المسافر المؤمن أثر الصحبة على الانسان فلقد قال الشاعر:

لاتسـأل عـن المرء واسأل عـن قـــــرينـــــه
فكـل قـــريـن بـــالمقــارن يقتــدي

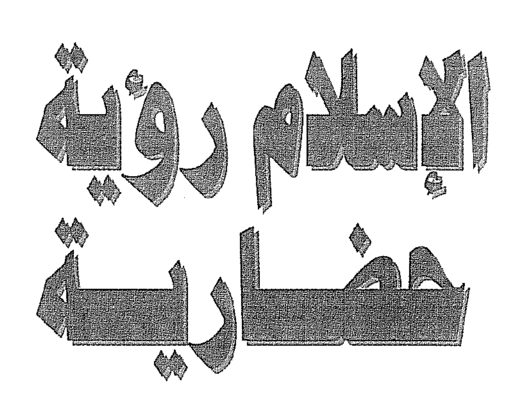
وايضا : سافر ففي الأسفار خمس فوائد
إزالة غم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

وللسفر آثـار على الانسان إما ايجابيـة فهذا من فضل اللـه وإما غير ذلك والعياذ بالله.

ولكن الإيمان يبقى هـو الموجـه الاعظم لـلانسـان سـواء في الحل أو السفر.

وإذا ضعف الإيمان فعلى الإنسان المؤمن ان يحافظ عليـه بذكـر الله والتأمل في بديع صنعه وآياته التي يراها في الكون أو التي يسمعها أو يتلوها في كتابه الكريم . كذلك عمل الخير والاحسان الذي يزيد ايمان المرء.

ولاينسى المسافر حين عودته دعاء السفر ولكن يزيد عليه: تائبـون آيبون عابـدون لربنا حـامدون.. كما كان يفعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم. ■



(مدخل إلى أثر الإيمان في التنمية الشاملة والتغير الحضاري في العالم)

إعداد: أ.د/ محمد عبد الستار نصار

أولا: مدخل إلى الدراسة

الإسلام دين عالمي بطبيعته، وتعني عالميته هذه العالية ثلاثة مفاهيم: عالمية الزمان، وعالمية المكان، وعالمية المعالجة للقضايا التي تتصل بالإنسان، من حيث كونه إنساناً، فضلا عن أن يكون مسلماً آمن بهذا الدين. وإذا نحينا العواطف جانباً فإننا نقول: ليس هناك علاج ناجح لمشاكل الانسان- فرداً كان أو أمة مسلما كان أو غير مسلم- إلا أن يكون صادراً عن خبير حقيقي بتلك المشاكل من حيث اسباب ظهورها ووسائل طبها، وهل هناك أخبر بالإنسان من خالق الإنسان؟! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[الملك/ ١٤]. ويؤكد مانحن بصدد ه ان الإسلام جاء ليمثل آخر حلقات اتصال السماء بالارض، وهذا ينطوي على معنيين واضحين:

١- شمولية الإسلام بالمعنى الذي أشرنا إليه.

٢-بلوغ العقل الإنساني درجة الاكتمال والنضوج، التي يمكن بها استيعاب طبيعة هذا الدين، وهذا المعنى الأخير يفيد ان العقل الانساني متى تعامل معه وفق طبيعته، فإنه من غير شك سيفيد منه بقدر ما يخلص ويجتهد، في نظرته للإنسان وللكون وللحياة، واما اذا تعامل معه بمنطق لايستوعب طبيعته، فإن الأثر المترتب على ذلك سيكون بين الانسان المسلم وحده وليس للاسلام شأن بذلك مثله مثل من يتعامل مع قانون ما، هو سليم في ذاته، ولكن بطريقة غير صحيحة، فلم ينتج تعامله معه شيئاً، اللهم إلا ان يكون الأثر سلبياً.

ثانيا: مظاهر طبيعة الإسلام العالمية

الإيمان بالمعنى الصحيح انتظم في مفهومه مايمكن ان يستوعب كل ماتجري به الحياة الانسانية لدى المؤمن. لقد انتظم اساس الايمان الاول، وهو الاذعان القلبي والشعوري والوجداني الذي يواطئه إقرار اللسان بأن الحق سبحانه وتعالى هو علة هذا الوجود ومصدره، وهو وحده الذي لاشريك له، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الافعال، وهو وحده المستحق لكل صفات الكمال والجلال، وهو دون سواه، المستأهل للعبودية والقصد والطلب، كما انتظم في مفهومه كل عمل خيري يجري على يد المؤمن كإماطة الاذى عن الطريق، وبين هاتين الدرجتين، وسواهما مما يوحي للمؤمن بحق ان هذا المفهوم يشمل نفسه كلها في جميع الاحوال المواقف، فحياته كلها لله، ومماته لله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له..﴾[الانعام:١٦٢-١٦٣] ان صورة الحياة الانسانية في ضوء طبيعة الاسلام هذه تصطبغ بصبغة روحية ظاهرة، حتى وان تعاملت مع المظاهر المادية للحياة، تلك المظاهر التي احترمها الاسلام، وحض على احترامها واستغلالها بطريقة مرتبطة بالاهداف السامية للحياة نفسها، وفي ضوء بيان الاسلام الواضح لتسخير كل عناصر الكون لعمارته وسعادة الانسان فيه وليكون مردود ذلك كله عبادة خالصة لله رب العالمين، شكراً لنعمائه، وتقديراً لهباته المتكررة المتنوعة، التي تشكل في نفس الوقت مقصودين اثنين:

١-كون هذه المنح الإلهية أدلة على وجود المانح، وعظمته وقدرته ووحدانيته.

٢- اعتبارها عناصر لازمة لتطوير الحياة ورقيها في الاطار الأخلاقي المتمثل في كون الإنسان مسؤولا عن كيفية استغلالها، وتطبيق الهدف منها، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[الملك: ١٥].

والتعبير الذي جاء به قوله ﴿وإليه النشور﴾ يشير إلى المسؤولية الاخلاقية عن استغلال الطاقات المتعددة التي منحها الله للإنسان لتعمر بها الحياة، كما يحدد الفارق الواضح بين طريقتين لهذا الاستغلال، ثانيتهما- بعد الطريقة التي اشرنا اليها- تلك التي تتعامل مع عناصر الكون بطريقة غير أخلاقية، كما يلاحظ اليوم في افرازات الحضارة المادية. التي كادت تطمس معالم الحياة الصحيحة، لأنها نسيت واهب الحياة نفسه، وكما هو الحال في كل الحضارات المادية السابقة.

والنظرة الصحيحة الى عناصر الكون، التي بيّنها الإسلام تقف بنا أمام تقديره للعمل الايجابي، وارتباطه بالعبادة بمفهومها العام، وفي هذا الاطار، نفهم ان القرآن في اسلوبه الحكيم، حين يعرض الآيات التي تتحدث عن عناصر الكون، يوقظ في نفس المؤمن الشعور القوي بقيمة الحياة، لانه يربط ذلك بالايمان بالحق تبارك وتعالى، فتكتمل في نفسه الدائرة التي تشمل حياته كلها: الدنيا والآخرة، في نظام فريد عجيب.

ويمكن ان يقال: إذا كانت مقومات الحضارة بالمعنى الحقيقي تتلخص في:

١-مبادىء نظرية قابلة للتطبيق تهدف إلى صالح الإنسان ورقيه، تكفل اشباع اشواقه الروحية وضروراته المادية.

٢-آليات عقلية وتجريبية تستطيع استغلال الطاقات المادية وتسخيرها لخدمة الإنسان.

٣-مادة أولية تكون محل تجارب، يمكن تطويعها واستغلالها في الإطار الأخلاقي الذي أشرنا إليه آنفا.

٤-الزمن الذي يكون وعاء آنيا لهذا الاستغلال.
٥-أهداف عليا تشد الإنسان إلى تطوير الحياة بتوازن واتساق.
٦-نظرة صحيحة إلى العلاقات المتعددة من الإنسان تجاه نفسه والآخرين والحياة وخالق الحياة.
فإن هذا كله يبرز من طبيعة الإسلام، ففيه استيعاب شامل مفصل لكل ماقدمنا، وفي هذا الإيجاز غناء عن التفصيل.

ثالثا: صورة حاصلة واقعية في تاريخ الإسلام

عندما استلهم المسلمون موقف الإسلام من الحياة، والمنهج الذي حدده للعقل- وهو عالم الشهادة- كي يسعى لتطويرها وترقيتها، وعندما يشد العقل المسلم إلى ذلك، هناك حياة آخرة يسأل فيها عن العلم والمال والشباب والوقت، تكون النتيجة الحتمية، حياة حافلة بالخير عامرة بالإيمان الصادق والعمل الصالح. يضاف الى ذلك ان القرآن الكريم ربط بدقة بين مرحلتي حياة الانسان في نسق ظاهر واضح، يبين منه ان طبيعة الحياة الدنيا تنبيء بما سوف يكون عليه الانسان في الحياة الآخرة﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾[الاسراء- ٧٢] ويعني هذا: ان من حسنت حياته الدنيا بالمعنى الحقيقي، فإنها ستكون طريقاً الى حياة آخرة حسنة كذلك.
ويوم استوعب المسلمون هذا المعنى، شهد لهم التاريخ بحضارة اسلامية زاهرة، تعد في نظر المنصفين أنصع الحضارات الإنسانية وأزكاها، لأنها انطلقت من معان روحية، فألبست الحياة كلها هذه المعاني، وان بدا المظهر المادي واضحاً وراقياً.
واذا أردنا ان ننظر إلى حقبة بعينها كانت مثلا ناضجاً لتلك الحضارة، فأمامنا القرن الرابع الهجري، الذي اعتبره المؤرخون أزهى قرون الحضارة الإسلامية. تفاعلت فيه العقلية الإسلامية بما استلهمته من مصدري الإسلام: القرآن والسنة، وبما انضجته التجارب الحضارية السابقة بما لايتعارض مع الحقائق الإسلامية، مما أثار دهشة كثير من الباحثين، لعل على رأسهم، المستشرق السويسري «آدم متز» الذي أرّخ للحضارة الإسلامية في هذا القرن واعتبره بحق عصر النهضة في الإسلام، وأودع في مؤلفه الذي أخذ هذا العنوان، كل ما افرزته الحضارة الاسلامية في العلوم والفنون والآداب، والنظم والعلاقات، بحيث استوعبت في داخلها كل الأنماط الحضارية، وامتازت عن سواها من الحضارات الأخرى بأنها ألبست ذلك رداءً روحياً، ضمن لها الاستمرار والبقاء مدة هذا العمل العظيم، ويرجع ذلك كله إلى التعامل الحقيقي الصادق مع معطيات تلك الحضارة، من حيث دقة الاستيعاب لأصولها ومنطلقاتها وأهدافها.

رابعا: عقبات في الواقع والتطبيق

إن ظهور حضارة أو أفولها في المنظور القرآني إنما يخضع لسنة إلهية ظاهرة، قد يقترب منها أو يبتعد عنها بدرجات متفاوتة ماقرره الباحثون في هذا المجال في الشرق والغرب على السواء، أمثال العلامة «ابن خلدون» عند المسلمين و«أرنولد توينبي» في العصر الحديث، هذه السنة التي جعلها القرآن عاملا حاسماً في قضيتنا ، هي «العوامل النفسية» التي تنطوي عليها أفئدة القوم موضوع الحديث الحضاري، ومما لاشك فيه ان العوامل النفسية هذه، هي التي تشكل الحياة الداخلية للجماعة، والتي تكون الحياة الخارجية مظهراً لها ودليلاً عليها، ويمكن ان يقال باختصار شديد: ان ظهور حياة ما أو أفولها في الواقع، انما يكون مسبوقاً بوجود اسباب ذلك في النفس الإنسانية في كلتا الحالين، يؤكد هذا قول الله تعالى:﴿ إن الله لايغيّر مايقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ [الرعد-١١] وقوله:﴿ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾[الانفال-٥٣] وما القصص القرآني الذي تُحدّث عن الحضارات السابقة وأسباب قيامها أو زوالها إلا تطبيق لهذا السنة الإلهية.

أساس الإسلام هو الإذعان القلبي والشعوري بأن الحق سبحانه وتعالى علّة هذا الوجود ومصدره

خامسا: نظرة علمية إلى حاضر العالم الإسلامي

إنها سنة مطردة يمكن ان نفهم منها واقعنا اليوم، والسبب المباشر في كونه كذلك، وإذا كان التغير النفسي في جانبه السلبي يشكل العقبة الرئيسية في وجه قيام حضارة ما إن لم تكن قائمة، أو السبب الحقيقي لزوالها إن كانت موجودة، فإن العقبات والاسباب الاخرى ليست إلا وليدة هذا السبب المهم، كالنظرة غير الصحيحة الى الاسلام، والتفسيرات الخاطئة المترتبة على تلك النظرة، والسبب الرئيسي الذي ألمحنا إليه وماتولد عنه يعد- من غير شك- العامل الاساسي في صنع هذا الواقع ومن ثم صح لنا ان نقول: إنه واقع من صنع أيدينا، قبل ان نتلمس له عللاً خارجية.
إن الجهل والفقر والمرض، وانعدام التنظيم وسوء الإدارة، وفساد الاقتصاد، واعوجاج مناهج التربية واضطراب الرأي العام، واختلال العلاقة، وفقدان الثقة، بين الحكام والمحكومين، كل هذه ليست امراضا حقيقية، بل هي اعراض لمرض عضال فتّاك هو الذي اشرنا اليه من قبل، وهو الخلل النفسي، وان النظر اليها على انها امراض، ومعالجتها على هذا الاساس، لن يكون اكثر من معالجة طبيب لمريض مصاب بداء السل الجرثومي بتسكين الحمى عنده، دون ان ينفذ الى صميم المشكلة، فيعالج الجراثيم المسببة لهذا المرض، كما يقول المفكر المسلم «مالك بن نبي» في كتابه «شروط النهضةص ٤١»
ولقد كانت جهود المصلحين الإسلاميين في العصور المتأخرة، بدءاً من حركة محمد بن عبد الوهاب، وحتى مايسمى بالصحوة الحاضرة للحركة الاسلامية، تعوزها النظرة الجامعة للإسلام، وعدم التركيز على جانب منه على حساب الجوانب الأخرى، ومن ثم لم تؤت هذه الجهود ثمارها المرتجاة منها، وان كانت قد حركت الوعي الاسلامي نحو حقيقة ما تدعو إليه، ولكن في إطار النظرة غير الشاملة كما ألمحنا.

سادسا:الرؤية المستقبلية

إن العقيدة الإسلامية في ذاتها، لها من المقومات الصحيحة مايجعل سلطانها على النفوس أعمق وأدوم، لأنها تقوم على جناحي الفطرة، والعقل، وهذا يعني أنها اسقطت كل الخرافات التي شكلت العقبات المصطنعة في سبيل الإيمان الصادق الصحيح. كما انها في نفس الوقت تمثل الرابط الحقيقي المتين بين قلوب اتباعها، وهنا بدوره يدفعهم الى العمل والحركة لترقية الحياة وتطويرها، واستغلال الطاقات المعنوية والمادية الى آخر مدى يمكن ان تصل اليه. لقد احدثت تلك

العقيدة لدى المؤمنين بها انقلابها في التصورات والمفاهيم والعلاقات، فأنتج ذلك حياة مستقرة منضبطة قامت فيها احكام الشريعة مقام القوانين الضابطة والحركة في نفس الوقت للحياة في شمولها وعمومها بتوازن واتساق، كانت تلك الحياة مظهراً للحياة النفسية الداخلية، التي أمدّها الايمان القوي بكل عوامل الحركة والنشاط، فإذا انضم الى قوة العقيدة هذه مالدى المسلمين من قو مادية، تشكل قدراً هائلاً من الطاقة الموجودة الآن على المستوى العالمي، تزيد عن ثلثي الطاقة العالمية، ثم القوة البشرية التي تجاوزت المليار والربع مليار نسمة، فإن ذلك كله كفيل بان يجعل حضارتنا التي سطع نجمها يوم كنا ممتثلين امتثالا حقيقياً للإسلام، والتي أفل نجمها بزوال هذه الحقيقة عن حياتنا، تثب الى الوجود من جديد. لأن الاسلام الذي صنعها في الماضي، هو كما هو، دين الله الذي يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه.

لقد حدثنا القرآن الكريم ان الميراث الحضاري لن يكون إلا لعباده الصالحين، وجعل ذلك بلاغاً لقوم عابدين، قال سبحانه :﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾[الأنبياء-١٠٥- ١٠٦] فهل نفهم من هاتين الآيتين- حقا- كيف يكون الإيمان الصحيح مدخلاً للتنمية الشاملة والتغير الحضاري في عالمنا الإسلامي؟نعم إن كنا من اصحاب القلوب القابلة لذلك وألقينا السمع ونحن شهداء﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[ق-٣٧].

كما حدّثنا القرآن الكريم- كذلك- عن حضارات سادت ثم بادت بعد عمر قصير من ظهورها، كاشفاً عن أسباب انهيارها وزوالها، ومن اهم تلك الاسباب، نزوعها الى الجانب المادي وحده في الحياة، وهذا النزوع يعني إغفالها التام للقيم الانسانية العليا، التي تكون ثمرة الإيمان الصحيح، واذا كان الحال هكذا، فإن الحياة الإنسانية تصبح مسرحاً للأخلاق الرذيلة والقيم السافلة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بما يفيد ان انسحاب الأمة الظالمة الطاغية من مضمار الحضارة أمر يعز على السموات والارض ان تبكيا عليه، قال تعالى:﴿ كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك أورثناها قوماً آخرين. فما بكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين﴾[الدخان٢٥-٢٩].

إننا إذا أنعمنا النظر في هذه الآيات البينات لاحظنا سنة الله سبحانه وتعالى في قيام الحضارات وانهيارها، انها العوامل النفسية والشعورية في جانبيها: الإيجابي والسلبي.

وهذا السياق القرآني القصصي البارع، الذي يجيء للعبر وقياس الأشباه والنظائر، يدلنا على ان المقدمات والاسباب تتولد عنها نتائجها ومسبباتها. وتوريث أمة لاحقة حضارة أمة سابقة، لا يتأتى – حسب السنة الإلهية- إلا عندما تكون السابقة قد دبّ فيها الوهن والضعف بسبب فقدانها لأسباب بقائها، على حين تكون الوارثة قد نهضت بأسباب قيامها وظهورها.

وهذا المعنى الذي نلحظه من السياق القرآني، يمكن ان يظهر في أمة واحدة، حين تتبدل أحوالها بسبب تبدل نفسياتها ومعنوياتها، ويوم تحدّث عن الأمة الإسلامية بأنها كانت خير الأمم التي أخرجت للناس، اظهر اسباب ذلك بوضوح، حيث علّق هذه الخيرية للأمة، وتلك المكانة الرفيعة لها على اسبابها، وهي : الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، قال تعالى:﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[آل عمران-١١٠] وهذه الخيرية هي التي جعلت أمتنا أمة وسطا تكون شاهدة على غيرها من الأمم﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا..﴾[البقرة:١٤٣].

في هذا الإطار الذي قدمناه، مستشهدين ببعض آيات الذكر الحكيم، مستخلصين منها قانون قيام الحضارات وانهيارها، يمكن ان نقول: إن أمتنا العربية الإسلامية هي صانعة حاضرها ومستقبلها. فإذا نسجت حياتها الآنية والمستقبلية مسترشدة بهدي من كتاب ربها وسنة نبيها، آخذة بأسباب نهوضها من كبوتها نفسياً وشعورياً ضاربة صفحاً عن هذا الواقع الأليم، الذي جعلها مصنفة في أدني درجات السلم العالمي، فإن ذلك كله سيكون إيذانا بانبثاق فجر جديد، تشرق بعده عليها حياة أفضل وأحسن، وتعود لها قيادتها وسيادتها التي كانت لها من قبل، يوم كانت تتعامل مع السنن الإلهية، تعامل أولي الألباب، وهذا ماتتوق إليه نفوس الغيورين من أبنائها.

إن للتمكين في الأرض معنى جميلاً، تتطلع اليه كل النفوس المتشوقة إلى هذه الدرجة في التكوين الدولي، ولن يكون هذا التمكين بالقوة الغشوم، والاستكبار والاستعلاء اللذين تتعامل بهما دول الغرب، وامريكا على وجه أخص- مع غير شعوبها- فإنه تمكين إلى حين، لانه لم يقم على اسس نفسية، بل قام على البطش والقهر. اما التمكين بالمعني الحقيقي فهو ماأشار اليه القرآن الكريم حين قال:﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[النور-٥٥] إن الاستخلاف في الارض والتمكين للدين أمران مشروطان بأسبابهما: الإيمان الغامر، الذي يملأ الصدور والقلوب، والذي يثمر عملاً صالحاً ترقى به الحياة وتزدهر، وهل الحياة السعيدة والمعيشة الهانئة والحضارة الوارفة بمعناها الحقيقي إلا انبثاق من روح مؤمنة وعمل صالح؟ وهل التعاسة التي تغشي الناس في يومهم هذا، بل في كل يوم مضى، وفي كل يوم آت، إلا ان تستدبر النفوس مصدر نورها، فتحيا في ظلمات الشرك والوثنية، ولو أتيت في الجانب المادي القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسمومة والأنعام والحرث؟

إن القرآن الكريم قد ساق هذه المعطيات وعبّر عنها بأنها «زينة» «شهوات» ثم اكمل الصورة المقابلة التي هي خير من ذلك، وترك للعقل ان يرجح وان يختار حتى لايكون مقهورا في جانبي الإيجاب والسلب، قال تعالى:﴿ زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب. قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾[آل عمران-١٤ -١٥].

الإسلام جاء ليؤكد آخر حلقات اتصال السماء بالأرض ويعالج القضايا التي تتصل بالإنسان

ألاما أجدر أمتنا أن تعي هذه الحقائق القرآنية وتتعامل معها بذكاء وفطنة، حتى يتغير واقعها ومستقبلها إلى ماهو أحسن وأولى، ويوم يتم لها ذلك ستكون قد وضعت نفسها على الطريق الصحيح الذي يربط حاضرها ومستقبلها المشرق بماضيها الأغر.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين. ■

فكر

الظاهرة الاسلامية قديمة قدم الحروب الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر الميلادي وانتهت بعد عدة حملات حشدت اوروبا كل قوتها المادية والبشرية والمعنوية ثم منيت بالفشل الذريع إلا أن هذه الحملات وان اخفقت في الاحتفاظ ببيت المقدس، وهو هدفها المعلن، فقد كشفت للغرب بعض اوجه الحضارة الاسلامية المشرقة، ويتجلى في كتابات مؤرخيهم المنصفين عن هذه الفترة جزءا يسيرا من الصورة الصحيحة لسماحة الاسلام التي لم ينجح التعصب في طمسها تماما. ولكن سقوط القسطنطينية عام١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح وهو الحدث الذي وضع نهاية الامبراطورية البيزنطية معقل المسيحية الحصين لعشرة قرون متتالية، اشعل نيران الحقد على الاسلام مرة اخرى وجعل الظاهرة الاسلامية حية في الأذهان الغربية. وفي تلك الاثناء سقطت بلدان الشرق الاوسط في ايدي الاتراك الذين وفروا لها على مدى اربعة قرون نوعا من الأمن الاستبدادي واغلقوها دون كل منافذ التقدم والحضارة. وتزامن ذلك مع بواكير النهضة الاوروبية والكشوفات الجغرافية وحركة التصنيع التي اتت بعدهما والتي كشفت عن الحاجة الى موارد للمواد الخام واسواق جديدة لتصريف المنتجات حتى كان تضعضع الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر مما جعل المنطقة كلها نهبا للموجات الاستعمارية. وجدير بالذكر ان معظم حركات التحرر في الشرق العربي ان لم يكن كلها، انطلقت اساسا من منطلقات دينية اما في التنظير لها والحفز عليها وإما في تنظيم الجهاد المسلح، او كلاهما معا.

هل الإسلام هو العدو البديل في عصر مابعد الحرب الباردة؟

بقلم: عبد الغني محفوظ

الوهم بالتهديد

وإبان السبعينات والثمانينات من هذا القرن برزت الظاهرة الاسلامية في اطار جديد تماما في صورة تهديد بيّن ربما لم يشعر به الغرب منذ فتح الاتراك جنوب ووسط اوروبا. وقد تسارعت الاحداث في الفترة المذكورة على نحو مذهل، اذ اسقط نظام الشاه الموالي للغرب في ايران وتقلدت السلطة حكومة ثورية اعلنت قيام دولة اسلامية، وهي اول دولة اسلامية معلنة منذ انتهاء الخلافة العثمانية الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى. كذلك انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق وشرق اوروبا مما فجر الخلافات القومية والدينية والعرقية التي كانت خامدة تحت النظم الشمولية، ومالبثت ان انطلقت في صورة صراعات تغذيها المطامع الاقليمية والتطلعات العرقية والرغبة في الحلول محل السلطات الغاربة. وربما يحلو للمتابع هنا ان يقارن بين التقسيم السلمي لتشيكوسلوفاكيا والخلاف الهادىء بين روسيا واوكرانيا على جزيرة القرم من ناحية، والصراع الدموي حول اقليم ناجورنو كاراباخ بين ارمينيا واذربيجان، وكذلك القتال الدموي في البوسنة والهرسك، والشيشان من ناحية اخرى، وهذه الاخيرة مناطق يمثل المسلمون طرفا في صراعاتها.

> **اوجه الحضارة الإسلامية المشرقة سابقا جعلت من الحملات الصليبية ان تخفق في الاحتفاظ ببيت المقدس**

وفي منطقة الشرق الاوسط التي شهدت نهاية الحرب الباردة وافول نجمها وتضاؤل اهميتها الاستراتيجية، ادى فشل الايديولوجيات الغربية واليأس من حدوث اي انفراج سواء على المستوى الاقتصادي او السياسي التي انساق بعضها الى محاولة التغيير بالقوة ومانطوى عليه من احداث عنف ضد الابرياء، وتزامن التغيير في

اوروبا الشرقية مع القلق المتزايد من وجود جاليات اسلامية ضخمة في اوروبا الغربية والضجة التي احدثها كتاب سلمان رشدي في بريطانيا وكذلك الجدل حول ارتداء بنات المسلمين لغطاء الشعر في المدارس الحكومية الفرنسية.

وكان سقوط الشيوعية قد حرم الغرب من ذلك «الآخر» الذي اعتاد ان يحدد هويته ازاءه، فبدلا من كتلة سوفيتية يسودها نظام عدائي وباعث على التهديد، اذ بالغرب يكتشف اخوانه الاوروبيين الشرقيين الذين يشاركونه الميراث الديني والثقافي ويتطلعون الى مشاركته في الحرية والرخاء(١) وكان لابد من ملء الفراغ بعدو جديد حتى تستمر المؤسسات الضخمة التي تم انشاؤها إبان الحرب الباردة في اداء عملها.

وكان الاسلام حليف الأمس في افغانستان وسواها، هو المرشح القوي لملء تلك الفجوة الاستراتيجية التي تفتقت بانهيار الشيوعية ــ اولا بسبب الجوار الجغرافي لاوروبا. ثانيا: بسبب المخزون الفلكلوري الضخم في الذاكرة الغربية ـ عن صراعات المسلمين والمسيحيين والتي تختلط فيها الحقيقة بالاسطورة والتاريخ بالخرافة. وفي مخزون الذاكرة الغربي يظهر المسلم بصورة الغازي الفاتح فهو يجتاح اسبانيا ويغير على ايطاليا وفرنسا ويدق ابواب فيينا. ويتناسى الاوروبيون انهم غزوا واحتلوا كل بلد مسلم في تاريخ ليس ببعيد.

صدام الحضارات

وبدأت الحملة في الصحافة الغربية منذ اواخر الثمانينات- ومازال اوارها مستعرا- حتى ليخيل لقارىء تلك المطبوعات ان المسلمين يدقون ابوب فيينا بالفعل. وكانت ذروة هذه الحملة مقالة ظهرت بمجلة الشؤون الخارجية الاميركية تحت عنوان «صدام الحضارات» (٢) توقع كاتبها فيها حتمية الصراع بين الحضارات وبخاصة الحضارة الاسلامية والغربية، وقد اكتسبت هذه المقالة منذ ظهورها شعبية كبيرة ربما لاتستحقها الفرضيات المطروحة فيها، وخرجت التحذيرات بأن «المسلمين قادمون» وان الخطر الاخضر(٣) الذي لايقل ضراوة عن الخطر الاحمر يترصد الحضارة الغربية للقضاء عليها وابادة اهلها. وخرج مستشرقي اليوم- وهم نفس مستشرقو القرن السابع عشر والثامن عشر ولكن في ازياء عصرية ولغة عصرية- ليرددوا نفس الافتراءات والاكاذيب التي كان يرددها اسلافهم وكذلك الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى وكأن العالم لم يتغير ويكتشف هؤلاء ان الاسلام - بحكم طبيعته الفريدة- معاد للحضارة الحديثة ومعاد للديموقراطية ومعاد للغرب ومعاد لاميركا ومعاد لاسرائيل وانه- وهي نفس السخافات القديمة - يقمع الاقليات والنساء ويتعارض مع اعلان حقوق الانسان العالمي وكل المواثيق الخاصة بالحقوق المدنية. وفي مقارنة طريفة بين الشريعة او القانون الاسلامي- كما يسميها المستشرقون الجدد- والقانون الروماني. نجد أن القانون الروماني اكثر تطورا!(٤). اما صورة المرأة في الاسلام فهي مزيج من حكايات الف ليلة وليلة تؤطرها تقارير الرحالة الغربيين في القرون الخوالي عن قصور الحريم في (يلدز).

ورغم استنكار الحكومات العربية والاسلامية قاطبة لاعمال العنف ضد الابرياء سواء تلك التي تقع في الخارج او الداخل وكذلك استنكار المؤسسات الدينية والكثير من الجماعات الاسلامية وكل المسلمين لهذه الاعمال، إلا أن التعميمات المضللة والتبسيطات المخلة لاتلبث ان تنطلق من هنا وهناك متجاهلة صوت العقل والمنطق ودعوة عموم المسلمين الى التعايش السلمي والتعاون بين كل شعوب العالم.

انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفياتي فجر الخلافات القومية والعرقية والدينية التي كانت خامدة تحت النظم المكبوته

الإسلام بديل للايديولوجيات الفاشلة

ان ظاهرة الإحياء الاسلامي في الشرق الاوسط لاتعبر عن عداء الغرب واميركا بقدر ماتعبر عن فشل الايديولوجيات الغربية السياسية والاقتصادية، بما فيها الشيوعية والقومية والاشتراكية، في حل مشاكل الشرق الاوسط. اضافة الى ذلك، ثمة شعور بالاحباط من السياسة المزدوجة للغرب تجاه المنطقة، فالغرب الذي يسعى الى ترويج الديموقراطية من روسيا الى نيكاركوا ومن كمبوديا الى كينيا يعتقد ان المجتمعات الاسلامية ليست مؤهلة بعدُ لحكم ديموقراطي. وربما يفسر ذلك بالتبعية السبب في ان اي حكومة اسلامية تأتي للسلطة في الشرق الاوسط ستكون بالضرورة معادية للغرب، وليس للاسلام دخل في ذلك.

ان الاسلام كديانة يعتنقها ربع سكان العالم وحملت مشعل الحضارة والتقدم الى الكثير من بقاع العالم تؤمن بالتعايش السلمي بين جميع الشعوب على اساس من المساواة والعدالة واحترام عقائد الآخرين وآرائهم. ولم يشهد الاسلام طوال تاريخه- وهي حقيقة ثابتة بشهادة المؤرخين الغربيين المنصفين- صراعا طائفيا او اضطهادا للأقليات الدينية او العرقية، كذلك الذي شهدته المسيحية والذي ذاق مرارته المسلمون وسواهم وحتى بعض الطوائف المسيحية. ولعل نشاط محاكم التفتيش بعد رحيل العرب من الاندلس والحروب الدينية في فرنسا في القرن السادس عشر واضطهاد البروتستانت في بريطانيا في نفس القرن هي مجرد امثلة قليلة تدلل على سماحة الاسلام.

العرب والحضارة الغربية

ان العرب مدينون بالكثير للحضارة

الغربيـة المعاصرة مع ان مـوقفهم من هذه الحضارة ملتبس الى حـد كبير ويعود ذلك بصورة رئيسية الى ان لقاءهم الاول بها – اذا اخـذنا بأقـوال المؤرخين– هو الحملـة الفرنسيـة على مصر، كان صـداما وغـزوا وقتالا ثم تلاه بعـد فترة غير بعيدة سقوط الدول العربية والاسلاميـة كلها تقريبا في قبضـــة الاستعمار الغـربي. وحتى بعـــد الاستقـلال– الشكلي– للـدول العـــربيـة والاســلاميـة لم تتح لها الفـــرصـــة ابـدا للتعـامل مع هذه الحضـــارة معـاملة النـد للند، بل ظلت في موقف المستعير دائما وفي شتى المجـــــالات ســـــواء العلميـــة او التكنولوجية او الثقافيـة مما يدعو البعض ممن يجهلون تاريخ الحضـــارة الاسلامية الى القول إن الاســلام هو ثقـافة اخــلاقية بحتة مقصورة على عـدد معين من الرموز اللفظيـة وانـــه لم ينتج نماذجـــه الفنيـة والثقافية الخاصة به(٥).

والشريعـة الاســـلاميـة الغـــراء كما هي مستنبطـة من كتاب اللـه وسنـة رسولـه واجماع الأمة واجتهـاد أولي الامر هي اول قـــانـــون تشريعي متكـامل ينظـم للفـرد والجماعة شؤون دينها ودنياها وعلاقاتها مع الآخـرين. ولعلـه لايخفى على كثير من اولئك المتشـدقين بالنظـريات القـانونيـة الحديثة ان الشريعة الاســلامية تضمت في ثنـاياهـا اول منظومـة متكاملـة للقانـون الـدولي ينظـم اعـلان الحرب ومعـــاملـة الاسرى ومعـاهـــدات الســلام والهدنـــة والبعثات الدبلوماسية والمفاوضات وكثير من الجوانب الاخرى التي لم يعرفها الفكر الغربي الا في مطلع القرن السابع عشر.

مفهوم المساواة في الاسلام

أما المرأة فقـد ساوى الاســلام بينها وبين الــــــرجل في الجزاء والعمل والحقـــــوق والواجبات وحفظ لها كرامتها وصانها من الابتـذال لتنهض بما اعـدهـا اللـه لـه من القيـام على تربيـة النشء ولم يحل بينهـا وبين العمل في شتـى منـــاحي الحيـــاة الاقتصـــاديـة التي تماشي مع طبيعتهـــا ودورهـا في الحياة. ولنـا قدوة في السيـدة خـديجة رضي اللـه عنهـا التي كـانت اول تاجرة في الاسلام.

والمرأة في الاسلام لها نفس الدور الحيوي في الحيـاة مثلها مثل الـرجل تماما، ولـولا تأثير الثقـافـات الاجنبية لما ظهـرت هـذه القضيـــة مطلقـا في الفكـر الاســـلامي المعاصر. وقد جعل تأثير هذه الثقافات من البعض ممـن لايعـــرفـــون الاســـــلام يتساءلـون ما اذا كـانت المرأة في الاسلام لها روح؟!. وليس هنا مجال للافاضة عن وضع المرأة في الحضـارة اليـــونـانيـة او الرومـانية او الهنديـة وحتى في الحضارة الغربية الحالية، فلم يكن للمرأة المتزوجة في بـريطـانيـا على سبيل المثـال، الحق في التملك والـدخـول كطـرف في عقـد حتى صدور قـانون ملكيـة المرأة المتزوجـة في عـــــام ١٨٧٠ والـــــذي عـــــدل في عـام١٨٨٢و١٨٨٧، امـا في فـرنسـا فلم يعدل القـانون ليسمح للمرأة بالـدخول كطرف في عقد حتـى عام ١٩٣٨ الا انه لم يسمح للمـرأة المتـــزوجـة بـالتصرف في ملكيتهـــا الخاصـــة قبل الحصــــول على موافقة زوجها.

ان مـاكسبتـه المرأة من حقـوق في العصر الحديث وخاصة في هـذا القرن لم تحصل عليه طـوعا بل بـالعرق والتضحيـة وبعد كفاح مـرير فـرضته الظـروف. فقد ادى نقص الايـــدي العـاملـــة اثنـاء الحروب وضغـوط الحاجـات الاقتصاديـة الملحـة ومطالب التنميـة الصناعيـة بالمرأة إلى ان تخرج من منـزلها لتتعلم وتكـافح لكسب عيشهـا وان تظهـر بمظهـر المســاواة مع الرجل وتكتسب مكـانة جديدة لم تتـوافر لها في سياق المجتمعـات الغربيـة من قبل وهـو مـاوفره لها الاســلام منـذ قـرون. ورغم مايدعيه العالم الغربي من ان ابواب العمل قـد فتحت للجنسين بلا تمييـز بين الواحد والآخر، انهما امـام القانون الأدبي على الأقل متســاويان تطبق نصـوصه على الـواحـد كما تطبق على الآخـر، فإن الكثير من هـذه المزاعم لاتقوم على اسـاس قوي، بل يكذبها الـواقع وتفضحها الشـواهد، اذ لاتـزال اجـور المرأة ومـرتبـاتها في اكثـر المجتمعـات الغربيـة اقل بكثير من اجـور ومـرتبـات الرجـال الـذين يـؤدون نفس العمل. ويـؤكـد مـاتتعـرض لـه المرأة من استغـلال اجتماعي ان هـــذه المجتمعـات مازالت تتحكم في نظرتها الى المرأة رواسب الفكر الارسطي.

اما الاسلام فليس فيه اقلية عرقية او اقلية نسـوية ولم يجعل من العـــرق او الجنس او اللـــون اساســا للمفاضلـة مصداقـا لقولـه تعالى:﴿ ياايها الناس إنـا خلقنـاكم من ذكـــر وأنثى وجعلــــــناكم شـــعوباً وقبـائل لتعـارفوا إن أكرمـــكم عنـد اللـه اتقاكم ﴾[الحجرات/١٣]. ■

السياسة المزدوجة للغرب تجاه الشرق الأوسط هي التي أصابت المسلمين والعرب بالإحباط

الهوامش:

١-Edward mortim-er,christianity and islam international affairs, vol.76,1.january1991

٢-Samulep.huntington,the clash of civiliza tion,foreign affairs,summer1993

وانظر ايضا ملخص لترجمة المقالة والردود عليها في مجلة الحرس الوطني العدد ١٦٤و١٦٥.

٣-Leon t.hadar,what green peril? foreign affairs,spring1993

٤-Judith miller, the challenge of radicallslam,foreig affairs,spring1993

٥-lra m. lapidus, beyond the unipolar momint: A Sober survey of the Lslamic Worid Orbis. summer 1996.

فكر

الاتجاه الإسلامي في تفسير السلوك الإجرامي

إن مسألة الجريمة CRIME تثير في الذهن كثيراً من التساؤلات التي يصعب الإجابة عنها(١)، من ذلك ما هي أول جريمة ارتكبها الإنسان على سطح الأرض؟ وما أسبابها؟ وما أول أنماط الجرائم التي عرفتها البشرية؟

من المعروف أن الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، فمنذ أن قتل قابيل أخاه هابيل والنشاط الإجرامي لم يتوقف، يقول الحق سبحانه وتعالى: (فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)(٢)، ولقد شغلت الجريمة تفكير العلماء والباحثين والقصاصين والروائيين والفنانين والفلاسفة والقادة السياسيين في مختلف العصور والأزمان، وارتبط التطور التاريخي للاتجاهات Atte-tucles والنظريات المفسرة للجريمة بجهد الإنسان للتوصل إلى تفسير Interpretation مقبول للأسباب والدوافع التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة، ومازال العلماء من أرباب التخصصات المختلفة يدرسون شخصية المجرم وأنماط الجريمة ودوافعها ويبرزون مبلغ الشذوذ، ويوضحون أضرارها وآثارها، ويقترحون المعالجات المختلفة لها بغية الإسهام في الوقاية منها، وخفض معدلاتها وتفسير أسبابها، والإعلام عنها والتوعية ضدها، ذلك أن آثاراً تلحق بالمجتمع وتسبب تدميراً لكل مرافقه، بل تقضي على سعادة الضحايا وذويهم، لذلك لا تألو المجتمعات الراقية وغير الراقية جهدا في سبيل إعادة من ينحرف عن جادة الصواب، سواء باستخدام أساليب الردع والعقاب أو بأساليب العلاج والتأهيل والترشيد والتوجيه والتوعية والوعظ(٣)، كما حاول الإنسان تعليل

بقلم: د. عبدالفتاح محمد العيسوي

الأساس الفلسفي الذي يعطي الحاكم الممثل للمجتمع الحق في توقيع العقوبة على المجرم Griminal(٤)، وفي مجال تفسير الجريمة، فقد كانت التفسيرات الغيبية والدينية هي المسيطرة على المجتمعات البدائية التي أرجعت السلوك الإجرامي إلى قوى شريرة مسيطرة على الفرد تدفعه إلى ارتكاب الجريمة، وبالتالي ساد الاعتقاد بأن توقيع العقوبة على المتهم يتم عن طريق الآلهة.

ويتفق علماء القانون الجنائي على أن السلوك الإجرامي وأنماط الجريمة يرتبطان بالتطور الحضاري للمجتمعات البشرية، من حيث حجم الجريمة ونمط السلوك الإجرامي، وتتباين هذه الأنماط وتختلف باختلاف الظروف الطبيعية والحضارية في أي قطر والمصالح التي يرغب في حمايتها، والمعتقدات السائدة فيه ووسائل الحياة وأساليب المعيشة، لذلك تباينت الاتجاهات والنظريات المفسرة للسلوك الإجرامي طبقاً للأيديولوجية البشرية Human Ecology التي يعتنقها المجتمع، وبالتالي تمكن علماء الإجرام من

الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية

معرفة الاتجاهات والنظريات التي تقوم على حماية الفرد واعتباره الغاية من القانون Low وهذا الاتجاه يبدأ بالفرد وينتهي به، ويحاول تفسير أو تعليل الجريمة بالجبرية Fatalism أو الحتمية، وفي هذا الاتجاه هناك بعض المفكرين والفلاسفة يرون أن النظام الاقتصادي في المجتمع بما يتضمنه الإنتاج يؤثر في السلوك الإجرامي من حيث زيادته وتعدد أنواعه، ويعرف هذا الاتجاه بالفكر الماركسي.

أما الفكر الإسلامي فله نظريته الخاصة في وقوع الجرائم وتفسيرها وسبل علاجها، كما يربط هذا الفكر بين القانون الجنائي الإسلامي والغاية الأساسية التي تهدف الشريعة الإسلامية الغراء إلى حمايتها وصيانتها وهي الحياة الآمنة، يقول الله سبحانه وتعالى: (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون)(٥) كما أن هناك علاقة وثيقة بين التشريع الإسلامي والضمير الإنساني Conscience وهو تكوين نفسي تتكامل فيه القيم، ويكون أساساً لقبول أو رفض ما يعلنه الفرد أو نية عمله(٦).

علاقة التشريع الجنائي الإسلامي بالضمير الإنساني:

تتفق الشرائع السماوية جميعا على مكافحة الجريمة وعقوبة الجاني وذلك لما تتمثله الجريمة من سلوك يهدف إلى هدم كيان المجتمع الذي تهدف الشرائع إلى إقامته وصيانته وحمايته، وتتبوأ الشريعة الإسلامية الغراء مكان الصدارة من تلك الشرائع، يقول الله سبحانه وتعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٧).

ولعل أهم ما تميز به الدين الإسلامي الحنيف أنه ليس دين عقائد وعبادات فحسب، بل انه شريعة متكاملة تنظم السلوك الإنساني من مختلف جوانبه، وتسن له القوانين والأحكام والقواعد وتوضح له المناهج Methods والسبل التي تكفّل حماية الفرد والجماعة وتضعه على طريق السواء يقول الحق تبارك وتعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)(٨)، ويعتبر التشريع الجنائي الإسلامي من أهم الجوانب التي عنى بها إسلامنا الحنيف لتنظيم سلوك الإنسان، إذ عنى بذكر العقاب في الآخرة، يقول الحق: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)(٩)، وغني عن البيان أن الإسلام لم يكتف بذكر العقاب في الآخرة، وإنما أقام نظاماً شمولياً متكاملاً للعقاب في الحياة الدنيا فمن لم يفلح في تقويم سلوكه الوازع الديني والخوف من الله وعقابه يجد جزاءه في الحياة الدنيا رادعاً له، الأمر الذي يحول دون انتشار السلوك الإجرامي ولعل أهم ما يميز الشريعة الإسلامية الغراء أن أحكامها تتفق مع قانون الأخلاق Ethics والفضيلة Virtue فهي تعاقب من يرتكب سلوكاً منحرفاً Deviate وهذا العقاب له صورتان:

الصورة الأولى:

عقاب دنيوي يوقع على الجاني في الجرائم الخلقية التي من شأنها أن تفسد المجتمع، ووضعت عقوبات رادعة يطبقها القضاء.

الصورة الثانية:

العقاب الأخروي، وهو ما يطلق عليه الجرائم الخلقية التي لا يمكن إثباتها، كالغيبة والنميمة، والرياء، والنفاق، والحقد، والحسد، والكراهية، والأنانية، وما إلى ذلك من السلوك الذي لايوجد عليه الإثبات(١٠) ويرتبط التشريع الجنائي الإسلامي بالضمير الإنساني أيضاً، لأن إيقاظ الوازع الديني لدى الفرد الذي يسلك سلوكا منحرفا يسهل عملية الإثبات الجنائي عليه، وذلك إما باعترافه طواعية بالإثم أو بالجريمة، لتوقيع العقوبة عليه ليطهر نفسه من الإثم والذنوب Delict، أو بتوافر شهود الإثبات، حيث ينظر إلى الشهادة على أنها واجب ديني يقول الله تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم)(١١) وعلى أفراد المجتمع أن يتقدموا بالشهادة لتنفيذ حكم ربهم الذي يأمرهم بالعدل في الشهادة حتى ولو كانوا ذوي قربى يقول الله تعالى: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) (١٢)، ومن الثابت في الفقه الإسلامي أن من يتوب ويعمل صالحا يغفر الله تعالى له، حيث يقول: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)(١٣).

إن شعور المتهم بأن العقوبة التي تفرض عليه من قبل الله سبحانه وتعالى، قد تؤدي إلى أن يعتريه الندم والحسْرة من وقوع العقوبة عليه، فإذا كان هناك ندم، فإن احتمال التوبة النصوح قريباً إذ إنه أول طريقها، ذلك لأن إيمان المجرم باليوم الآخر وبالثواب والعقاب عما فعل من خير أو شر يقوي احتمال التوبة، فإن عقاب الدنيا يدفعه إلى الإذعان ثم الرضا بما أنزل عليه من عقاب، ثم يندم، ويلي ذلك كمال التوبة، يقول الله تعالى: (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم)(١٤)، وذلك على خلاف ما نلاحظه في القوانين الوضعية من أن المجرم إذا أفلت من العقاب ازداد ضراوة، وإذا عوقب بالسجن فإنه قد يخرج وقد احترف طرقاً أو أساليب جديدة من الإجرام على يد عتاة المجرمين بين جدران السجون(١٥)، فيخرج لصاً محترفاً professional thief (١٦) وعلى ذلك فإن سيكولوجية منع الجريمة يجب أن تقوم على إذكاء روح الإنسان وتقوية إيمانه بربه، وعلى تنمية قدرته على كبح جماح نفسه، وتعوده البذل والعطاء والتضحية والفداء والكسب الحلال وعلى المحافظة على قيمه الروحية والوطنية، ولا شك في أن ارتداد عائد ذلك يكون في شكل خبرات وطنية نافعة وأيد وسواعد وعقول تبني المجتمع وتبذل له العطاء (١٧).

الفكر الإسلامي له نظريته الخاصة في وقوع الجرائم وتفسيرها تختلف في تطبيقها عن القوانين الوضعية

الاختيار الحر أساس المسؤولية الجنائية في الفكر الإسلامي:

ومعلوم أن المسؤولية الجنائية في الفكر الإسلامي تقوم على الإدراك Perception والتمييز وحرية الإرادة وبذلك تمتنع المسؤولية عن الطفل الصغير، والمجنون والسكران عن عمد أو إكراه ومن كان في حال ضرورة عملا بالمبدأ القائل: «الضرورات تبيح المحظورات» كما أثبتت الشريعة الإسلامية مبدأ تدرج وتفريد المسؤولية ويترتب على ذلك أن التكاليف في التشريع الإسلامي تعتمد على الإرادة الكاملة التي تستند على العقل السليم وليس على مجرد التمييز، حيث إن السلوك الإجرامي يعتبر معصية منهي عنها، فإنه لا يخاطب بهذا النهي إلا من أوتي عقلاً كاملاً، وعلى ذلك لا يكون في موقع المساءلة إلا من سلك سلوكاً منهيا عنه وكان في حال صحوة كاملة.(١٨)

وتفسير ذلك أن الله تعالى جعل البشر أشرف خلقه، ومنحهم العقل لأن الله تبارك وتعالى ركّب في البشر العقل والهوى، وركّب في الملائكة العقل دون الهوى، وركّب في الأنعام الهوى دون العقل، فمن تغلب على هواه من البشر كان أفضل من الملائكة، لأنه يعاني مخالفة الهوى، ومكابدة النفس، ومن غلب هواه على عقله كان أدنى من الأنعام، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (أولئك كالأنعام بل هم أضل)(١٩)، وجعل بعضهم من ذوي النهى وجعل منهم أعلاما في الدين وأئمة في

الفكر والهوى، حيث يقول الحق: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢٠)، وابتلى بعضهم بالأمراض كالجنون والعته فجعل سلوكهم غير نافذ وذلك بالحجر عليهم، ولم يخاطب الإسلام هؤلاء بالأمر أو النهي لقوله تعالى: (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج)(٢١)، وبذلك يسقط التكليف عنهم، بل ان سلوكهم وتصرفاتهم لا توصف بأنها معصية أو جريمة لأن أصول العقاب الخطاب والتكليف وأصول الجريمة أن يكون الفاعل له قصد كامل يدرك به المقدمات ويعرف النتائج ويقصد إليها دون إكراه أو ضرر.(٢٢)

وعلى ذلك فإن الفقه الجنائي الإسلامي يتجه نحو تحمل التبعة إلى الناحية الخلقية التي تتصل بضمير الفرد الذي يرتكب سلوكا منحرفا يترتب عليه ضرر بالمجتمع أو أحد أفراده وأساس هذه التبعية هو الحرية والاختيار وإدراك النتائج، فإذا اختفى عنصر من هذه العناصر لا يعد الفرد آثما، ولا يوصف سلوكه بأنه حرام، وإن كان يوصف بأنه ضار يلزم التعويض عنه، وبالتالي يصبح الصغير، والمجنون والمعتوه والأبله والسكران والمكره والنائم والمغمى عليه غير مسؤول عن سلوكه، وهكذا تستمد الشريعة الإسلامية عظمتها من استنادها إلى المنطق والقيم النبيلة التي تستهدف مصلحة الفرد والجماعة.

المفهوم الإسلامي للسلوك الإجرامي:

لم تحظر الشريعة الإسلامية الغراء على المجتمع أنواعا معينة من السلوك للتضييق عليهم، أو الاستبداد بهم والتسلط عليهم، وإن حظرت بعض أنواع السلوك حماية للمصالح الإنسانية فهي بهذا تعمل على صيانة حقها في الطمأنينة والسكينة اللازمة لبنائها، وفي الوقت نفسه لم تغض الطرف عن دوافع الجريمة في ذات الفرد، فعمدت إلى تلاشيها، فإذا ارتكب الإنسان بعد ذلك سلوكاً منهياً عنه كانت العقوبة الرادعة، حيث تميزت الشريعة الإسلامية بمناهج متعددة وكل منهج له فلسفته وأصوله ومبادئه وأحكامه التفصيلية التي يخضع لها، وكل منهج يتضمن مجموعة من العقوبات ترمي إلى ترويع فئة معينة بالجرائم والآثام، ولقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أن «من لا يَرحم لا يُرحم»، فإذا كانت الجريمة قسوة إنسانية، فالعقوبة جزاء ونتيجتها رحمة، لذلك أكدت الشريعة الإسلامية مبدأ تحمل التبعات والنتائج، وهي لا تعتذر عن المجرم ولا تنظر إليه بالشفقة أو الرحمة، عملا بقول الحق سبحانه وتعالى: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)(٢٣)، ويقول في موضع آخر: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)(٢٤).

هذا وقد أجمع فقهاء وقادة الفكر الإسلامي على إسناد السلوك الإجرامي إلى المتهم ومساءلته جنائياً إذا توافرت ثلاثة عناصر، هي الإدراك الصحيح، وحرية الإرادة والنية، والقصد إلى النتائج.

أما بخصوص حرية الإرادة وتفسير السلوك الإجرامي فقد انقسمت المذاهب الإسلامية إلى ثلاثة مذاهب:

١ ـ مذهب الجبرية Fatalism:

ومؤدى هذا المذهب أن الإنسان لا يخلق أفعاله ولا إرادة له ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال كما يخلقها في النباتات والجمادات وتنسب إليها، فيقال نمت الشجرة أو أثمرت، وغربت الشمس، ويرى أصحاب هذا المذهب وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان(٢٥)، أنه ما دامت إرادة الله سبحانه وتعالى شاملة لكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء، فإن الإنسان لا إرادة له فيما يقوم به من أفعال، بل هو في الوجود أشبه ما يكون بريشة في مهب الريح، وكل شيء بقدر الله والإنسان وقدرته وأفعاله من خلق الله وبالتالي، ينفى عن سلوكه، وأفعاله الآثمة المسؤولية الجنائية.

أهم ما يميز الإسلام دون غيره أنه ليس دين عقائد وعبادات فحسب بل شريعة متكاملة

٢ ـ مذهب حرية الإرادة Free Wille:

مذهب من يرى أن للمرء حرية فيما يفعل وله قدرة واستطاعة عليه، ومن أوضح من يمثلهم في الفكر الإسلامي جماعة المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء والذين اعتبروا الإنسان خالقاً لأفعاله(٢٦)، خيرها وشرها ويستحق على ما يفعله ثواباً أو عقاباً في الآخرة، والله سبحانه وتعالى منزّه عن أن يوصف بالشر Evilأو بالظلم، فالإنسان مختار في ما يفعل، ولذلك كان التكليف، لأن الله خالق كل شيء وخلق في الإنسان إرادته وقدرته على العمل، فهو يفعل في الكون، ولكن بقوة أودعها الله تعالى إياه، وعلى ذلك فالمعاصي والآثام إنما تقع بإرادة الإنسان التي منحها الله تعالى له وفي ذلك تحقيق لمعنى العدالة الإلهية، لأن الله تعالى: لا يعاقب الإنسان على فعل ليس من فعله، فلابد أن تسند الآثام إلى الإنسان حتى يتحمل مسؤولياتها أو نتائجها وتبعاتها ويعاقب عليها في الدنيا بما وضع الله عليه من حدود وبما أعده للآثمين من عقاب في الآخرة.

وأضافوا أن من مقتضى العقل وأحكامه المنطقية لا يجوز أن ينهي الله تعالى العبد عن فعل ويكون ذلك المنهي عنه واقعاً في الوجود بإرادته سبحانه وتعالى، كما أنه ليس من المعقول أن الله عز وجل يأمر بفعل ويمتنع العبد عن تنفيذه بإرادة الله تعالى:

٣ ـ مذهب الحرية النسبية:

وأصحاب هذا المذهب هم الأشاعرة أتباع (أبو الحسن الأشعري) الذين يرون أن للإنسان قدرة ولكن لا تأثير لقدرته على قدرة الله عز وجل، فللإنسان أفعال والله خالقها، وله أيضاً إرادة تستند أفعاله عليها، ويقف هذا المذهب موقفاً وسطاً بين المذهبين السابقين فيقرر أن الأفعال كلها لله عز وجل، والعبد له فيها الكسب وهو المفضي إلى اجتلاب نفع أو رفع ضرر.(٢٧)

فالفرد لديه نوع من الاختيار يستطيع به أن

يكون مسؤولاً عن كل ما يقوم به من أفعال وإلا تعطلت الشرائع، وألغيت الأوامر والنواهي، وبذلك يؤكد هذا المذهب أن للإنسان اختيارا نسبيا يتحمل به نتائج وتبعات أعماله، وأن الراشد العاقل لا يعفى من مسؤولية أفعاله وهو في كامل قواه العقلية.

وخلاصة القول إن محور الخلاف بين المذاهب الإسلامية الثلاثة التي حاولت تفسير السلوك الإجرامي تدور حول عملية الجبر والاختيار وموقف إرادة الإنسان المحدودة أمام إرادة الخالق سبحانه وتعالى: إذ يقول: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)(٢٨) فلا يخرج شيء عن إرادته، وبالتالي فإن المذهب الأول: يؤمن بالله رب كل شيء ومليكه وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا مسلك طيب منهم ولكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد.

أما أصحاب المذهب الثاني: فأنكروا القدر، ورأوا أن العدل معناه أن الله تعالى لا يحب الفساد، ولا يخلق أفعال الإنسان، بل الإنسان يفعل ما أمر به وينتهي عما نهى عنه، بالقدرة التي جعلها الله له، فهي قدرة مطلقة، وبالتالي فالمسؤولية مطلقة.

أما المذهب الثالث: فيرى أن للإنسان قدرة ولكن لا تأثير لقدرته بجانب قدرة الله تعالى وله أفعال والله خالقها، وله إرادة حرة وبالتالي يعد مختاراً لأفعاله.

ويخلص الفقه الجنائي الإسلامي في عملية تفسير السلوك الإجرامي إلى إسناد المسؤولية الجنائية إلى المبدأ القائل ان لا معذرة لمرتكب السلوك الإجرامي، مادام له اختيار وعقل فلا معذرة بعقدة نفسية ولا بحالة عصبية مادام عاقلاً مسؤولا، ومادام يطلب الجزاء إن عمل خيراً فعليه أن يتحمل العقاب إن عمل ضرراً، وذلك لمنع تفشي الشر أو إباحة الإثم الذي يجب التحرر منه شرعاً وطبعاً (٢٩)، ومن المعتقد أن الطبيعة البشرية تتضمن في طياتها كلا من الخير والشر على السواء وأن الظروف التربوية والاجتماعية والأسرية والاقتصادية وظروف الصحة والمرض هي التي تزكي جانباً على الآخر، ومثل هذا الاعتقاد يفتح المجال واسعاً أمام رجال الإصلاح وقادة الفكر ورجال التربية والوعظ والإرشاد وأرباب العلاج النفسي، والقادة يفتح الباب أمامهم في إمكانات علاج السلوك المنحرف، وفوق ذلك إمكانات الوقاية منها وتغليب عناصر الخير في الإنسان على نوازع الشر عنده، بل اننا إذا قلنا إن الظروف التربوية الاجتماعية وما تحتويه من ضغوط وقسوة أو ظلم وبطش وتسلط وقهر وحرمان أو التسيب والانحلال والدلع والتدليل إذا قلنا إن مثل هذه الظروف السلبية هي التي تدفع الإنسان إلى اقتراف الإثم لبادرنا على الفور بالقول إننا في الإمكان تعديل هذه الظروف وتحسينها وجعلها مواتية ومؤثرة تأثيراً إيجابياً في حياة الفرد والمجتمع.

بل إننا حتى إذا قلنا إن الوراثة هي المسؤولة عما قد يرتكب من الجرائم والآثام لدعونا العلم والعلماء بالاهتمام بتحسين وراثة الفرد، وهناك بالفعل محاولات في هذا الصدد. ■

القانون الجنائي يؤكد أن السلوك الإجرامي وأنماط الجريمة مرتبطان بالتطور الحضاري

الهوامش

١ ــ علي راشد، القانون الجنائي، دار النهضة العربية، ط٣، ١٩٧٤م، ص ١٠.
٢ ـ المائدة ـ ٣٠.
٣ ــ عبدالرحمن العيسوي، بحث الجريمة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م ص ٩.
٤ ــ محمد علي محمد، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص ٩٤.
٥ ـ البقرة ـ ١٧٩.
٦ ــ مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، ج١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر ١٩٨٤م، ص ٣٣.
٧ ـ النساء ـ ٥٨.
٨ ـ المائدة ـ ١٥.
٩ ـ المائدة ـ ٣٣.
١٠ ــ الإمام محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، ١٩٧٥م، ص ١٩.
١١ ـ البقرة ـ ٢٨٢.
١٢ ـ البقرة ـ ٢٨٣.
١٣ ـ النساء ـ ١٧.
١٤ ـ الأعراف ١٥٣.
١٥ ـ عبدالغني عبود، العقيدة الإسلامية والإيديولوجيات المعاصرة، دار الفكر العربي ط٢، ١٩٨٠م ص ٧٧.
١٦ ــ عاطف محمد غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥٢.
١٧ ــ عبدالرحمن العيسوي، مشكلات الطفولة والمراجعة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م ص ٩.
١٨ ــ محمد سليم العوا، أصل النظام الجنائي الإسلامي، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٣م، ص ١٠٩.
١٩ ـ الأعراف ـ ١٧٩.
٢٠ ـ آل عمران ـ ١٠٤.
٢١ ـ الفتح ـ ١٧.
٢٢ ـ فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، تبيان الحقائق في شرح كنز الدقائق، دار الكتب المصرية، ج٣ ص ٤٧٩.
٢٣ ـ فصلت آية ٤٦
٢٤ ـ الإسراء ـ ٧.
٢٥ ـ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٤، ص ١٤٦.
٢٦ ـ أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩م، ص ٧٤.
٢٧ ــ علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث ـ مصر ص ٢٣٦.
٢٨ ـ الملك ـ ١.
٢٩ ــ علي بن محمد بن علي الجرجاني، المرجع السابق ص ٢٣.

إشكالية تأريخ بداية الاستشراق

فكر

إن المتصفح للمؤلفات والكتابات الكثيرة في مجال الاستشراق سيخرج لا محالة باستنتاج مفاده أن الباحثين لم يتوصلوا إلى تأريخ محدد وموحد لمولد الاستشراق، فقد تشعبت الآراء واختلفت باختلاف الدارسين وتصوراتهم وتحليلهم لدواعي ودوافع نشأة الظاهرة الاستشراقية وما أحاط بها وما صاحبها من تفاعلات وما لاحقها من تطورات، وكذلك باختلاف ثقافة الكتّاب ومرجعيتهم الدينية ومنطلقاتهم الفكرية ومصادرهم المعتمدة.

وكان هذا العجز باعتبار أنه «من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق»(١) «ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك»(٢).

ولا أدري إن كان الاختلاف في تحديد تاريخ معين دليل صحة نابع عن دقة وشمولية بحث وإقرار لواقع قائم، أو أنه تخاذل حتى في تأريخ بداية علم التصق بالإسلام التصاقا وثيقاً منذ نشأته، ونعرض لمجموعة من الأقوال والآراء في هذا الموضوع في محاولة لرصد مختلف المواقف:

بقلم: عبدالرحيم الوهابي

لابد وأن «الكل يسلّم بأن بداية اهتمام الغرب بالشرق في مفهومه العام - أي أدناه وأوسطه وأقصاه... يعود إلى عهود قديمة، إلى قرون ما قبل الميلاد، فكم تنقطع الصلات بينهما» منذ أن قامت الحضارات القديمة والعريقة في المجالين الجغرافي والتاريخي، ومنذ أن عرف الإنسان في هذه الحضارات سبل النقل والاتصال البري والبحري وتأسيس دول شمولية متعددة الأجناس واللغات والعقائد عن طريق الغزو أو التجارة»(٣).

فالاستشراق - بمعناه الأساسي - «قديم قِدَمَ الوعي الغربي الأوروبي بوجود حضارات وشعوب تحيا في الأراضي الممتدة إلى الشرق من أوروبا، وقد سميت هذه الأصقاع بـ «آسيا» بينما أطلق على بقعة التماس بين الشرق الأوسط وأوروبا «آسيا الصغرى» ترسخ هذه الوعي بـ «الآخر» أو «الآسيوي» مع ظهور الإمبراطوريات القديمة في كل من آسيا وأوروبا، وبعد بروز التنافس بين هذه الإمبراطوريات لتوسيع رقعة هيمنتها»(٤). أدى الاحتكاك العسكري بين الفرس واليونان في القرن السادس قبل الميلاد إلى دفع اليونانيين إلى محاولة معرفة كنه هذا الشرق وسبر أغواره والكشف عن خباياه وذلك «لتوضيح أسباب النزاع أولاً ولمعرفة العدو معرفة وثيقة ثانياً، وكان أول باحث علمي استقرأ هذه الظروف والأحوال وسجلها في سفر خالد هو المؤرخ اليوناني الشهير «هيرودوتس» الذي جمع معلومات كثيرة وقيّمة عن الأصقاع التي زارها، فقد تناول كتابه أرض الرافدين ومصر وبلاد الشام. كما تناول الجزيرة العربية وسكانها وعاداتها وتجارتها والسلع التي تأتي إليها وتصدر منها، وبالرغم من العديد من الحقائق العلمية التي سطرها (أبو التاريخ) في سفره. فإن هذا السفر مليء بالأساطير والخرافات والأشياء ذات الخوارق التي لا تتسم بالحقائق العلمية»(٥).

وقام الإسكندر المقدوني بحملته العسكرية التاريخية التي حشد لها طاقات جبارة وجيوشاً جرارة، وسار بها مجتازاً ربوع الشرق وتخومه مما جعل الاحتكاك مباشرا والتأثير والتأثر واضحي المعالم، وذلك على نطاق واسع، فكانت هاته الفتوحات أن «قذفت بالإغريق والرومان إلى المسرح الشرقي، وكان ذلك أول لقاء حضاري بين العالمين المتمايزين (الشرق والغرب) بصرف النظر عن النتائج السياسية التي تمخضت»(٦) ولعل الإسكندرية التي بناها الإسكندر الأكبر كانت من أهم المنائر التي جرى فيها الاتصال الفكري بين الشرق والغرب في تلك الحقبة الزمنية البعيدة.(٧)

ويبقى السؤال: هل هاته الاهتمامات والاحتكاكات والاتصالات والتأثيرات المتبادلة يمكن أن تعتبر البداية الحقيقية للاستشراق؟

يرى الدكتور مصطفى نجيب فواز - أستاذ التاريخ في كلية الآداب ببيروت - أنه «مرحلياً إذا كان هذا الرأي يرى في موضوع الاستشراق كوحدة موضوعية في تسميتها وجوهرها ومؤسساتها وجغرافيتها فهناك التباس تأريخي، عندما نقول اليوم بالعلاقات بين الشرق والغرب ونعني بهذا الغرب، الغرب الحديث «أوروبا غربية أو شرقية...» أما إذا ذكرنا الغرب في التاريخ القديم فإنما نقصد بلاد الإغريق واليونان، وبالتالي فإن مسألة الاستشراق هي موضوع آخر بمدلوله السياسي الحديث»(٨).

وفيما يتعلق بالدراسات التي تناولت الإسلام وعالمه أو ما اصطلح على تسميته «بالاستغراب»، فقد تفاوتت التواريخ المحددة لنشأتها من طرف المهتمين بهذا الميدان، وتراوحت ما بين نزول الوحي مباشرة وبين بداية الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر، وحدد بعضهم البداية بشخص معين، أو بحدث أو بفترة تاريخية.

وقد عاب الدكتور عمر لطيفي العالم - أحد المتخصصين في الاستشراق الألماني — على الباحثين المسلمين اعتمادهم في تأريخهم على الأقوال الغربية.

مؤكدا أن البداية إنما كانت مباشرة بعد البعثة المحمدية ومحاججة اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم، فيوضح: «أغلب الذين أرخوا لحركة الاستشراق وهم غربيون - والعرب في هذا الميدان والمسلمون عامة ناقلون ومرددون - اعتمدوا العام ١١٤٣م

منطلقاً وبداية لتاريخ الاستشراق، لكن الواقع التاريخي يحدثنا عن أول تماس فكري بين الإسلام وخصومه إنما وقع في اللحظة التي تنزل بها الوحي الأمين على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ففي كتابه الذي نال جائزة الدولة البروسية «ماذا اقتبس محمد عن اليهودية» ذكر المستشرق اليهودي أبراهام جايجر حادثة نقلاً عن رواية البيضاوي مفادها أن عمر رضي الله عنه دخل مدارس اليهود فسألهم عن جبريل، فقالوا عدونا يطلع محمداً على أسرارنا...»(٩).

ويضيف د. العالم: «وكون الاستشراق حركة مقرها الغرب وتتجه إلى الشرق بأنظارها، بينما هذه الحادثة جرت على أرض عربية وفي موئل الوحي بالذات، فإن ذلك لا يبدل ولا يغير من الأمر شيئاً، لأن بصمات اليهود والكنيسة الغربية متشابكة في الأثر وهي امتداد منطقي وصدى حقيقي لأبكر حملة ثقافية ودليل ساطع على أنها شنت قبل ١٤ قرناً في شبه جزيرة العرب لا في شبه جزيرة ايبريا قبل ٦٥٠ عاماً. (جبريل عدونا ويطلع محمداً على أسرارنا) كلمات قليلة تلخص في رأيي حقيقة الصراع الحضاري، وتفضح من جانب آخر، كيف يمكن أن يسخر منهج علمي متقدم لخدمة فرية دينية مبكرة جداً ونعني بذلك هذا التوافق العجيب بين رأي الأكاديميين المتأخرين في دراساتهم المقارنة، وبين واقعة تثير الضحك حقاً فيما تنسب اليهود إلى الملك جبريل، وما يريدون قوله في واقع الأمر من أن النبي صلى الله عليه وسلم اقتبس دينه كله أو بعضه من الديانات السماوية الأخرى»(١٠).

ويقترب من هذا المنحنى د. محمود المقداد حيث يقول: «ظهر اهتمام شعوب العالم بالعرب منذ دخولهم القوي في القرن السابع إلى مسرح التاريخ وصنع الأحداث وتغيير خريطة العالم القديم اللغوية والثقافية والدينية والعرقية. وكان ذلك كله بعد بزوغ الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة وتسجيلها الانتصارات في مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - المنورة داخل جزيرة العرب وعلى أطرافها، وتوحيد العرب المشتتين لأول مرة في التاريخ انطلاقتها المعروفة بهم في آفاق المعمورة شمالا وشرقا وغربا»(١١).

وانطلق البعض إلى حدود القرن الثامن عشر الهجري وأثاروا قضية «القديس يوحنا الدمشقي» الذي ألّف «محاورة مع مسلم» و«إرشادات النصارى في جدول المسلمين» باعتبارهما أول محاولة كتابية لانتقاد الإسلام والنيل منه ومحاولة منع النصارى الدخول فيه وذلك بتعليمهم طرق المحاورة والمجادلة و«التحصن» في وجه المد الروحي والعسكري للإسلام، إلا أن الدكتور محمود حمدي زقزوق يرى أنه لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية للاستشراق، «فيوحنا الدمشقي كان رجلاً شرقياً عاش في ظل الدولة الأموية وخدم في القصر الأموي»(١٣).

ويعيد د. أحمد إسماعيلوفتس في كتابه «فلسفة الاستشراق» بداية الاستشراق إلى القرن الثامن الميلادي «عندما بدأ الأوروبيون تلقي العلم في المراكز العربية الإسلامية العلمية في صقلية والأندلس على أيدي الفلاسفة العرب»(١٤) ويسير في هذا الاتجاه د. عبدالمتعال الجبري حيث يقول: «كان المسلمون - بعد فتح الأندلس — قد فتحوا مساجدهم ومجالسهم العلمية لكل من أراد العلم... لا يضنون بالفنون الحضارية على أحد من النصارى أو اليهود... فكان يفد على الأندلس كثير من الشباب من جميع أنحاء أوروبا ليتغترفوا من علوم المسلمين... وعمدت الكنيسة إلى إعداد طائفة من الرهبان والقساوسة لدراسة العلوم الشرقية حتى يمكنهم جذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها بيد الكنيسة ويمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام لدى الدارسين»(١٥).

أما الدكتور مصطفى فواز فيقول في تحديده لمولد الاستشراق «يحدد البعض بأن التمازج الفكري والبشري الذي نتج عن الاتصال الحضاري والسياسي والديني بعد ظهور الإسلام ووصوله إلى بلاد الأندلس كان موقعه «وادي لكة» حيث نزل طارق بن زياد إلى الشاطىء الإسباني في رجب ٩٢هـ - ٧١١م.

وهذا التاريخ يعتبره البعض بداية الاستشراق وفي رأيي أن نهاية تقدم العرب في العمق الأوروبي ووقوف اندفاع عبدالرحمن الغافقي بعد معركته الشهيرة مع «شارل مارتلو في موقعة «بلاط الشهداء» ١١٤هـ - ٧٣٢م هو تاريخ انهيار الشرق الإسلامي أمام الغرب، وبداية الدراسة الميدانية للتراث الإسلامي والثروات المادية والبشرية في مشرقنا وغربنا الإسلامي، ومن هنا نستطيع أن نحدد التأريخ الاستشراقي(١٦).

لكن الدكتور جان جبور يرفض اعتبار أن اللقاء الأول بين الشرق العربي حصل في القرن الثامن الميلادي إبان الفتح الإسلامي الذي استقر في إسبانيا، وهدد جنوب فرنسا، ففي رأيه أن هذا التوسع حصل في زمن لم يكن مفهوم «الشرق والغرب» قد توضح، إذ لم تتبلور المعالم الجغرافية والفكرية لهاتين الكتلتين في الغرب إلا في القرون الوسطى مع انطلاقة الحروب الصليبية، وربما بشكل أوضح إبان عصر النهضة (ق١٦)، أما في الشرق فقد بدأ هذا الإحساس يتشكل مع سقوط القسطنطينية العام ١٤٥٣م» (١٧).

واعتمد العقيقي في جعل كتابه «المستشرقون» سجلاً تأريخياً لألف سنة من مسيرة الاستشراق على - جربرت دي أورلياك /٩٨٨ - ١٠٠٣) باعتباره أول مستشرق(١٧)، وهذا ما يذهب إليه الدكتور مصطفى السباعي، حيث يورد: «لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك».

لكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها وتثقفوا في مدارسها... ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما العام ٩٩٩م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده»(١٨) وعلى خطاه يسير الدكتور محمد ياسين عريبي فيؤكد: «تبدأ حركة الاستشراق الفعلية برحلة جربرت دي أورلياك من فرنسة سنة ٩٦٧م إلى قرطبة طلباً للحكمة في عهد الحكم الثاني»(١٩) ويكتب منديس بيدال في مؤلفه «إسبانيا جسر بين المسجد والكنيسة»: «ومن المعلوم أن مسافرين كثيرين جاؤوا من أوروبا قاصدين إسبانيا التي تستهويهم بما فيها من علوم إسلامية متفوقة تفوقاً ملموسا على الحضارة الأوروبية في ذلك العهد. حالات عديدة تبيّن كيف أن الحضارة الإسلامية - العربية أشرقت على أوروبا وأول المسافرين هو الراهب الفرنسي جربرت دي أورلياك «البابا سلفستر الثاني»، وعندما نأتي على ذكره ونستشهد به أنه أول قادم على إسبانيا يصطدم بمعارضة أولئك المناوئين للإسلام كما لو أن الإسلام يرزخ على عقول الكثيرين فيبلبل إدراكها ويخلق الاضطراب في أحكامها» (٢٠) ويذكر المؤرخ ريشر: الذي «يعتبر جربيرت أورلياك أول سفير لهذا العالم العربي... إنه أول اتصال يجري بين العالم العربي الجبار وأوروبا الهزيلة علميا»(٢١) ويقر د. عبدالرحمن بدوي ضمناً أن البابا سلفستر «هو أول المستشرقين بحيث كان أقدم شخصية ترجم لها في موسوعته لمستشرقين في حين يرى الدكتور ساسي سالم الحاج(٢٢) أن أول

مستشرق هو بطرس المحترم، ويعتبر أن «الراهب الذي يهمنا في تأصيلنا للاستشراق هو بطرس المبجل (١٠٩٢ _ ١١٥٦) (٢٣) الذي أشرف على أول ترجمة للقرآن والتي أنجزت العام ١١٤٣م، ويرى المستشرق الألماني رودي باريت هذا الحدث هو البداية بحيث يجزم بأن «بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي. وما ذهب إليه بارت في هذا الصدد سبق أن عبّر عنه كتاب المستشرق جوستاف دوجا «تاريخ المستشرقين من القرن ٢١ إلى القرن ١٩» الذي صدر في باريس في نهاية الستينات من القرن الماضي»(٢٤).

على أن أغلب الباحثين رأوا الحروب الصليبية البداية الحقيقية للاستشراق، لكنهم لم يحددوا تاريخاً معيناً وخصوصاً أن هذه الحروب امتدت لما يقرب من قرنين (١٠٩٧ _ ١٢٩٥) حيث تم الإنزال الغربي بالشرق، وكانت الاحتكاكات مباشرة وهذه المرة على الأراضي الشرقية، وصاحب هذا نشاط دراسي دؤوب في الضفة الأخرى، ولابد وأن المدة التي استمرها الوجود الصليبي في الأراضي العربية ترك تأثيرات واضحة وعميقة على جميع المستويات ومنها السياسية والثقافية.

يرى د. جان جيور أن اللقاء الفعلي تم في إطار الحروب الدينية: الحروب الصليبية، لكن لابد من ذكر بعض المحاولات الخجولة لفهم الشرق من قبل بعض المفكرين الفرنسيين كبياردوكلوني «بطرس المحترم» وغليوم الطرابلسي ونكولا دوكو.(٢٥) أما الدكتور عدنان وزان فيرد منشأ الاستشراق إلى «عداوة غير المسلمين لدين الإسلام وهذا ظاهر منذ الأزمنة الأولى للدعوة الإسلامية، حيث إن شدة هذه العداوة لم تظهر إلا بعد الحروب الصليبية التي دامت زهاء قرنين من الزمان، فإن هذا التاريخ يمثل نقطة التحول في الصراع الفكري والعقائدي والسياسي بين الغرب المدعم بالتغريب اليهودي والصهيوني وبين الشرق الإسلامي من ناحية أخرى، ولو أنعمنا النظر لرأينا التقارب بين بداية الحركة الاستشراقية، وبداية الحركة الصليبية، وما يؤكد ذلك هو بداية هذه الدراسات بصورة منطقية»(٢٦) والحروب الصليبية كما يرى بعض المستشرقين أنفسهم أنها من الأسباب الأولى التي أدت إلى توجيه الاهتمام نحو الدراسات الاستشراقية ومنهم يوهان فوك الذي يقول: إن الاستشراق إذا ارتبط بالحروب الصليبية وأن المستشرقين الأوائل كانوا يرون في عملهم أنه جهاد وكفاح ضد الإسلام(٢٧) ويؤكد الدكتور حسين مروة أن «النواة لحركة الاستشراق بشكلها الثقافي، ترتبط بعلاقة وثيقة مع حركة «الاستشراق» بشكلها السياسي ـ العسكري التي كانت الحملات الصليبية نواتها الأولى كذلك، لكن الصلة بين الثقافة العربية الإسلامية وثقافة الغرب الأوروبي كانت قد انعقدت قبل الحركة الصليبية»(٢٨).

أما الدكتور عبدالعظيم المطعني فيردّ نشأة الاستشراق إلى فشل الحروب الصليبية وظهر «كأحد البدائل التي اهتدت إليها أوروبا لمواجهة الإسلام حين ظهر لها أن الحروب المسلحة باءت بالفشل أمام قوة الجهاد الإسلامي التي حسمت الأمور بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي إبان الحروب الصليبية»(٢٩).

وتعيد طائفة أخرى مولد الاستشراق إلى العام ١٣١٢ حين ارتأت الكنيسة تحت رئاسة البابا كلمنص الخامس وتحت ضغوط المبشرين الذين تزّعمهم ريموند لوك، أن تنشأ كراسٍ للغة العربية في الجامعات الأوروبية، وهذا ما يقوله الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي: إن الاستشراق بدأ «عندما قرر المجمع الكنيسي في فيينا تخصيص كراسٍ لتدريس اللغات الشرقية، لكن بدء الحركة المنظمة كان في أواخر القرن ١٩»(٣٠).

ويورد إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق»: «فالغرب المسيحي يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور مجمع فيينا الكنيسي العام ١٣١٢ بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامانكا، غير أن أي مسرد للاستشراق ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار لا المستشرق المحترف فحسب، بل كذلك المفهوم ذاته لوجود ميدان في ميادين الدراسة قائم على وحدة جغرافية وثقافية ولغوية وعرقية اسمها الشرق»(٣١).

وهناك اتجاه آخر يقول بظهور المؤسسات الاستشراقية بفروعها المختلفة الواضحة المعالم بعد سقوط القسطنطينية العام ١٤٥٣، ووصول الجيوش العثمانية إلى أسوار فيينا مما جعل أوروبا تهتز من جديد بعد أن استفاقت على أيدي شارل مارتل وشارلمان أنشودة رولان الأسطورية فعملوا على برمجة وتنسيق وتوثيق دراسة الشرق بفرق عمل متكاملة دينية وفكرية وثقافية وأدبية وسياسية واقتصادية وعسكرية.(٣٢)

ويدلي جرجي زيدان بدلوه في الموضوع فيعتبر أن الانطلاقة كانت في القرن الخامس عشر في إيطاليا حيث كانت روما مشتغلة في ذلك الحين بإخراج المبشرين إلى الشرق، فاضطروا إلى تعلم اللغة العربية... ومن هنا يبدأ الاستشراق في روما أو الفاتيكان، وقد بدأت روما عملها في هذا السبيل بإنشاء المطابع العربية وجمع كتب الشرق وحفظها في مكتبة الفاتيكان وغيرها»(٣٣).

ويحددها الدكتور حمدي زقزوق من جهته في النصف الأول من القرن السادس على يد المستشرق الكبير جيوم بوستل (١٥١٠ _ ١٥٨١) الذي شغل أول كرسي للغة العربية في الكوليج دوفرانس و «الذي يعد أبَ المستشرقين الحقيقيين وقد أسهم كثيراً في إثراء دراسة اللغات والشعوب الشرقية في أوروبا وجمع في الوقت نفسه ـ وهو في الشرق ـ مجموعة مهمة من المخطوطات»(٣٤).

وهناك من يقول: إن الاستشراق بدأ بصفة جدية بعد فترة عهد الإصلاح الديني في أوروبا في نهاية ق ٦/م وبداية ق ٧/م، ذلك أن النواة الأولى للدراسات الاستشراقية كانت قد بدأت ق عصور وقرون سابقة لم تسمح لها الظروف بالظهور والعمل بصورة موجهة ومنتظمة إلا في عهد الإصلاح الديني (٣٥) ويؤكد هذا الطرح د. ميشال جحا حيث يقول: «ان هذه المحاولات الاستشراقية التي بدأت في وقت مبكر لا تعدو أن تكون أعمالاً فردية محدودة إلى أن برزت على نطاق واسع في بعض البلدان الأوروبية في القرن ١٣ ويكاد يجمع الباحثون في تاريخ الاستشراق أن انتشاره في أوروبا ظهر بصفة جديدة بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوروبي بعهد الإصلاح الديني»(٣٦).

ويعتقد البعض بأن حملة نابليون على مصر كانت نقطة البداية بحكم أنها أول حملة غربية ترافق فيها الكتاب والسلاح، فقد صاحب جيوش نابليون مجموعة من العلماء الغربيين، كما أنها كانت إشارة إلى بدء عمليات الاستعمار الغربي للسيطرة على البلدان الإسلامية.

ولقد أورد جورج سليمان في كتابه «نابليون والإسلام» أن «الاستشراق كمذهب علمي أوجده نابليون» (٣٧) ومن جهة يرى جرنوت روتر قيام الاستشراق إلى ق ٨ «حيث

يقـول: «لم يبدأ الاهتمام بـالـدراسـات الإسلامية إلا بعد عصر التنوير ولم تتضح معالم صورة جديدة للشرق إلا ابتداء من ق ١٨» (٣٨).

وهو ما يذهب إليه كل من د. محمد عابد الجابري (٣٩) أما المستشرقة الفرنسية أوديت بيتي فترى أن الانطلاقة كانت في القرن التاسع عشر (٤٠) وهو رأي يتطابق ووجهة نظره، بن سالم حميش، «مع أن الكراسي الأولى لتدريس اللغات الشرقية تعود في الجامعات الفرنسية إلى ١٢٤٥م، وأن المؤسسة الاستشراقية بمجامعها ومعاهدها ومجالاتها المتخصصة قد بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر وطيلة التاسع عشر» (٤٢) ويضيف أن «القرن التاسع عشر هو بحق قرن الاستشراق بالمعنى التخصصي للكلمة» (٤٢)، ومما يزكي هذا الطرح أن مفهوم «مستشرق Orientaliste» لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن ١٨، فقد ظهر أولاً في انكلترا العام ١٧٧٩ وفي فرنسا العام ١٧٩٩ وأدرج مفهوم «الاستشراق Orientalisme» في قاموس الأكاديمية الفرنسية في العام ١٨٣٨، كما أن أول مؤتمر للمستشرقين عقد العام ١٨٧٣ في باريس. ■

الهوامش:

١ ـ د. محمود زقزوق «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» ـ كتاب الأمة ـ عدد ٥ ـ ص ١٨.

٢ ـ د. ميشال جحا ـ «الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا» ـ ص ١٨ ـ ط١/ ٢٨ ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت ود. مصطفى السباعي «الاستشراق والمستشرقون» ص ١٣ ـ ط٣ ـ ٨٥ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دمشق.

٣ ـ د. محمد المقداد «تاريخ الدراسات العربية في فرنسا» سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية ـ عدد ١٦٧ ـ نوفمبر ٢٢ ـ ١٦.

٤ ـ محمد حسين ـ الاستشراق أصولاً ووظائف» ـ جريدة «الحياة اللندنية»: ١٠٨٩٩ ـ ١٢/٢/١٩٤ ـ ص ١٨.

٥ ـ د. ساسي سالم الحاج «الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية» ـ م١/ج١/ص٢٧ ـ ط ١/٩١ ـ مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا.

٦ ـ نفسه ـ ص ٢٨ ـ ٢٩.

٧ ـ د. ميشال جحا/ مرجع سابق / ص ٥.

٨ ـ «الاستشراق والفكر الغربي في المشرق الغربي» ـ مجلة «دراسات عربية» اللبنانية ـ عدد ٣/ ٤ ـ ص ١٠٠.

٩ ـ اقتصرنا فقط على المقطع الذي يهمنا، وللاطلاع على نص الحادثة راجع «المستشرقون والقرآن» ص ١٧، راجع كذلك «رسالة الجهاد» ـ ع/٧ ـ ص ٨٥، «وملحق الفكر الإسلامي» لجريدة «العلم» ـ ١٩/٣/١٩٩٣ ـ ص ٥.

١٠ ـ المستشرقون والقرآن ـ دراسة نقدية لمناهج المستشرقين» ص ١٧ و ١٨ ط ١/ ٩١ ـ مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا.

١١ ـ «عالم المعرفة» ع ٦٧ ـ ص ٧.

١٢ ـ (٧٤٩م ـ ٦٧٦م) خلف أباه على بيت المال في خلافة هشام، ثم اعتزل في دير القديس سابا في فلسطين له كذلك «منبع العلم» ـ وفيه بحث عن الفرق والمذاهب.

١٣ ـ «كتاب الأمة» ع٥ ـ ص ١٩.

١٤ ـ عن مجلة «الفكر العربي» اللبنانية ـ ع ٣٢ ـ ص ٢٠٩.

١٥ ـ «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين» ص ٩ ـ ط ١/٨٨ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

١٦ ـ مجلة «شؤون عربية» مرجع سابق ـ ع٣/٤ ـ ص ١٠.

١٧ ـ الشرق في مرآة الرسم الفرنسي ص ١٢ ـ١ـ ٩٢ ـ جروس برس ـ لبنان.

١٧ مكرر ـ رغم أنه يقول إن القديس التشيكي كيرلس «نزل بالشرق العربي حوالي ٨٣١م، وسجل مجادلات للمسلمين وإكباره لهم وثناؤه على عملهم مع ترجمة لبعض آيات القرآن الكريم لعلها من أولى ترجماته إلى اللاتينية «المستشرقون: ٣/٢٣٦).

١٨ ـ الاستشراق والمستشرقون ص ١٣ و ١٤.

١٩ ـ الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ص ١٣٧ ـ ط١/ ٩٠ ـ المجلس القومي للثقافة العربية ـ الرباط.

٢٠ ـ ٢١ ـ ذكره د. سيهون الحايك في كتابه «تعربت وتغربت ـ أو نقل الحضارة العربية إلى الغرب ص ٣٦ ص ٣٦ ـ ط ١/ ٨٧ ـ المطبعة البوليسة ـ لبنان.

٢٢ ـ أستاذ مادة الاستشراق في جامعة بنغازي الليبية.

٢٣ ـ الظاهرة الاستشراقية مرجع سابق ـ م١ ـ ج١ ـ ص ٤٣.

٢٤ ـ ذكره د. حمدي زقزوق / مرجع سابق / ص ٢٠.

٢٥ ـ (الشرق في مرآة الرسم الفرنسي) مرجع سابق ـ ص١٢ و ١٤، وجاء في جريدة «الحياة» ١٢/١٢/٩٢، «يعد الحجيج والجنود الذين ركبوا البحار واخترقوا الهضاب والجبال والأداء نحو الشرق الأوسط للزيارة أو للمساهمة في الحملات الصليبية أوائل المستشرقين» ص ١٨.

٢٦ ـ «الاستشراق والمستشرقون ـ وجهة نظر» ص ٢٧ ـ سلسلة «كتاب دعوة الحق»: السعودية التي كان يشرف عليها المرحوم أحمد محمد جمال ـ العدد ٢٤ ـ يناير ١٩٨٤م.

٢٧ ـ نفسه ـ ص ٢٦.

٢٨ ـ «النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية» ١ / ٦٧ ـ ط ٦/ ٨٨ ـ دار الفارابي ـ بيروت.

٢٩ ـ «أوروبا في مواجهة الإسلام/ ص ١١٠ ـ ط/١ ـ ٩٢ ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٣٠ ـ «حركة الاستشراق» ـ مجلة «المنهل» ـ ع٤٧١ ـ ص ١٩٩.

٣١ ـ الاستشراق: المعرفة ـ السلطة ـ الإنشاء» ترجمة كمال أبو ديب ـ ص ٨٠ ط ٢/ ٨٤ ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت.

٣٢ ـ دراسات عربية ـ ع٣/٤ ـ ص ١٠١.

٣٣ ـ «تاريخ آداب اللغة العربية) م٢/ ج٤/ ص٥٠٨ ـ ط ٢/ ٧٨ ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.

٣٤ ـ الاستشراق والخلفية... مرجع سابق ص ٢٩.

٣٥ ـ نذير حمدان «الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين» ذكره د. الوزان ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦.

٣٦ ـ الدراسات العربية الإسلامية أوروبا ـ ص ١٨ و ١٩.

٣٧ ـ عن «الإسلام اليوم» ـ مرسيل بوازار ـ ص ١٩ ـ ط١/٨٦ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت «باشتراك مع اليونسكو».

٣٨ ـ مجلة «الفكر العربية» ـ عدد ٣٢ ـ ص ١٧٢.

٣٩ ـ ورد في مقال له: «... مع أن الاستشراق جعل مهمته الرئيسية إن لم تكن الوحيدة هي معرفة الشرق وذلك منذ قيامه في القرن الثامن عشر، فإن حاجة الغرب إلى معرفة الشرق بقيت قائمة تتجدد باستمرار...» راجع جريدتي «الشرق الأوسط» ص ١٩ و «الاتحاد الاشتراكي» ص ٢ ـ ليوم ١٧ ـ ٢ ـ ٩٤.

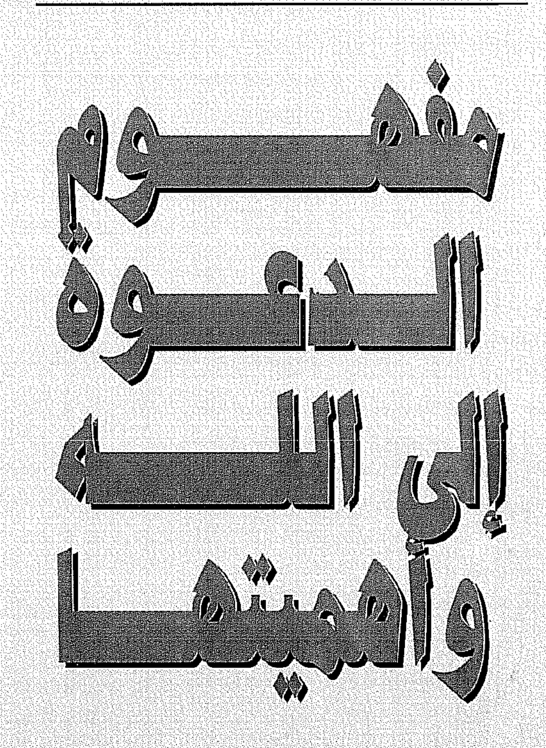
٤٠ ـ راجع حوار أجرته معها جريدة «المحرر» عدد ٢٦١ ـ ١٨ ـ ٩٤ ـ ص ١٦.

٤١ ـ الاستشراق في أفق انسداده ص ٧ ط١ ـ ٩٪ ـ المجلس القومي للثقافة العربية ـ الرباط.

٤٢ ـ نفسه ـ ص ١٩.

يقول علماء المنطق: «الحكم على شيء فرع عن تصوره». إذ لا يمكن الحكم على المجهول، كما لايمكن الحكم على شيء مختلف في تحديد، ماهيته، وتصوير حقيقته، أي شيء هو، لذا كان علينا بادئ ذي بدء أن نكشف عن مفهوم الدعوة إلى الله وحقيقتها وأهميتها بالنسبة للمجتمع المسلم.

بقلم : عبدالعليم أحمد محمد عوض



الدعوة إلى الله لغة:

والدعوة لغة هي الصياح أو النداء والطلب، تقول، دعوت فلانا، أي صحت واستدعيته وقد تتعدى بحرف الجر «إلى» فيراد بها الحث على فعل شيء، تقول: دعاه إلى الشيء تعني: حثه على قصده ودعاه إلى الصلاة، ودعاة إلى الزكاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب، حثه على اعتقاده.(١)
أو الحث على قصده، أو المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إليه.(٢).

التعريف الاصطلاحي:

عرفها بعض العلماء بأنها قيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة(٣)، وهناك تعريفات كثيرة جداً للدعوة:

التعريف الشرعي للدعوة:

وأما التعريف الشرعي للدعوة فيعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا»(٤).
ويعرفها الدكتور السيد الوكيل إذ يقول: «الدعوة إلى الله هي جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر - قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(٥)، ويقول الشيخ محمد الصواف: «الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه (إن الدين عند الله الإسلام)(٦)، ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم ولم يرض بغيرها بديلاً عنها: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(٧).
ويعرف الشيخ فتحي يكن الدعوة فيقول «الدعوة هدم وبناء، هدم للجاهلية بكل صورها وأشكالها سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية أخلاق أم جاهلية نظم وشرائع، في نظام حكمه وأسلوب معيشته، في تطلعه العقدي للكون والإنسان والحياة معاً.(٨)
وهذه التعاريف كلها تلتقي حول مضمون مهم جداً، هو أن الدعوة ليست مقصورة على مجرد التعريف والبلاغ، بل يجب أن تتعدى مرحلة البناء والتكوين والعمل لإنقاذ المجتمع من الضلال وظلمات الجهل إلى الهدى ونور العلم.

فرضية الدعوة ووجوبها على كل مسلم

والدعوة إلى الله على هذا النحو مشروعة على سبيل الفرض والإيجاب — لا يصح إهمالها أو التفريط فيها — وذلك للأوامر الواردة في هذا الشأن المباشرة أو غير المباشرة، الصريحة أو الضمنية منها.

الأمر المباشر:

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»(١٠)، «بلغوا عني ولو آية»(١١)، ومن الأوامر الصريحة غير المباشرة قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)(١٢)، وقوله تعالى: (وادع إلى ربك انك لعلى هدى مستقيم)(١٣)، وقوله تعالى: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت)(١٤)، وهذه جميعاً أوامر صريحة ومباشرة بإبلاغ الدعوة، والأمر إذا أطلق يفيد معنى الوجوب والإلزام، ما لم تكن قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره، ولا قرينة هنا.

وإذا كان هذا الخطاب للرسول وأصحابه بتبليغ الدعوة ـ فكيف بنا نحن المسلمين الآن الذين شأننا التفسير والتفريط ــ فالأمر في حقنا ـ «بعد ضياع الإسلام وضياع أبنائه وأراضيه» أوكد وأوجب للأمور التالية:

١ ـ فالأمر واجب وفريضة لأن رسالة رسول الله قائمة إلى قيام الساعة: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(١٥) ـ (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)(١٦)، (ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(١٧).

٢ ـ وكذلك فالأمر واجب وفريضة لقوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار)(١٨)، ولقوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون)(١٩).

٣ ـ وكذلك فالأمر فريضة وواجب ــ لأن التمكين لدين الله في الأرض يحقق الفلاح في الدنيا والآخرة وحفظ حق الحياة على الناس من حولنا واجب، والدعوة طريق لتحقيق هذا الواجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.(٢٠)

٤ ـ كذلك فالأمر فريضة وواجب ـ لأن العالم الآن يبحث عن الإسلام بعد أن عجزت كل النظم المادية والبشرية عن أن تقدم ما يسعد حياة الإنسان، وأصبح الناس يبحثون عن الإسلام الصحيح الذي يجدون فيه كل سعادتهم ومنشدهم، كما يقول ابن القيم ــ رحمه الله ـ حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفس ـ فضلاً عن الطعام والشراب ـ لأن غاية ما يقدر عند عدم التنفس موت البدن. وأما ما يقدر في موت الشريعة هو موت النفس والروح والقلب جملة وهلاك إلى الأبد وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت.(٢١)

٥ ـ كذلك لأن حياة البشر وسعادتهم ورقيهم ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمحافظة على الدين وكم من أمة أهلكت بانحرافها عن طريق الهداية ومن نجا منهم من العذاب الدنيوي فحياتهم كالأنعام بل هم أضل.

٦ ـ لا غنى للبشرية في أي جيل أفرادا كانوا أو جماعات عن الدين، إذ يؤكد هذا تتابع بعثة الأنبياء لتقيم المعوج وتهدي الضال وترد الشارد وتذكر الغافل وتستقيم حياة الناس ما قام فيهم دين الله ويعاودها الانحراف كلما خبت فيها جذوة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت الدعوة إلى الله هي عماد حياة الأمة واستقرارها واستمرارها راشدة مهدية، ولكي يحفظ للأمة هذا الاستقرار يجب أن يكون منطلق الاهتمام هو أساس هذا الاستقرار وعامله الرئيسي وهو إحياء وإنماء وظيفة الدعوة إلى الله في نفس كل مسلم، لتستمر رسالة الدين وتبقى وظيفته وتؤدى واجباته وتظهر آثاره على مسرح الحياة في الناس.

٧ ـ إن الدعوة إلى الله ــ من هذا المنطلق ـ لصيقة بالمجتمع تخاطب أفراده وجماعاته صغارا وكبارا وتتعامل عن قرب مع المؤثرات فيه، وهي متغيرة متطورة ولذلك يجب أن تسير الدعوة في تخطيطها ووسائلها وأساليبها مع حاجة المجتمع لكي تنفذ فيه وتصل رسالتها إليه بأمن وسلام.

٨ ـ إن التغير الكبير في المجتمع سواء على المستوى المحلي أو العالمي، واتساع الرقعة وتضاعف البشرية وتهيؤ الجديد من الوسائل والأساليب والإمكانات التي لم تكن متاحة من قبل، كل هذا يستدعي أن تكون الدعوة تخطيطا وتنفيذا وتقويما ووسيلة ــ ذات مستوى يتلاءم مع مكانتها والحاجة إليها وما لديها من مقدرات وإمكانات كبيرة مراعى في ذلك كله حاجة المجتمع الذي تعمل فيه وظروفه وتلك مسؤولية لا يمكن أن يقوم بها الجهد الفردي وحده ــ لذلك يجب أن تتضافر تلك الجهود من الأفراد والجماعات لتنهض بالدعوة إلى الله في إطار دعوي، مؤسسة مشتركة تحقق البلاغ المبين المطلوب من هذه الأمة مصداقاً لقوله تعالى: (فهل على الرُسُل إلا البلاغ المبين)(٢٢).

أهمية العمل الدعوي في المجتمع

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢٣)، فالأصل في بني آدم هو سلامة الفطرة، والفطرة هي الإسلام، ولكن يطرأ عليها الانحراف تحت أي عامل أو ظرف يزيغه في حياته بعد ذلك.

وقد جاءت بعثة الأنبياء لتحافظ على هذه الفطرة ولترد المعوج منها إلى جادة الصواب والرشد مرة بعد أخرى حتى جاءت بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكانت رسالته هي الخاتمة، وتحملت أمته واجب الدعوة إلى الله والقيام على المجتمعات بالإرشاد والإصلاح.

وقامت بالدعوة إلى الله في مراقبة المجتمع واعادته إلى جادة الرشد مرة بعد أخرى، والدعوة إلى الله هي صمام الأمان في المحافظة على بقاء الدين ابتداء وانتهاء وإنماء، فإن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تحمي المجتمع من الغلو في مختلف أوجه الحياة، لأن الغايات التي يسعى إليها الداعي إلى الله هي إقامة العدل وإحياء فريضة الوسطية في الدين، غاية كبيرة من غايات الرسل جميعا، يقول تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وهو العدل، فلا إفراط ولا تفريط بعيداً عن كل صفة من صفات الغلو أو التقصير في حقوق الله أو حقوق الناس أو حقوق النفس.(٢٤)

هذا التوسط الذي يتحقق من خلال جهود الدعاة إلى الله يوفر للمجتمع استقرارا فريدا يجعل أفراده يمارسون حياتهم ويزاولون عباداتهم ويؤدون واجباتهم على نور وبصيرة: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (٢٥).

وللدعوة صلة بالاستقرار النفسي سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي من خلال ما يوفره العمل الدعوي من توضيح ما يتعلق بأمور الغيب، ذلك أن ما يخفى على الفرد أكثر مما يعلمه، وهو بحاجة ملحة إلى توجيه الأمور الغيبية بالنسبة له توجيهاً يهيىء له راحة

القلب وصفاء النفس.
فالموت وما بعده من الحساب والجنة والنار إذا غفل عنها الإنسان تغير سلوكه وانحرفت أفكاره وتشتت غاياته، أما إذا تمت تجليتها وتعامل معها تعاملا سليما سمت نفسه إلى أخلاق وسلوك وأهداف سامية تضفي على حياته وحدة الغاية والهدف، لا تشتت فيها ولا تناقض ولا تعارض وتجعله يحمل بين جوانحه نفسا مطمئنة في كل خطواتها.(٢٧)
وعندما تتحد الأهداف تتحد القلوب، وينمو في المجتمع التآخي والألفة بدءا من اللقاء اليومي المتكرر في المسجد والصلاة خلف إمام واحد، وانتهاء بسائر أمور العبادة الأخرى التي تصب كلها في نهر واحد يتجه نحو مرضاة الله سبحانه وتعالى.
والحديث عن وحدة الهدف يذكر بالأثر الكبير للدعوة في الوحدة الكاملة للأمة الإسلامية، ذلك أن الوحدة الإسلامية تنطلق من وحدة الفكر والثقافة بالإضافة إلى وحدة الأهداف والغايات، وهذا هو الأساس المكين لكي تتحد شعوب الأمة الإسلامية.
وللدعوة إسهامها في وحدة الأمة الإسلامية، كما أن لها الدور الأسمى في المحافظة على وجود الأمة واستمرار مبادئها وسلامة عقيدتها، وتنمية العزة في نفوس أبنائها، (وقد تبين أن أي أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة والتقدم لا تحافظ على وجودها وعلى مبادئها وعقيدتها وأن موقف المدافع يبقى موقف الضعيف المعرض للخطر، وكل من لا يكون داعية يكون هدفاً لدعوة أخرى، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والثبات عليه ومتانة العقيدة والاستماتة في سبيلها هي الدعوة إليها، فالداعية دائما قوي الإيمان بمبدئه، متحمس في عقيدته، نشيط في عمله مستهين بغيره، فإذا أردنا أن نخلق في طلبتنا هذه الصفات، وأن يخرجوا من الخطر على دينهم، ونأمن عليهم الاندماج في غيرهم والوقوف في المعسكر المخالف فينبغي علينا أن نجعلهم دعاة، وإذا أردنا أن نجعلهم متدينين فينبغي علينا أن نجعلهم دعاة إلى الدين، وقد جربنا ذلك في الهند(٢٨) وكان نجاحنا باهراً.(٢٩)
وإن كنا اليوم ندرك الفارق الكبير والسباق الرهيب للغرب على الأمة الإسلامية، فإن اللحاق بهذا الركب والاستفادة مما عنده ليس في التركيز على استخدام وسيلتهم فحسب، بل هناك ما هو أعم وأجدى وهو حمل هذه الدعوة الإسلامية إليهم، وعندها يصبح هذا التفوق ملكا للمسلمين يستفيد منه القاصي والداني في هذا الأمة على حد سواء.
وأخيرا فإن العمل الدعوي في الأمة شهادة تزكية لها، فالخيرية التي وصفت بها الأمة ارتبطت بالقيام بالدعوة، وانتفاء الدعوة انتفاء للخيرية(٣٠)، التي قامت عليها، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(٣١).
وهذه الخيرية المتحققة للأمة بصفتها «أمة واحدة» من خلال الدعوة إلى الله، كأنما تشير إلى جانب مهم وهو أن الاستقرار الأمني والسياسي لهذه الأمة أيضا مرتبط بالدعوة، ومتى انفرط عقد الدعوة لم تكن بعد ذلك «أمة» وإنما أفراد موزعون شتى.
هذه الصلة الوثيقة بين الدعوة والمجتمع تلقى مزيدا من المسؤولية وتتطلب جهداً متميزا يتناسب وحجم الحاجات والتحديات، التي لابد أن تتضافر فيها كل الإمكانات المعاصرة وتسخيرها لتقديم الدعوة للناس بأفضل طريق وأنجح أسلوب دون أن يمس ذلك المضامين الثابتة للدعوة. ■

الهوامش

١- انظر في الصحاح للجوهري، والمعجم الوسيط، والصحاح في اللغة والعلوم.
٢ - مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٤٦ - جمادى الآخرة ١٤١٥هـ- نوفمبر ١٩٩٤م الكويت.
٣ - انظر الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها - د. أحمد غلوش - ص١٠.
٤ - انظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية - ١٥٧/١٥.
٥ - سور آل عمران - ١٠٤، هذا الكلام ورد في كتاب «أسس وآداب الدعاة» محمد السيد الوكيل.
٦ - آل عمران - ١٩.
٧ - آل عمران - ٨٥.
٨ - الإسلام - فكرة - حركة - انقلاب - أ. فتحي يكن ص ٣٩.
٩ - آل عمران - ١٠٤.
١٠ - الحديث جزء من حديث طويل/ أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم باب قوله: «ربَّ مُبلغ أوعى من سامع».
١١ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء وكذلك الترمذي في السنن - كتاب العلم، والدارمي في السنن - المقدمة.
١٢ - سورة النحل - ١٢٥.
١٣ - سورة الحج - ٦٧.
١٤ - سورة الشورى - ١٥.
١٥ - سورة الأنبياء - ١٠٧.
١٦ - سورة الأعراف - ١٥٨.
١٧ - سورة الأحزاب - ٤٠.
١٨ - سورة البقرة: ١٧٤.
١٩ - سورة آل عمران - ١٨٧.
٢٠ - انظر كتاب: «كيف ندعو إلى الإسلام - د. فتحي يكن.
٢١ - مفتاح دار السعادة - ابن القيم.
٢٢ - سورة النحل - ٣٥.
٢٣ - انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - ج٣ ص ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥.
٢٤ - سورة الأنعام - ٨٢.
٢٥ - انظر كتاب د. عبدالحليم محمود / فقه الدعوة إلى الله ج١ ص٥٦.
٢٦ - المصدر السابق - فقه الدعوة إلى الله.
٢٨ - القائل هو فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي.
٢٩ - أبو الحسن الندوي - كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية - ص١٩.
٣٠ - انظر تفسير المراغي ج٤ - ص ٣٠، وكذلك انظر أمين حسن إصلاحي - منهج الدعوة إلى الله - ص٢٩.
٣١ - سورة آل عمران - ١١٠.

شخصيات

البيروني أعظم عقلية معرفية عرفها التاريخ

لعبت الحضارة الاسلامية اعظم دور في ارساء قواعد وأسس بناء الحضارة العالمية وبخاصة في مجال العلوم الطبيعية، وقد اعترف الغرب والشرق بهذا الدور العظيم الذي لعبته هذه الحضارة، كما لم يحدث ان فرغت المكتبة الغربية والشرقية من الاشارة الى ماللمسلمين من اثر بارز وجهد بالغ ملموس، في مجال العلوم: الفلكية، والطبية، والكيميائية، والرياضية، لدرجة ان صور العلماء العرب قد تصدرت بعض دور العلم، والمكتبات الرئيسية، الامر الذي يمثل اعظم تقدير، واجلّ اعتراف بما يمثله اثر المسلمين في تاريخ العلوم، ودورهم في نقل العلوم القديمة عن «اليونان» ثم نقلها مرة اخرى الى «أوروبا» من خلال حركة الترجمة في كل من «اسبانيا» و«ايطاليا» تلك الحركة التي تعد بمثابة العامل الفاعل في اشعال جذور النهضة الاوروبية.

بقلم: محمد رجاء حنفي

ولم يكتف العلماء العرب بنقل العلوم او شرحها، بل توسعوا فيها، واضافوا اليها اضافات مهمة شقت بها الطريق الى العصر الحديث، عصر التجربة والخطأ، والبحث العلمي الجاد.

ولو استعرضنا الاسماء الكبيرة، والتي تبدو وكأنها نجوم لامعة في سماء العصور الوسطى لتبين لنا قيمة المساهمة العربية الاسلامية الفاعلة في الحضارة الانسانية، مثل: الكندي وثابت بن قرة، و الحسن بن الهيثم، و ابن البيطار وابن سينا وجابر بن حيان و ابو بكر الخوارزمي والرازي وابن يونس المصري وابو الريحان البيروني الذي يعد نقطة الوصل وهمزتها القوية بين الثقافة الهندية والثقافة الاسلامية والذي خصصنا لها موضوعنا هذا:

نشأته وحياته

ولد أبو الريحان البيروني- محمد بن أحمد- في شهر ذي الحجة، من سنة ٣٦٢ من الهجرة، الموافق الرابع من شهر سبتمبر، من سنة ٩٧٣ من الميلاد، في ضاحية من ضواحي خوارزم، وتقع هذه الضاحية الآن والتي صارت تحمل اسم شمال مدينة «كييف» على نهر «آموداريا» في مجمهورية «اوزبكستان».

درس البيروني منذ صغره الرياضيات، والفلك والطب وعلم التاريخ والتقاويم واستوعب ذلك كله استيعابا كاملا، وعندما شب عن طوقه استقر في بلاط امراء ذلك العصر الذين كانوا يبذلون اقصى طاقاتهم لاجتذاب العلماء والادباء الى بلاطهم، ويهيئون للعلماء افضل السبل والاجواء للتأليف والبحث.

ثم بعد ذلك اضطر البيروني الى ان يهجر مسقط رأسه ومحل ولادته سعيا وراء الحياة الهادئة، والمعيشة الرغدة، حيث استقر في مدينة «جركان» التي تقع في الجنوب الشرقي لبحر «قزوين» وهناك التحق ببلاط السلطان «قابوس بن شجمير» واتيحت له الفرصة لان يتتلمذ على يد العالم «ابو سربيء عيسي» وقد ألّف خلال اقامته في هذه المدينة اول كتبه الرئيسية (الآثار الباقية عن القرون الخالية) وهو كتاب يعد موسوعة في علمي: الفلك، والنجوم.

كان البيروني باحثاً فيلسوفاً، رياضياً جغرافيا، ذا ثقافة واسعة ومن اعظم علماء الاسلام ومن اكابر العلماء

وقد التقى في اثناء اقامته بـ« جركان» بأشهر علماء زمانه وفيلسوف عصره، العالم الكبير «ابن سينا» فجمعت بينهما الصداقة الوطيدة، وتبادلا سويا المراسلات، وتناقشا في المسائل والآراء.

وعلى الرغم من ان البيروني كان على صلة وثيقة وعلاقة قوية بـ «ابن سينا» والعالم الكبير «الفارابي» الا انه من ناحية نزعته العلمية يعد في الحقيقة تلميذاً لـ « الكندي» فيلسوف العرب و«المسعودي» الذي كان يمثل النزعة الانسانية.

واذا كان «ابن سينا» يمثل الروح العلمية الفلسفية في جميع الافكار ووضعها على شكل نظريات واحكام عامة فان البيروني يمثل روح النقد الجريء، فلقد امتاز بأنه ذو روح ناقدة جريئة.

ولقد كان البيروني على جانب كبير من الدهاء، وسعة الحيلة، والذكاء الخارق والى جانب ذلك فقد كان معروفا بسعة الاطلاع،

فلايرى الا منكبا على تحصيل العلوم، عاكفا على قراءة الكتب ودراسة مافيها بدراية وإلمام كاملين، فلايفارق القلم يده، ولاعينه النظر، ولاعقله التفكير، ولذلك قضى البيروني معظم حياته في كشف قناع المشكلات.

لغات البيروني

وكان البيروني يجيد اكثر من لغة، فهو الى جانب اجادته للغة العربية، واللغة الفارسية اجادة تامة، كان ملما باللغات: «السنسكريتية» و«اليونانية» و«العبرية» و«السريانية» هذا بالاضافة الى لهجة «خوارزم» مسقط رأسه.

ولم يكد يأت عام ١٠١٠ من الميلاد حتى عاد البيروني الى «خوارزم» مرة ثانية فكلفه اميرها «المأمون بن محمد خوارزمة» بالقيام ببعض المهام السياسية بيد ان ايامه لم تدم في بلاطه،اذ ظهر على المسرح السياسي محمود بن سبكتكين الذي تمكن من ان يستولى على اكثر السلطنات الصغيرة، والامارات التي كانت تحت اشراف الدولة «السامانية» ومن بينها «خوارزم» ووقع عدد كبير من العلماء ومن بينهم البيروني في قبضة يده، وكاد ان يقضي عليه لولا انه ادرك قيمته العلمية، فقربه منه واستصحبه معه في غزواته إلى بلاد «الهند» في ثلاث عشرة غزوة.

وقد أتيح للبيروني خلال تلك الفترة ان يحيط بعلوم «الهند» ويلم بمعارفها وان ينشر في نفس الوقت العلوم العربية واليونانية في تلك البلاد، وبعد وفاة «محمود بن سبكتكين» خلفه ابنه «مسعود» فقرب البيروني وألحقه ببلاطه، وهناك أخرج سفره العظيم، والذي اطلق عليه اسم «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم».

ويعتبر هذا الكتاب موسوعة وحده في علوم: الفلك، والجغرافيا، والهندسة، والرياضيات، ويبحث فيه البيروني عن هيئة الموجودات الكلية في العالم، وعن العالم كجرم مستدير الشكل، وعن كروية الارض، وكروية السماء، وعن الكسوف، والأيام، وشهور العرب، وشهور «الفرس»،والاعياد، والمناسبات الدينية عند مختلف الأمم، وحساب المثلثات وبخاصة حساب المثلثات الكروية، ودوائر الكرة السماوية، وصورة الارض وابعادها، وحساب المسافات بين بلدين معلومي الطول والعرض، وسمت القبلة، وحركات الكواكب المتحدة.

وبعد ان تنقل البيروني كثيرا في بلاد «الهند» عاد مرة اخرى الى «خوارزم» وظل بها الى ان وافاه الأجل المحتوم، في الثالث من شهر رجب، سنة ٤٤٨ من الهجرة الموافق للثالث عشر من ديسمبر، سنة ١٠٤٨ من الميلاد.

وتذكر بعض المراجع التاريخية ان وفاته كانت سنة ٤٥٠ من الهجرة، معتمدة في ذلك على ماجاء في مقدمة كتابه« الصيدلة في الطب» ان عمره قد نيف على الثمانين سنة هجرية، فاذا صح ميلاده سنة ٣٦٢ من الهجرة، فانه يتعين ان يكون على قيد الحياة خلال سنة ١٠٥٠ من الميلاد.

تراثه العلمي

لأبي الريحان البيروني عدة مؤلفات عظيمة القيمة رفيعة القدر في الفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والطب والفلسفة وغير ذلك من العلوم الامر الذي لايدع مجالا للشك في انه كان يتمتع بعقلية جبارة وروح متفتحة، ومقدرة كبيرة على الاستيعاب وعلى الاداء.

وقد بلغت مؤلفاته قرابة المئة والثمانين كتابا، لم يصلنا منها الا القليل ككتابه «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم» و«تاريخ الهند» و«راشيكات الهند» و«الابعاد» و«الاجرام» و«الصيدلة في الطب» و«الجماهر في معرفة الجواهر» و«استخراج الاوتار في الدائرة» و«الآثار الباقية عن القرون الخالية» و«التفهيم لاوائل صناع التنجيم» وما الى غير ذلك من مؤلفاته القيمة.

ابتكر البيروني نظرية جديدة لاستخراج محيط الارض سماها علماء الغرب «قاعدة البيروني»

كما طرقت اهتمامات البيروني جميع مجالات العلوم على اختلاف انواعها، وتنوع فنونها وهذا التراث الضخم العظيم القيمة من الناحية العلمية قد نقل بعضه عن طريق الترجمة الى اللغات: «الفرنسية» و«الانكليزية» و«اللاتينية» و«الالمانية» فجاء ذلك بحرا زاخرا ومنهلا عذبا لعلماء «اوروبا» في دراساتهم العلمية والتاريخية لبلاد الشرق.

أعظم عقلية عرفها التاريخ

ان ماحققه البيروني من اعمال وما أدخل من نظريات جديدة، جعلته يستحق بأن يوصف عن جدارة بأنه «اعظم عقلية عرفها التاريخ».

ولم يكن البيروني يؤمن بقاعدة «اعتناق الآراء المسلم بها» من غير تحقيق او تدقيق ويصر على وجوب مراقبة الامور ومباشرتها، اي ان الانسان يجب عليه ان يمتحن الاشياء بعقله، ويبحث عنها، ويخضعها لمختلف ألوان التجربة، فهو لم يتخذ أقوال المتقدمين حجة ثابتة، وقضية مسلمة، لاتجوز مناقشتها، ولايمكن ان يتطرق اليها الشك، ولايكتفي بالاستنتاج المجرد، لانه يرى ان العلم اليقيني لايحدث في احساسات يؤلف بينها العقل على نمط منطقي ويحذر من قبول التقليد قبولا اعمى.

ويرى أن من يقول: «الله أعلم» لايحق له ان يعفي نفسه من المسؤولية، مسؤولية الجهل بالامور فيما ينبغي ان يكون من علم الانسان، كما انه كان يعتمد على المصادر الأولية فيقرأ الكتب في اصولها، وليس مما نقله عنها الآخرون.

ويعد ماوضعه البيروني من منهج في البحث عملا عظيما، وجهدا فريدا، وقد كان يهتم باتخاذ الوسائل الضرورية للبحث، والكشف عن الحقائق.

ولقد كان البيروني يعنى أشد العناية بالمقدمات في كتبه، ويميل الى اطالتها والاسباب فيها، حتى لكأنها تبدو كتبا قائمة في حد ذاتها، وفي هذه المقدمات يرسم طريقته في البحث، واسلوبه في استخلاص الحقائق، وهذه الطريقة لاتخرج عن طرق البحث في العصر الحديث، ولا عن الطريقة العقلية الحديثة،

التي يفتخر بها الأوروبيون، ويزعمون انهم هم الذين وضعوا اصولها.
وقد ظهرت هذه الطريقة في «أوروبا» في القرن السابع عشر عندما ساد العلم وهذه الطريقة تقوم على ملاحظة الظواهر وتحليلها تحليلا عقليا، ثم ربط هذه الظواهر ببعضها بعضاً، ووضع الفروض في حلها، وامتحانها، وتجربتها، وابعاد ماتدل التجربة على خطئه، فهي في اساسها تقوم على التجربة والملاحظة، وعدم التأثر بما ورد في كتب القدماء او جاء في الكتب الدينية ومقررات الكنيسة.
ثم جاء من بعده عالم زمانه وعبقري عصره «ابن خلدون» الذي ضمن مقدمته المشهورة في التاريخ بعضا من هذه النظريات.
وللبيروني كتاب يعد من اشهر ما ألفه من كتب، وهو كتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» وقد جمع فيه كل المعلومات من واقع حسه ومشاهداته اثناء زياراته المتكررة لهذه البلاد.
ويبحث هذا الكتاب في معتقدات الهنود وشرائعهم، وفي احكام العبادات ونظام الطبقات ومختلف اوجه الحضارة، والنشاط البشري، كأنواع الخط، والنحو والشعر، وعلم الفلك ويعتبر هذا الكتاب الى وقتنا الحاضر مصدرا من اهم مصادر الحضارة الهندية وفلسفتها، فهو لايترك ناحية من نواحي الدين والفلسفة والحقيقة الإلهية إلا ويدرسها، ولايترك ناحية من نواحي المادة والفردوس والجحيم والارواح وتناسخها أو حلولها في موضع الجزاء من الجنة او النار الا ويحللها.
ولقد شملت ابتكارات البيروني في الرياضيات: المتواليات الهندسية، وتثبيت الزوايا وحل الكثير من المسائل الهندسية فضلا عن مساهمته الفعالة في تطوير حساب المثلثات، وكان له عدد من النظريات المهمة في سرعة الضوء التي تزيد عن سرعة الصوت سرعة هائلة وتمكن من معرفة الثقل النوعي لبعض العناصر والمركبات، بابتكاره طريقة فريدة في نوعها لم يسبقه اليها أحد، وذلك عن طريق استخدامه لجهاز مخروطي الشكل فوهته منكسة الى اسفل ومن ثقل الجسم في الهواء والماء تمكن من معرفة مقدار الماء المزاح، ومن مقدار الماء المزاح ووزن الجسم في الهواء قدر الثقل النوعي لتسع وعشرين عنصرا بسيطا ومركبا من الاحجار الكريمة.
ويعد البيروني هو اول من شرح الارقام الهندية شرحا وافيا وهذه الارقام هي التي اتخذت اساسا للارقام العربية، يقول البيروني: ان صور الحروف وارقام الحساب تختلف باختلاف المحلات وان العرب اخذوا احسن ماعند الهنود فقد كانت لدى الهنود اشكال عديدة للارقام فهذب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين، عرفت احداهما بالارقام الهندية وهي التي تستعملها اكثر الاقطار الاسلامية، وعرفت الثانية باسم الارقام الغبارية وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس، عن طريق هذه البلاد دخلت الارقام الغبارية الى اوروبا، وعرفت عندهم باسم الارقام العربية.
وقد ابتكر البيروني نظرية جديدة لاستخراج محيط الارض واستخدم في ذلك معادلة لحساب نصف قطر الارض، وسماها علماء الغرب «قاعدة البيروني».
ولم ينس الى جانب تعمقه في العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية الفلسفة، فقد كان يراها ظاهرة من ظواهر المدنية.

منزلته وفضله

يعتبر واحداً من الخالدين الذين يمثلون العقلية العربية الفذة الجبارة، فيما وصلت اليه من امتياز في التفكير، وقدرة على التمحيص والاستنباط والاستنتاج الجيد.

البيروني كان على جانب كبير من الذكاء الخارق وسعة الاطلاع منكباً على تحصيل العلوم عاكفاً على قراءة الكتب ودراسة مافيها

لقد كان – رحمه المولى سبحانه تبارك وتعالى– عالما دقيقا يعرض آراء السابقين بعد ان يستوعبها ويدرسها دراسة مستفيضة ويضيف اليها الكثير والعديد من انتاجه العلمي الخاص فزاد بذلك في الثروة الانسانية العلمية وتراثها الفكري صفحات مضيئة لامعة وقد استمد منه ابو الفداء في الجغرافيا في جداول الطول والعرض، واستند الى آرائه سائر المشرقيين في الفلكيات ولقد تميزت مؤلفاته بروح التسامح، والبعد عن التعصب بجميع اشكاله والجرأة في النقد.
وقد اعجب بعقلية البيروني النادرة كل من درسوا آثاره العلمية من علماء الاستشراق فقيل عنه: البيروني اعظم عقلية عرفها التاريخ.
وان البيروني كان ألمع زمانه في الرياضيات، وان الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها في العلوم.
وكان البيروني باحثا، فيلسوفا، رياضيا، جغرافيا، ومن اصحاب الثقافة الواسعة بل من اعظم علماء الاسلام ومن أكابر العلماء.
وان الشيخ أبا الريحان البيروني اعظم مفكر ظهر على وجه البسيطة.
كما أن البيروني كان ذا شخصية فذة، وعقلية جبارة، وحقلا خصبا من حقول التفكير الاسلامي ولذلك وضعه مؤرخو الحضارة في طليعة الصفوة الممتازة والمختارة من علماء المسلمين الذين اتصفوا بالعالمية في تفكيرهم، والذين حملوا ألوية العلوم الاسلامية في العصور الوسطى، في حماسة شديدة، وقوة أكيدة واخلاص عميق وفي ايمان مطلق بانسانية العلم وايجابياته.
والبيروني واحد من الذين حفل بهم التاريخ في فترات متفاوتة، واحد العلماء العظام الذين ملأوا سمع الدنيا بأعمالهم المجيدة، واكتشافاتهم العظيمة، وابتكاراتهم الرفيعة والتي صارت من الأعمدة التي يقوم عليها العلم في العصر الحديث.
اننا نأمل ان يتخذ شبابنا من ماضيهم العريق نقطة انطلاق الى مستقبل مشرق، حتى يعيدوا لأمتهم العربية والاسلامية ازدهارها وقوتها، وترجع الى سابق عهدها ومجدها. ■

في ندوة علمية:

العلماء واللغويون يدعون إلى التفكير في لغة القرآن

تابع الندوة: نبيل فولي محمد

علاقة حميمة، فالفكر يظل حبيساً في نفس صاحبه، ولا يفك أسره إلا لغة مكتوبة أو منطوقة، وما سوى ذلك مما يستعمله الإنسان من الإشارة على هامش الحياة.

واللغة دائماً ـ أي لغة ـ لا تنفك تتحيز لقيم معينة، وتعكس في مرآتها ذاك التراث الذي ترعرعت في ظلاله، وسمات تلك الحياة التي عاشها أصحابها الأولون.

كما أن الأفكار والعقائد قد تُوسع مدى انتشار اللغة زمانا ومكانا، وتثريها بمعانٍ ومفاهيم جديدة، وقد تصبح عقيدة ما ــ أو منهجاً ومذهباً ـ بعدا لا يغيب عند استعمال لغاتها التي صيغت بها.

وما من لغة ارتبطت بدين مثلما ارتبطت العربية بالإسلام، حتى أصبح فرض عين على كل المسلم أن يعرف من هذه اللغة قدرا يصلح أن يقيم به عباداته وشعائره، ورحلت العربية مع العرب المسلمين إلى شعوب الأرض شرقها وغربها، ولم تغادر قارة من قارات العالم القديم إلا دخلتها مع المسلمين الذين حملوا لغة الثقافة والأدب والعلم

واستعمل القرآن لغة العرب نفسها التي كانت سائدة فترة نزوله على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، غير أنه أثرى معانيها أكثر مما كانت عليه، وأضفى على ألفاظها وتعابيرها ظلالاً إسلامية واضحة، فلما عاشا معا ــ اللغة والدين ـ دهراً طويلاً حملت روحه في تراث غزير يمثل اليوم عاملاً شديد الأهمية في جمع كلمة المسلمين بهويتهم الخاصة.

وقد عقدت في القاهرة أخيرا ندوة حول «التعريب ضرورة حضارية»، فتحول الحديث إلى التفكير والهوية وصلتهما باللغة، وأن التفكير باللغة العربية هو الباب الصحيح الذي يؤدي إلى حفظ الهوية وصيانة الذات الخاصة.

شارك في الندوة نخبة من العلماء واللغويين: أ. د. كمال بشر ـ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأحد كبار المهتمين بالدرس اللغوي في المنطقة العربية، وأ.د. محمد الرخاوي ـ أستاذ التشريح في طب القصر العيني، وأ.د. أحمد مستجير ـ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأستاذ في كلية الزراعة، وأ.د. إبراهيم لبيب ـ الأستاذ في طب القاهرة.

تعريب الفكر:

اعتبر مقدم الندوة د. محمد حبلص ـ أستاذ علم اللغة المساعد في دار العلوم ـ أن قضية تعريب العلوم ليست قضية لغوية، وإنما هي قضية حضارية ثقافية، وصراع تريد فيه الحضارة الغالبة أن تغزو كل شيء، سلوكنا وقيمنا ومركبنا وملبسنا ومسكننا وتغزو من خلال كل ذلك لغتنا.

وأكد الدكتور كمال بشر أن أساس قضية التعريب هو تعريب الفكر وأن هذه هي البداية الصحيحة، وأضاف أن التعريب ـ مصطلح ــ يطلق في الثقافة العربية على أربعة معان:

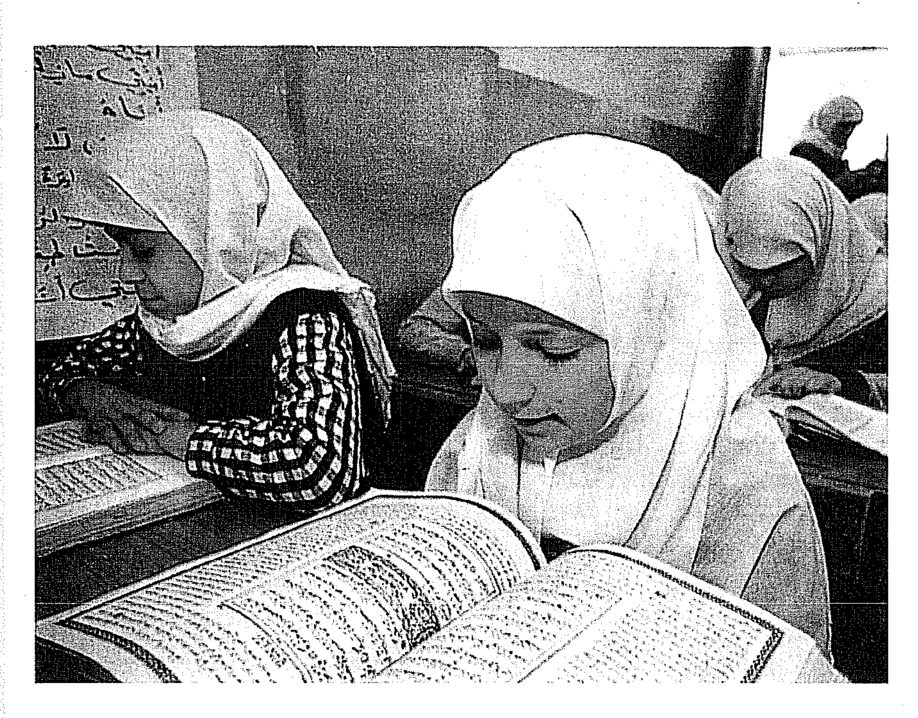
الأول: تحويل النص الأجنبي إلى الأفكار العربية، كتعريب المسرحيات والروايات التي بدأها المنفلوطي وأحمد حسن الزيات.

النوع الثاني: يطلق على الترجمة، وهذا جائز، وهو نقل الأفكار من لغة إلى لغة، ويعني هنا اللغة العربية.

النوع الثالث: إخضاع الكلمة الأجنبية للقواعد الصوتية والصرفية العربية، مثل ترام، تلفزيون ، راديو...

النوع الرابع: تعريب الفكر إذ من الضروري ـ إذا أردت أن تكتب بالعربية ـ أن تفكر عربيا.

وفي هذا الميدان يركز د. أحمد مستجير على أن القضية خطيرة جداً، وأتعجب لأن البعض لا يأخذونها على محمل



الجد، وأنا لا أعرف كيف يمكن لشعب في العالم أن يدرس العلوم بلغة شعب آخر، حتى اليهود لما صنعوا لأنفسهم كيانا اتخذوا العبرية لغة للعلوم... نحن فقط ندرس العلوم بغير لغتنا.

وتساءل بدهشة: لماذا لا نعرّب العلوم؟ إن عدم ترجمة العلوم إلى لغتنا يحجب العلم عن الناس، وبذلك نصنع نوعا من «الكهنوت» فلا يصل أحد إلى العلم إلا من يعرف لغة غريبة عنه، ويجب أن يصل العلم إلى الناس لا لكي يصبحوا جميعا أطباء أو زراعيين أو علماء، ولكن ليعرفوا عموما ماذا يجري في العالم.

وذكر الدكتور مستجير من خلال خبرته ما يؤكد ارتباط التقدم بالاعتزاز باللغة الخاصة، يقول: دعتني الجمعية الجغرافية الألمانية لإلقاء أحد بحوثي في مؤتمر علمي دولي، وعندما بدأت ألقي بحثي بالإنكليزية استوقفني رئيس الجلسة، وطالبني باستعمال الألمانية في الحديث، رغم أن الجالسين كانوا من العلماء والباحثين الكبار، ويتحدثون الإنكليزية، فاعتذرت لأنني لا أتقن الألمانية، فأناب عني أستاذاً ألمانياً ألقى البحث بدلاً مني بالألمانية، وقد أثرت فيّ هذه الحادثة جداً.

وأكد في ختام حديثه خطورة موضوع اللغة واستخدامها في العلوم، فهو موضوع متعلق بالهوية والتقدم إلى الأمام مع العالم، فإذا أردنا مواكبة العالم فلابد من التعامل مع العلم بلغتنا.

لماذا التعريب؟

بدأ د. محمد الرخاوي حياته الطبية معارضا للتعريب أشد المعارضة، وقد انفعلت ـ كما يروى هو عن نفسه ـ في فترة من فترات حياتي بالغرب، وظننت أنه لكي ننهض فلابد أن نتبع خطوات الغرب، وكنت أناهض قضية التعريب بالحق والباطل.. الآن أصبحت من أكثر الدعاة إلى التعريب تحمسا، وأصبح هو القضية التي تشغل بالي مع الطب، حتى شعرت أن التعريب أصبح فرض عين عليّ وليس فرض كفاية.

وأضاف: وأنا أقول ذلك من واقع خبرتي باللغتين الإنكليزية والعربية، أما العربية فقد نشأت معي في بيت كنت أقرأ فيه القرآن، وكان أبي يجلس بنا في رمضان بالذات لنقرأ القرآن جماعة، فنشأت أنا وإخوتي وألسنتنا مستقيمة على لغة العرب، وأما الإنكليزية فقد درست الطب بها في أمريكا وكندا وإنكلترا، وأثنوا هنا وهناك على اللغة التي أؤدي بها معلوماتي.

ويؤكد الدكتور الرخاوي فرضية التعريب العينية عليه، بأن دراسته الطبية في التشريح تجعله يتخصص في دراسة الجسم من قمة الرأس إلى أخمص القدم، ولذلك أقول ـ يتحدث ـ إن مشاركتي في تعريب الطب فرض عين عليّ، ولا أستطيع أن ألقى الله تعالى غدا فأقول إنني كنت مشغولاً باللعب واللهو.

وقال: لقد سمعت بعض زملائي يتساءلون: ولماذا التعريب؟ والإجابة بسيطة، فالعملية التعليمية هي أن تنقل المعلومة إلى المتعلم بأيسر السبل، فهل نتصور أن ما نستخدمه في تعليم الطب ـ مثلاً ـ هو خليط من العامية واللاتينية والإنكليزية المكسرة وهو أيسر الطرق إلى نقل المعلومة.. إن الناس عندنا «تفكر بالعربية»، ولن يكون أقصر الطرق إلى تعليمهم إلا بها.

وفي تفنيده لبعض الاعتراضات على التعريب، قال د. الرخاوي: إن البعض يدعي أننا بالتعريب نفقد اتصالنا بالغرب، ونحن لا نريد ذلك، بل نريد أن نعلّم بالعربية، ونحن في الكليات العملية ندرّس الطب والهندسة والزراعة وغيرها، ولا ندرس اللغة وإذا أردنا المحافظة على اتصالنا بالآخرين فما علينا إلا أن ندرس اللغة الأجنبية في معاهد خاصة بصورة صحيحة، وهذا لا يتعارض على الإطلاق مع تعليم العلوم بلغتنا: القرآن الكريم.

وأضاف أن البعض يعترض على التعريب أيضاً معللا بذلك أنه تعلم بلغة أجنبية، وأقول: إن من عيوبنا أننا نعادي ما نجهل، وغير مستعدين لأن نتعلم. ■

حديث

الرواية والدراية في الغرب الإسلامي

بقلم الدكتور: محمد أبو الفضل

إن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في حديث نبيها صلى الله عليه وسلم رواية ودراية.

فقد قيض الله للسنة النبوية رجالاً أُشربوا في قلوبهم التقوى، سلكوا في روايتها طريق الرعيل الأول، ونهجوا نهج الأصحاب، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يرون إلا ما وثقوا من صحته، وتيقنوا من رفعه وحسنه، يحافظون في الرواية على الألفاظ، لا يغيرون منها حرفاً، ويبدلون منها كلمة، ولا يزيدون فيها حركة، يراعون في ذلك القواعد التي اتبعت. والأسس التي اعتمدت في قبول الحديث وردّه، وفي تحمّله وأدائه، وكذلك ما يتعلق بأحوال الرجال الذين تصدروا للرواية، فألفوا فيها المصنفات، وكتبوا المقالات، ودونوا الدواوين، وأسندوا المسانيد، فأثروا بذلك المكتبات الإسلامية بتراث مجيد، تراث عربي إسلامي تليد، في المشرق العربي، والغربي الإسلامي.

وسأطل إطلالة سريعة في هذه العجالة أبيّن من خلالها ما خلفه الأجداد الأشاوس، وما تركه الآباء للأبناء، والسلف للخلف من ثقافة حديثية، وعلوم دينية مختلفة، ساهمت في حفظ الحديث وعلومه، وميزت قويه من سقيمه، وصحيحه من ضعيفه، وأصيله من دخيله، وسليمه من عليله.

وسأجعل أبا علي الحسين بن محمد الغساني نموذجاً من الغرب الإسلامي، لأنه باحث وناقد، وحافظ كبير، وفاحص بصير، اقتحم حمى الصحيحين، فأجاد وأفاد، وانتقد واستدرك، وابتكر واستفاد، واستقر وابتدع، وجمع وانتخب، فكتبه حجة بالغة، شهد له بذلك الأئمة الأعلام، والجهابذة ذوو الأقلام، عانى الكتب اللغوية، وروى الأشعار العربية، كان من جهابذة الحفاظ، قوي العربية، بارع اللغة، مقدما في الآداب والشعر والنسب، نعته بهذا وأكثر منه خلف بن عبدالملك الحافظ فقال: أخبرنا عنه غير واحد، ووصفوه بالجلالة والحفظ والنباهة والتواضع والصيانة، قال الحسن ابن مغيث: عانى كُتُبَ اللغة، وأكثر من رواية الأشعار، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمعه أحد أدركناه، وصحح من الكتب ما لم يصححه غيره من الحفاظ، فكتبه حجة بالغة، رحل الناس إليه، وسمعوا منه، وحدثوا عنه.

وهكذا يتبين من خلال هذه الشهادة العظمى التي صدرت عن رجال الفكر، وأقطاب الثقافة الإسلامية في شخصية أبي علي العلمية الرائدة، كما أن مصنفاته الضخمة شاهدة له بسعة الأفق وغزارة العلم، يتقدمها كتابه: التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء يتناول فيه الرواية والرواة، والعلل، وأبو علي في هذا الكتاب يكشف عن علل الحديث، ويبحث عن الأسباب الخفية الغامضة التي تقدح في السند والمتن معا أو في السند وحده أو في المتن وحده، وذلك كوصل منقطع، ورفع موقوف، وإدخال حديث في حديث أو إلزاق سند بمتن أو غير ذلك.

قال أبو علي الغساني المعروف بالجبائي في كتاب التنبيه على الأوهام: هذا كتاب يتضمن التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين نقل الكتابين عن البخاري ومسلم وبيان الصواب في ذلك.

واعلم وفقك الله أنه قد يندر للإمامين مواضع يسيرة من هذه الأوهام أو لمن فوقهما من الرواة في جملة استدركها الشيخ الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني عليهما، وفيه على بعض هذه المواضع أبو مسعود الدمشقي الحافظ، وغيره من أئمتنا، فرأيت أن تذكر في هذا الباب لتتم الفائدة بذلك، والله الموفق للصواب.

فمن ذلك ما جاء في كتاب أبي عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، رواية أبي عبدالله محمد بن يوسف الفربري، ونقله عنه إلينا أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن، وأبو زيد محمد بن أحمد المروزي، وأبو أحمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستعلي وأبو محمد عبدالله بن أحمد الحموي، وأبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني.

وقد نبهنا أيضاً على مواضع من رواية أبي إسحاق بن إبراهيم بن مغفل بن الحجاج النسفي عن أبي عبدالله

البخاري، وانتقلت إلينا هذه الرواية على جهة الإجازة من قبل أبي صالح خلف بن محمد بن إسماعيل الخيام البخاري.
ومن قبل أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهاني عنه.
ورأيت أن أضع ذلك على الأبواب ليكون أقرب على الطالب عند الحاجة إلى النظر في ذلك وبالله أستعين.
من ذلك في كتاب الإيمان، في باب الصلاة من الإيمان:
قال البخاري: حدثنا عمرو بن خالد، قال أخبرنا زهير، قال حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، وذكر شأن تحويل القبلة.
قال الإمام أبو علي رحمه الله:
كان في نسخة أبي زيد المروزي، حدثنا عمر بن خالد، هكذا نقله عنه أبو الحسن القابسي، وأبو الفرج عبدوس بن محمد الطليطلي، وذلك وهم.
والصواب: عمرو بفتح العين، وسكون الميم، وهو عمرو بن خالد الحراني الجزري، وليس في شيوخ البخاري من يُقال له: عمر بن خالد.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح:
قوله: حدثنا عمرو بن خالد، هو بفتح العين، وسكون الميم، وهو أبو الحسن الحراني نزيل مصر أحد الثقات الأثبات.
ووقع في رواية القابسي عن عبدوس، وكلاهما عن أبي زيد المروزي، وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني: عمر بن خالد بضم العين وفتح الميم، وهو تصحيف نبه عليه من القدماء: أبو علي الغساني.
وليس في البخاري من اسمه عمر بن خالد، ولا في جميع رجاله، بل ولا في أحد من رجال الكتب الستة.
قال أبو عبدالله، في كتاب العلم، في باب تعليم الرجل أمته وأهله: أخبرنا محمد ـ وهو ابن سلام ـ حدثنا المحاربي، قال حدثنا صالح بن حيان، قال: قال عامر الشعبي: حدثني أبو بردة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران .... الحديث.....
قال الإمام أبو علي رحمه الله: محمد هذا شيخ البخاري، هو محمد بن سلام البيكندي وصالح بن حيان، هو صالح بن صالح بن مسلم بن حيان، ويقال بن حي الثوري الهمداني نسبه إلى جد أبيه فأوهم بذلك أن يكون صالح بن حيان القرشي، صاحب ابن بردة، وهو ضعيف الرواية، قال البخاري في تاريخه: صالح بن حيان القرشي، ضعيف فيه نظر.
قال الشيخ رضي الله عنه: وصالح بن حيان الذي روى البخاري عنه في الجامع هو: والد الحسن بن صالح الفقيه، وأخيه علي بن صالح.
والمحاربي في هذا الإسناد، هو: عبدالرحمن بن محمد المحاربي، وقد نسبه بعض من لا علم له بهذا الشأن من أهل بلدنا، فأخطأ في نسبته خطأ فاحشاً، ويقصد بذلك أبو علي بأن بعض الجهال ممن لا صلة لهم بعلم الحديث، ولا يفنونه أنه صحف المحاربي فقال: البخاري، وهو تصحيف قبيح ناتج عن عدم المعرفة بهذا العلم.
قوله: حدثنا محمد بن سلام، كذا في رواية ابن حجر من طريق أبي ذر، وفي رواية كريمة المروزية، حدثنا محمد، وهو ابن سلام.
أما رواية الأصيلي فقد جاءت مهملة واعتمدها المزي في الأطراف فقال: رواه البخاري عن محمد، قيل: هو ابن سلام.
والمحاربي هو عبدالرحمن بن محمد بن زياد، وليس له عند البخاري سوى هذا الحديث وحديث آخر في العيدين، قال الحافظ ابن حجر: وقد ذكر أبو علي الغساني أن بعض أهل بلدهم صحف المحاربي، فأخطأ خطأ فاحشاً.
وقد وهم من زعم أن البخاري أخرج لصالح بن حيان القرشي لأنه ضعيف، وصالح بن حيان لقبه حي وهو ثقة مشهور، والحديث معروف بروايته عن الشعبي دون القرشي وقد أخرجه البخاري من طرق منها في الجهاد من طريق ابن عيينة، وأصرح من ذلك أنه أخرج الحديث المذكور في كتاب الأدب المفرد بنفس الإسناد.
وقال في باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب:
حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب قال: حدثنا حماد، عن أيوب، عن محمد، عن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن دماءكم، وأموالكم، عليكم حرام الحديث.
قال الإمام أبو علي رحمه الله: وفي نسخة أبي ذر الهروي، في حديث عبدالله بن عبدالوهاب: حدثنا حماد، عن أيوب، عن محمد، عن أبي بكرة، هكذا قيده عن أبي محمد الحموي، وأبي الهيثم عن الفربري، سقط لهما ذكر ابن أبي بكرة.
ورواه أبو إسحاق المستعلي وسائر رواة الفربري بإثبات ابن أبي بكرة بين محمد وأبي بكرة، وتكرر هذا الحديث في تفسير سورة براءة من طريق عبدالله بن عبدالوهاب، أيضاً، عن حماد بن زيد، بإثبات ابن أبي بكرة بينهما، وفي كتاب بدء الخلق: عن محمد بن المثنى، حدثنا عبدالوهاب، حدثنا أيوب، عن محمد، عن أبي بكرة، هكذا في نسخة الأصيلي عن أبي أحمد، لم يذكر بين محمد بن سيرين، وأبي بكرة أحداً، وسائر رواة الفربري يقول فيه: عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، في هذا الموضع، غير أن أبا الحسن القابسي وقع في نسخته في هذا الموضع: أيوب، عن محمد بن أبي بكرة، عن أبي بكرة، وهذا وهم فاحش.
وصوابه: أيوب، عن محمد، هو ابن سيرين، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، وتكرر أيضاً حديث محمد بن المثنى، عن عبدالوهاب في باب حجة الوداع من كتاب المغازي، فذكر أبو الحسن القابسي أن في نسخة أبي زيد:
أيوب، عن محمد بن أبي بكرة، ووقع في نسخة الأصيلي هذا الموضع:

محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة على الصواب، وذكر أبو الحسن الدارقطني في كتاب العلل أن إسماعيل بن علية، وعبدالوهاب، رواه عن: أيوب، عن محمد، عن أبي بكرة، لم يذكرا بينهما أحداً، وكذلك رواه يونس بن عبيد، عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة، ورواه قرة بن خالد، عن محمد بن سيرين قال: حدثني عبدالرحمن بن أبي بكرة، ورجل آخر أفضل في نفسي من عبدالرحمن، وسماه « أبو عامر العقدي» عن قرة فقال: وحميد بن عبدالرحمن ولم يسمه يحيى القطان في روايته عن قرة.

قال الإمام أبو علي رضي الله عنه:

واتصال هذا الإسناد وصوابه أن يكون عن:

محمد بن سيرين، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، وعن محمد بن سيرين أيضاً عن حميد بن عبدالرحمن الحميري، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وفي آخر كتاب العلم: قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي، قال: سمعت أنساً، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: من لقي الله لا يشرك به شيئاً الحديث.....

سقط ذكر مسدد في هذا الإسناد من نسخة أبي زيد المروزي. قاله أبو الحسن القابسي، وعبدوس بن محمد.

وذلك وهم، ولا يتصل السند إلا به.

وهكذا نجد أبا علي نهج في تقويم السند نهج العلماء الكبار، والحفاظ الأمناء، يذكر أقوال أهل العلم في هذا بأمانة ويسوق آراءهم بصدق علما منه بأن الأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زكي الثمر، لذيذ الطعم، وإذا قلبت النظر في تراجم رجال العلم، رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين، بونا شاسعاً، ترى الأول في مكانة محفوفة بالوقار وانتفاع الناس منه في ازدياد، وترى الثاني في منزلة صاغرة، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه، أو متباطئة.

وقد تقرأ كتابه فتراه حافلاً بالمسائل النادرة، فيكبر صاحبه في عينك، ومتى عرفت أنه من المطعون في أمانتهم، شعرت بأن شطراً من ذلك الإكبار قد ذهب، وخالطك الريب في صحة ما أعجبت به من المسائل الراجعة إلى الرواية.

كيف تكون منزلة الجاحظ عند السامع والباحث لو درس ترجمته فخرج مالئاً يده بالثقة من أنه راوية أمين، لا شك في أن الأمانة إذا انحازت إلى مثل ذكاء الجاحظ، وسعة اطلاعه بلغ صاحبها في الشرف والسؤدد المكانة القصوى، ولكن الباحث لما يقرأ ما شهد به بعض ناقدي علماء اللغة العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروي، فلا يبقى في نفسه من احترامه إلا ما جاء من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه.

فالعالم الذي يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة، يرهقه الناس بازدراء، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من علمه الصحيح، وثقافته الواسعة.

ولذلك فأبو علي الغساني كان حريصاً على أن ينقل إلى الناس علومه وفكره وما اطلع عليه عند الآخرين بأمانة، وصدق ورزانة ثم يبدي رأيه الذي يعتقده صائباً. ويخطىء الآخرين، ويبرز وجه الخطأ للقارىء والباحث.

ففي غزوة الفتح مثلاً يقول:

وفي نسخة أبي محمد الأصيلي، عن أبي أحمد، عبدالله بن عمرو، يعني ابن العاص، وكذلك في النسخة عن النسفي عن المحاربي، قال أبو محمد الأصيلي: قرأته على أبي زيد بن عمرو بفتح العين وسكون الميم، فرد على ابن عمر بضم العين، وفتح الميم.

قال الإمام أبو علي: وهو الصواب، وقد غلط في هذا كثير من الناس منهم: علي بن المديني، فقال: عبدالله بن عمرو.

فتبين من هذا أن أبا علي أمين في النقل، صادق اللهجة، ثاقب الفكر، خلّف تراثاً للإنسانية ضخماً، وعلما غزيراً، استفاد الناس منه، ولا سيما الحافظ الذهبي، وأمير المؤمنين في الحديث ابن حجر فلا تخلو كتبهم من النقل عنه.

فهو حافظ حجة بلا منازع، وكتبه مفخرة للأمة الإسلامية، تعد من التراث الإسلامي المجيد الدفين، الذي تعتز به الأمة العربية، وتفاخر به الأمة الإسلامية، وحق لها أن تفاخر فقد تخرج في الجامعة التي انحدر منها أسلافنا الأشاوس، الذين كانوا مصابيح الأمة، بنوا لها مجدها التليد، ونفضوا عن عقولها غبار الجهل، وحرروها من ربقة التقليد، فكانوا قادة في الفكر، رواداً في الحضارة، أبطالاً في المعارك، مجتهدين في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، لتستنير بها الإنسانية في معاملتها الدنيوية وعبادتها الدينية، وما أبو علي إلا قطرة من بحر، ونموذج من عشرات الآلاف الذين لمع نجمهم في الآفاق، وتألق كوكبهم في سماء المعرفة، واللغة والأدب والحديث وعلومه رواية ودراية.

فعلم الرواية هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلاً دقيقاً محرراً.

أما علم الدراية فهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، فهو يكشف عن علل الحديث، ويبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث قدحها في الحديث، أو إلزاق سند بمتن أو غير ذلك مما يكشف عن موطن العلة التي تقدح في الحديث الذي يعتبر المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وقد أكبر نقاد الحديث منهجه وآراءه واجتهاداته، وقدروا استنباطاته وأفكاره التي انفرد بها وتبنوا أكثرها، ولا سيما في كتابه التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين وهو علم يدخل في الرواية والدراية التي اعتنى بها علماء الغرب الإسلامي. ■

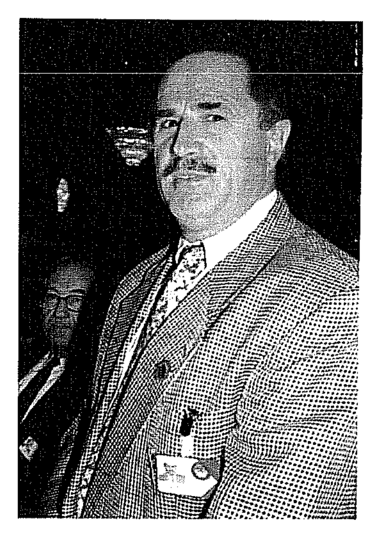
برهان الدين فيلي: رئيس المجلس الإسلامي العالمي الألباني لـ «الوعي الإسلامي»:

اليونان تجبر شبابنا على تغيير أسمائهم الإسلامية وتعليق الصليب في أعناقهم شريطة العمل فيها

حوار

أجرى الحوار:
عبدالحي محمد عبدالحي

منذ عام ١٩٩١ تعيش دولة ألبانيا المسلمة واقعاً جديداً ومختلفاً يتغير فيه وضع الإسلام والمسلمين إلى الأحسن، فبعد نصف قرن من الحكم الشيوعي الذي ذاق خلاله مسلمو ألبانيا صنوفاً شتى من التعذيب والقتل، عادت المسيرة الإسلامية تستأنف مشوارها بإنشاء المساجد والمدارس الدينية وتلهف الشعب الألباني لمعرفة دينه وإخوانه المسلمين.



والبروفيسور برهان الدين رئيس المجلس الإسلامي العالمي الألباني والممثل الشخصي للرئيس صالح بريشة لدى الدول العربية والإسلامية حالياً واحد من قيادات الشعب الألباني الذين ذاقوا العذاب، حيث تم طرده خلال الحكم الشيوعي إلى خارج البلد، فاستقر في أمريكا، ثم انتقل إلى القاهرة، حيث عمل مذيعاً بقسم الإذاعات الموجهة بالإذاعة المصرية، فكان يخاطب الشعب الألباني ليل نهار ويحثه على الجهاد ضد الملحدين، وبعد أن تغيرت الأحوال في ألبانيا، سمح له الرئيس صالح بريشة بالعودة إلى وطنه، وتأسيس أول مجلس إسلامي عالمي ألباني تكون مهمته ربط مسلمي ألبانيا بمسلمي العالم.

وقد التقت الوعي الإسلامي بالبروفيسور برهان الدين فيلي أثناء زيارة خاطفة له بالقاهرة، لمقابلة شيخ الأزهر ووزير الأوقاف المصري د. حمدي زقزوق حيث أجري معه حوارا حول أوضاع المسلمين في ألبانيا والمشكلات التي تواجههم والمخاطر التي تواجه المسلمين في إقليم كوسوفا.

المنظمات التبشيرية اعترفت بصعوبة تحول المسلمين الألبان عن دينهم رغم جهلهم بتعاليمه

حلقة وصل

● **ما طبيعة عمل ونشاط المجلس الإسلامي العالمي الألباني؟**

ـ أنشيء المجلس الإسلامي العالمي الألباني منذ ٣ سنوات في عاصمة ألبانيا السابقة «شبوجرا» كهيئة شعبية إسلامية مهمتها نشر الثقافة والتعاليم الإسلامية بين الألبان، والمجلس لا يهدف فقط إلى بناء مسجد، أو إعداد كتاب ديني، أو إعداد برنامج تلفازي حول الإسلام، بل يهدف إلى إعادة بناء

شخصيـة المسلم الألبـاني بعـد أن شـوهتهـا الشيوعيـة، كما يعـد المجلس حلقة الوصل بين الشعب الألباني وأبنائه في أوروبـا وأمـريكـا والـدول العـربيـة والإسلاميـة، وسـاهم في عودة العـلاقات الرسمية بين دولة ألبـانيا ومعظم الدول العربية والإسـلامية، وكان آخرهـا دولة مـاليـزيـا التـي احتفلت أخيراً بـافتتـاح سفارة لألبانيا بها.



الإسلام كاد أن ينتهي

● في عـام ١٩٩١م بدأت ألبـانيـا انفتـاحـا كبيرا وتغييرا أسـاسيـا في حيـاتها.... تـرى مـا هـي استفـادة المسلمـين الألـبان مـن هذا الانفتـاح بعـد خضـوعهم للحكم الشيـوعي طويلاً؟

- منـذ بدأت عملية الانفتـاح عام ١٩٩١ بدأ مسلمو ألبانيا في العودة إلى إسلامهم وممـارسة شعـائرهم الـدينيـة بحريـة كبيرة، خـاصـة بعـد أن وفـرت لهم الحكـومة الـديمقراطيـة برئاسـة رئيس الجمهورية الألباني صالح بريشة المناخ اللازم لـذلك، وللأسف عنـدما عـدنا إلى الإسـلام لم يكن أحد منـا يعلم كثيراً عن الإسلام والمسلمين بعـد أن عشنا نصف قرن كامل تحت ظلام الشيوعية، وتوزع المسلمون بين قتلى أو سجناء أو منفيين، وهدمـت كل المساجـد (١٧٠٠مسجداً) وأغلقت جميـع المدارس الـدينيـة، وبـالتالي أصبح علمنـا بـالإسـلام ضعيفا، بل كاد الإسلام نفسه أن ينتهي من ديارنا!!.

توجهنـا إلى الدول العربية والإسـلامية، فأرسلنـا أكثـر من ٢٠٠ طـالب للتعليم الـديني في الأزهـر الشريف ومـاليـزيـا والسعـوديـة والكـويت، وبـدأ المجلس الإسـلامي في تنشيط عـلاقات ألبـانيـا بالعالم الإسـلامي، وبالفعل حصلنا على مساعدات مالية كبيرة، وأكثر من مليون مصحف وكتـاب ديني، ونجحنا في بنـاء حوالي ٥٠٠ مسجد، و ٥ مدارس للتعليم الديني، ولم يبخل الشعب الألباني بشيء عن إسلامه فتبرع لبناء الكتاتيب لتحفيظ القـرآن الكـريـم، وأقبل إقبـالاً كبيراً على الإسـلام وعمت الصحـوة بين جميع طوائفه وبخاصة الشباب.

صعوبات عديدة

● ما الصعوبـات التي تواجهونها أثناء إعـادة تكوين شخصيـة المسلم الألباني وعودة الإسلام مرة أخرى إلى ألبانيا؟

ـ لقـد واجهنـا صعـوبـات كبيرة أولها وأبرزها جهل الشعب الألباني بالإسلام، ولا تنزعج كثيراً عندمـا أقول لك إنه قبل عـام ١٩٩١م لم يكن الشعـب الألبـاني يفـرق بين القسيس والشيخ الإمـام!! وأتـذكر أنـه في عـام ١٩٩٢دعاني أحـد الأئمة المسلمين لزيارته في منزله بإحدى القـرى الـواقعـة بـالقـرب من«تيرانـا» عاصمة ألبانيا، وكان هذا الإمام لا يحفظ من القـرآن الكـريم إلا بعض السـور القصيرة، وعنـدمـا جلست في منـزلـه فاجأني برغبته الشديدة في سماع شريط يحتوي على بعـض سور القرآن الكريم أعجبه جداً وكان يصلي بـه، وعندما أدار الكـاسيت فـوجئت بأن الشريـط الـذي يعتقـد بأنـه يحتـوي على بعض سـور القرآن لم يكن قرآنـاً، بل أغنية لأم كلثوم تقـول فيهـا: «من أجـل عينيك عشقت الهوى» وكـانت الأغنيـة بـدون لحن أو موسيقى!! وإذا كان هذا هو وضع الأئمة فما بالك بوضع الشعب الألباني!!

تحسن كبير

والحمـد لله اليـوم في عـام ١٩٩٦م تغير الـوضع كثيراً، فـالمسلمـون الألبـان استيقظـوا من نومهم، وبـدأوا يعرفـون حقـوقهم وواجبـاتهم الدينيـة، وهنـاك إقبـال كبير من الشبـاب على دراسـة الإسلام خـاصة أنهم آمنـوا أن الإسلام ليس مجرد ثوب تلبسه كما تشاء وحينما تشـاء، ولكنـه طريق للحيـاة وهـذا فهم جديد بالنسبة لنا.

كما تـواجهنـا مشكلـة قلـة الإمكـانـات المـاديـة، فنحن شعـب فقير جـداً، وسبب فقـرنـا ليس نقص الثـروات، بـل هـو خضـوعنـا للشيوعيـة لأكثر من خمسين سنـة خـربت فيهـا المصـانع، وهـدمت

المسلمون في كوسوفا يتعرضون لممارسات وحشية من الصرب وإنقاذهم لن يتم إلا بتقوية الإسلام في ألبانيا

الطرق وانهارات البنية الأساسية، وعندما تزور ألبانيا اليوم تشعر وكأنها خرجت من حرب مدمرة هذا بالإضافة إلى أن الشعب كره كل ما يقال عن الوطن والوطنية لأنهم لم يروا من تلك الشعارات إلا الخراب، وقد أدى فقر ألبانيا الشديد إلى هجرة أبنائها للعمل في الدول الأوروبية المجاورة مثل إيطاليا واليونان، وعلى سبيل المثال فلدينا أكثر من ٢٥٠ ألف شاب يعملون باليونان، وهناك يخضعون لشرطين لكي يعملوا. الأول: أن يستبدلوا أسمائهم الإسلامية بأسماءهم نصرانية، والثاني: أن يعلقوا الصليب في أعناقهم، ومن هنا فقد نشط المجلس الإسلامي العالمي في جذب الاستثمارات العربية والإسلامية إلى ألبانيا، والحمد لله تكلل نشاطنا بنجاح لا بأس به، حيث جاءنا مستثمرون من مصر والكويت والسعودية وتركيا وماليزيا واستقبلهم شعبنا استقبالاً ضخماً في الشارع، لأن وجود المستثمرين العرب والمسلمين في بلادنا لا يعني فقط إنعاش الحياة الاقتصادية في ألبانيا، بل دعم الإسلام والمسلمين في بلادنا.

التبشير يواجه مشكلة

● **ما طبيعة وأهداف الاستثمارات اليهودية والأوروبية والأمريكية في ألبانيا؟**

ـــ الباب مفتوح في بلادنا أمام كل الاستثمارات، وللأسف فإن رأس المال اليهودي والمسيحي تدفق إلى بلادنا بصورة كبيرة، على هيئة شركات سياحية واستيراد وتصدير، والآن تنتشر منظمات تبشيرية كثيرة في أرجاء بلادنا، ويعملون على طمس هوية الشعب المسلم الألباني، وللأسف فإن فئات الشعب الفقيرة تضطر للجوء إلى تلك المنظمات التبشيرية التي تملك أموالاً وأغذية ضخمة، وعلى أية حال فنحن نعمل بكل قوتنا عى تقوية الإيمان لدى الألبان ونعلمهم أحكام الإسلام وتعاليمه، حتى لا يكونوا فريسة أمام أية جهة، والحمد لله المنظمات التبشيرية بدأت تعترف بصعوبة تنصير المسلمين الألبان فهم يأخذون المعونات لكنهم لا يرتدون عن دينهم وإسلامهم.

دور هيئات الإغاثة الإسلامية

● **ما تقييمكم لدور هيئات الإغاثة الإسلامية في ألبانيا؟**

ـ هيئات الإغاثة الإسلامية تؤدي دوراً كبيراً في ألبانيا، والحمد لله نجحت إلى حد كبير في شل فاعلية منظمات وهيئات الإغاثة التبشيرية التي يدعمها الفاتيكان بقوة، وهيئات الإغاثة الإسلامية تضم في طاقمها أناسا ممتازين أثبتوا كفاءتهم وإخلاصهم، مما دفع الحزب الحاكم إلى منحهم حقوقاً دبلوماسية كاملة، وأحب أن أشير إلى أن هيئة الإغاثة الكويتية كانت أول تلك الهيئات نشاطاً وكفاءة.

لا خلافات بيننا

● **ما طبيعة العلاقات بينكم كألبان مسلمين وبقية الشعب الألباني المسيحي؟**

ـــ نحن كمسلمين نمثل ٧٠٪ من سكان ألبانيا، أما نسبة الـ ٣٠٪ الباقية فتتوزع بين المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك، وعلاقات المسلمين والمسيحيين بألبانيا ممتازة جداً ولا يشعر أحد أن هناك معاملة خاصة لطرف على حساب الطرف الآخر.

لا للتخلي عن القدس

● **ما موقفكم من قضايا المسلمين الساخنة وعلى رأسها قضية القدس؟**

ـ لا تنزعج إذا قلت لك إن غالبية الشعب الألباني لا يعرف شيئاً عن قضية المسلمين الأولى «القدس» أو أية قضايا إسلامية أخرى، فمن الصعب أن تطلب من المريض الذي أجرى عملية جراحية أن يزاول عمله فور خروجه من المستشفى، إننا كشعب مسلم استيقظنا، واليوم نتعلم ما الإسلام؟ وماذا يطلب منا؟ ونحن مازلنا في مرحلة الغيبوبة. إنني لا أبالغ، بل أود أن أرى كل الألبان مسلمين مخلصين لدينهم، ولكن الواقع يقول: إننا نبدأ الطريق، والحمد لله فالشباب المسلم المثقف بدأ يتحدث عن قضايا المسلمين والإسلام في عصرنا، ويهتم بها وبالطبع فإننا لا نقبل التخلي عن شبر واحد من القدس أو فلسطين فهي أرض موقوفة للمسلمين.

هيئات الإغاثة الإسلامية تؤدي دوراً كبيراً في بلادنا ما دفعنا إلى منحها حقوقا دبلوماسية

كوسوفا بوسنة جديدة

● **هل تعتقد أن ما حدث في البوسنة يمكن أن يتكرر في إقليم كوسوفا؟**

ـــ المسلمون الألبان يشكلون أكثر من ٩٠٪ من سكان كوسوفا، وللأسف فإن إقليم كوسوفا يشهد حاليا ممارسات صربية وحشية لا تقل عما فعله الصرب في البوسنة، لكن الإعلام العالمي يتجاهل ذلك، هناك تضييق شديد من جانب الصرب على مسلمي كوسوفا، لقد أغلقوا المدارس وطردوا العمال والموظفين الحكوميين الألبان من أعمالهم لدرجة أن غالبيتهم اضطر للهجرة من كوسوفا، والجيش الصربي حالياً ينكل ويفتك بمسلمي كوسوفا، ولكن على أية حال فإن قضية كوسوفا لا تنفصل عن قضية ألبانيا، فنحن شعب واحد ولو كنا أقوياء لانعكس هذا بالتأكيد على مسلمي كوسوفا، ولكن لأن ألبانيا ضعيفة فإن الصرب يمرحون وينكلون بإخواننا ليس في كوسوفا فقط، بل في الجبل الأسود ومقدونيا والسنجق، ويعطوا لأنفسهم حقوقاً ليست لهم، وأعتقد أن هذا الوضع لن يستمر طويلاً، فالإسلام استيقظ في ألبانيا وسيبلغ أهدافه إن شاء الله. ■

الفهرست لابن النديم ومكانته في تصنيف العلوم

عندما نتحدث عن ابن النديم وكتابه الفهرست ،فالحديث ليس عن شخصية عادية من شخصيات الأدب العربي، وليس الحديث عن كتاب من الكتب لكنه حديث عن شخصية عملاقة في تاريخ الأدب العربي بالمعنى الواسع، وحديث عن كتاب ساهم في تصنيف العلوم، وكانت له آثار عديدة على تصنيف العلوم وتاريخها.

بقلم: معالي عبد الحميد حمودة

ابن النديم

نعترف مسبقاً ان كتاب التراجم لم يوفه ابن النديم حقه في الترجمة، فقبل ان نجد ترجمة كاملة له في مصنفات كتب التراجم على كثرتها، والتي تجعل سيرته تكاد تكون شبه مجهولة، وللاسف الشديد لانعرف تاريخه العلمي، ولامكان ولادته ونشأته وارتحاله، الخ.

من هو ابن النديم؟ هو(١) محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق، أبو الفرج ابن أبي يعقوب النديم البغدادي، كان ابوه وراقا- ينسخ الكتب ويجلدها ويبيعها، في مدينة بغداد، ولكن لانعرف من اين جاءه لقب النديم، وشهرته به.

ولد ابو الفرج ابن النديم- كما تذكر بعض المصادر- في بغداد سنة ٣٢٠ هجرية أو قبيل ذلك، ثم عمل في الوراقة صنعة أبيه، وسافر معه عدة مرات الى الموصل.

يقول: بيارد دوج:

ومن المحتمل انه- أي ابن النديم- ولد في عهد القاهر الذي دام ٣٢٠ هجرية الى ٣٢٣ هجرية، وقد يكون ولد في عهد سبق عهد المقتدر، أو في عهد تبع عهد الراضي(٢).

توفي ابن النديم رحمه الله في ١٩ شعبان من سنة ٣٨٥ هجرية(١٨/٩/٩٩٥م) في الاغلب.

لـه من المؤلفات كتاب «الفهرست» وكتاب آخر بعنوان« التشبيهات» ولم يصل الينا الا كتابه الاول.

هذه هي ترجمة ابن النديم في بعض السطور من بعض المصادر، وهي للاسف لاتعطي السيرة الكاملة عنه، ولاتوضح تاريخه العلمي، ولانشأته في شبابه وارتحاله .

> كان الغرض عند ابن النديم من تأليف «الفهرست» ان يكون «ببليوجوافية» تسجل الكتب التي ظهرت في جميع العلوم حتى عصره.

كتاب الفهرست

كان الغرض عند ابن النديم من تأليف كتابه الفهرست ان يكون« فهرسا» او ببليوجرافية» تسجل الكتب التي ظهرت في جميع العلوم حتى عصره.

وبداية نقرر حقيقة مهمة ان علم «الببليوجرافيا» او علم قوائم الكتب بكل مايتضمنه اعداد القوائم من طرق الجمع والتنظيم، وبكل مايتطلبه من معلومات تقدم عن الكتب والمؤلفين، علم حديث في الغرب لم يكد يبلغ من العمر قرنين كاملين، ولكنه علم قديم في لغة العرب» وان لم يعرف فيها بهذا الاسم» يرجع تاريخه المحقق الى اكثر من عشرة قرون.

لم يسبق ابن النديم احد في وضع كتاب في غرضه وطريقة ترتيبه، وبذلك كانت الفهرست اول ببليوجرافية تصل الينا، وهذا يسجل لابن النديم فضل السبق على كل من جاء بعده.

والفهرست أول كتاب يصلنا معرفا بأقدم ماأُلف بالعربية أو ترجم اليها في جميع ابواب المعرفة منذ بدء التأليف حتى تاريخ تأليف الكتاب - العام٣٧٧هـ فالكتاب بهذا المتسوى من التأليف يمثل موسوعة ثقافية تتصل بكل العلوم المعروفة في عصر المؤلف (٣).

يقول ابن النديم في كتابه:

فهذا هذا فهرست كتاب جميع الامم، من

العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وكلها في اصناف العلوم، واخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وانسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ اعمارهم، واوقات وفاتهم، واماكن بلدانهم، ومناقبهم أو مثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة للهجرة (٤).

هذه المقدمة التي ذكرها ابن النديم تبين انه مسح جميع العلوم وسجل اسماء كتبها المعروفة.

قسم ابن النديم كتابه الى عشرة اقسام سمى كلا منها مقالة ثم قسم كل مقالة الى فنون بلغ عددها اثنين وثلاثين فنا غطت العلوم والفنون التالية:

اللغة، الشعر، الكتابة، التاريخ، الكلام، الفرق، الفقه، الفلسفة، المنطق، الهندسة، الحساب، الفلك، الكيمياء، الطب، الصيدلة، الموسيقا، الغناء، الخرافات والسحر والشعوذة، الأسمار.

وخطة ابن النديم في تأليف كتابه تقوم على التعريف بكل علم من العلوم، ثم على ترجمة المؤلفين الذين صنفوا في ذلك العلم، ثم سرد اسماء كتبهم وآثارهم ثم اعطاء وصف لكل كتاب.

وفي وصف ابن النديم للكتب اتبع طريقا منهجيا، فهو يحدد اسلوب اتصاله بالكتاب، هل هو عن طريق الرؤية المباشرة، او عن طريق الرواية، او عن طريق القراءة. ثم يعطي وصفا دقيقا للكتاب فيحدد عدد اجزائه ومقدار اوراقه وانواع خطوطه وأصحاب هؤلاء الخطوط، واحيانا يعمد الى تقويم الكتاب من الناحية العلمية.

والمطلع على كتاب الفهرست، يجد ان ابن النديم، عنى دون غيره من المؤلفين بفهرسة جميع ماوصل الى اطلاعه من مؤلفات في جميع العلوم، اسلامية كانت او دخيلة، موافقة لهواه ومذهبه وعقيدته او مخالفة لها، وكل ذلك على اساس دقيق من التوثيق، وترتيب منظم على اساس الفنون في العلم.

وابن النديم لايعتمد في منهج كتابه «الفهرست» على ايراد السير وأخبار المؤلفين والمصنفين بشكل ثابت، وانما يعتمد في المقام الاول على جميع اسماء المصنفات وتدوينها وترتيبها على مختلف فروعها وانواعها، بل انه لم يهتم بالمؤلفين بقدر اهتمامه بمصنفاتهم.

يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي: ومن المؤكد ان ابن النديم لم يكن من اصحاب السير بل من جامعي سير المصنفات في فروع العلوم المختلفة «ببليوجرافي» وماخلفه لنا من تراجم الاشخاص نزر يسير اذ انه لم يلق بالاً الى المؤلفين بقدر ماحصر اهتمامه في مصنفاتهم، وهو المجال الذي برزت فيه مقدرته بحق (٥).

ومن أهم مايلفت النظر في كتاب الفهرست، مايلي:

- ان المؤلف قد اعتمد في تأليفه واعداده على خطة ومنهج، وفقا لمواصفات ذلك العصر، سار عليها ومضى في خطواته على هديها.
- انه قد كرس كامل حياته تقريبا لاعداد هذا المصنف ولزيادة الاضافات اليه على مراحل متعددة، وهذه المسألة شبيهة الى حد كبير بالطريقة المعروفة والمعتمدة في تحضير واعداد الموسوعات وتزويدها بالاضافات والافادات الجديدة من حين الى آخر.
- انه اعتمد بشكل ثابت وبدرجة كبيرة تكاد تكون عامة على التركيز والاقتصار في تسجيل وتدوين المعلومات.

ومن ناحية اخرى فإن ابن النديم كثيرا ماكان يعمد الى اثبات وجهة نظره حول معلومة ما، وترجيح جوانب الشك من اليقين فيها، مما يدل على حضوره المباشر داخل مصنفه الجامع(٦)

وابن النديم، المنهجي الدقيق الواسع الاطلاع، كان يتبع خطة معينة في ترتيب المادة التي يفهرسها: بدأ بعلوم الشكل او الادوات، ثم فهرس لعلوم النقل والتاريخ والاخبار، وفهرس بعدها لعلوم العقل.

ونهج ابن النديم في كتابه- من ناحية اخرى- يشير الى الدقة الصارمة التي سار عليها والتزم بها، فلم يعمد الى افتعال او انتحال الاسماء او الادعاء في المعرفة بها، أو ان ينسب اليها ماليس لها، فتركها في الأغلب دون ان يستكملها، بالرغم مما يشوب ذلك من غموض غير معروف.

عرف العرب علم الفهرسة منذ اكثر من عشرة قرون ولم يعرفه الغرب إلا منذ قرنين فقط

واذا سألنا انفسنا كيف تأتى لابن النديم ان يقدم مثل هذا المصنف الفذ للمكتبة والقارىء، والأدب العربي والعلوم؟

فالاجابة بالرغم من خلو المصادر من السيرة الكاملة لابن النديم، تكمن بداية في قول ابن النديم في مقدمته لكتابه، هذه المقدمة التي تنم عن فهم عميق لمهمة واخراج الكتب كما يجب ان تراه دور النشر في كل عصر.

يقول ابن النديم:

النفوس أطال الله بقاءك تشرئب الى النتائج دون المقدمات، وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات، فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا، ان كانت دالة على ماقصدناه في تأليفه ان شاء الله(٧).

هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإن ابن النديم كان وراقا، يتاجر في الكتب، ويعمل في صناعة الوراقة النسخ، وقد كان في وسعه ان يتوقف عند حدود هذه المهنة ويعصف به لهيب الكسب والربح، بمعزل عن تقديم وتحضير وتجهيز أي عمل كتابي. الا ان تفتحه الذهني اليقظ ونبوغه المستمر، وبما اكتسبه من استعداد ثقافي وماحققه من متابعة القراءة والاطلاع المستمر، قد تطور به القيام بمثل هذا العمل العملاق، والذي يحسب اليوم بمعياره الحضاري البعيد الأثر والعمق، والجهد الوثائقي الذي حفظ لهذه الحضارة، نبضا مشعا من فيضها ووهجها وتألقها على مسار التاريخ.

والجهد الذي قدمه ابن النديم، بكل جوانبه المتنوعة: المهنية والثقافية والوثائقية والتاريخية، يعطي بدوره صورة صادقة معبرة عن عمق الاتصال الوثيق والعريض القائم بين ابن النديم و«الكتاب» وليس عمقه وحبه له فحسب، وانما اعتباره شاغل عصره وحياته وعمره. هو ايضا ثمرة من ثمرات وعيه المبكر بصناعة الكتابة وادواتها ولوازمها ومواقيتها.

ومن المؤكد ان ابن النديم قد تلقى تربية علمية واسعة، فمسح محاضرات الاعلام من الفلاسفة في عصره، وزار منازلهم، وتعرف

بالاوساط العلمية التي انتشرت على شكل جماعات ومدارس خلال القرن الرابع الهجري«العاشر الميلادي».

يقول الدكتور عمر فروخ رحمه الله:

ومن المؤكد ان ابن النديم قد رأى معظم الكتب التي حواها الفهرست، وكان حسن الاطلاع عليها محيطاً لكثير من فنونها. مع العلم بأن معظم هذه الكتب قد ضاع، فاننا نعرف من أسمائها جانبا كبيرا من الحياة العقلية والاجتماعية للعرب والمسلمين في الأربعة قرون الاولى من الاسلام(٨).

مما تقدم يتضح ان ابن النديم لم يكن وراقا او مفهرسا عاديا، بل كان عالما مطلعا لايجمع المخطوطات لتيجر بها فقط، بل يطلع عليها ويكون آراءه الخاصة حولها، ويحكم عالمها المصطلحي، وليس ذلك بالامر القليل اذا لاحظنا شمول الثقافة العربية الاسلامية وشسوع آفاقها في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

مكانة الفهرسة في تصنيف العلوم

قبيل ان نتعرف على مكانة الفهرست في تصنيف العلوم وأثره على تاريخ هذه العلوم، نتساءل: كيف ان التراث العربي لم يقدم من بعد الفهرست مصنفا مماثلا له وبنوعيته الشمولية لمختلف المعارف والعلوم والمصنفات؟

الاجابة تتخلص في ان محاولة ابن النديم للفهرسة والتوثيق كانت شاملة بمعنى انه لم يدع فرعا من فروع الثقافة العربية الاسلامية الا فهرس له، وترجم لأعلامه وحاول تفهم اشكالياته الرئيسية واصول تطوره.

وابن النديم كان يحب الكتب حبا شديدا، هذا الحب جعله يحيط تماما بكل فروع العلوم المختلفة، ويمكن الموافقة تماما على رأي « بارتولد» في ان كتاب الفهرست سيبقى على الدوام المصدر الرئيس لمعرفة الأدب والعلم في الأربعة قرون الأولى للاسلام(٩).

ولو كان ابن النديم يهدف من عمله هذا تحقيق الكسب والربح، لما تحقق من عمله هذا أي شيء، وفي هذه الاجابة الواضحة على السؤال الذي يلح علينا دائما، لماذا لم تقم الجهات المعنية أو العلماء بتقديم مصنفا مماثلا لفهرست ابن النديم.

وتعود لمعرفة مكانة الفهرست في تصنيف العلوم، وهذا يستدعي في البداية ان نعاود قراءة« فهرس» الفهرست الذي وضعه ابن النديم نفسه.

قلنا- في البداية- ان ابن النديم قسم كتابه الى عشرة اقسام سمي كل منها مقالة ثم قسم كل مقالة الى فنون بلغ عددها اثنين وثلاثين فنا، غطت العلوم والفنون المختلفة.

هذا معناه ان ابن النديم رتب كتابه عن طريق تقسم الكتب التي صنفها بحسب موضوعاتها اي «اصناف العلوم» ثم ذكر بعد ذلك تراجم مختصرة لمؤلفيها.

ومن ثم يحق لنا ان نقول ان الفهرست جديد في غرضه، جديد في طريقة ترتيبه وتصنيفه، فلم يسبق ابن النديم احداً في وضع كتاب بهذه الصفة، وبذلك كان الفهرست اول ببليوجرافية تصل الينا، وهذا يسجل لابن النديم فضل السبق على كل من جاء بعده.

رتب ابن النديم كتابه على عشر مقالات، هي الاقسام الرئيسية للمعرفة في العصر الذي ألف فيه الكتاب، ويمكن ان نطلق هذه التسميات على المقالات العشر:

١-علم الخط والكتابة وأدواتها، والديانات « ويشمل علوم القرآن».

٢- النحو والنحويون.

٣- التاريخ والاخباريون والنسابون والتراجم المتنوعة.

٤- الأدب « الشعر والشعراء».

٥- الكلام والمتكلمون، ويشمل الفرق الاسلامية والصوفية.

٦- الفقه والفقهاء ويشمل المذاهب الفقهية المختلفة.

٧- الفلسفة والفلاسفة، وتشمل هذه المقالة كل العلوم الطبيعية بمعناها الواسع.

٨- الأسمار والخرافات والشعوذة والغرائب.

٩- المذاهب والاعتقادات « ولم يشأ ابن النديم ان يطلق عليها ديانات فقد أفرد الديانات في مقالة سابقة.

١٠-الكيمياء وغيرها، وقد افرد ابن النديم في هذه المقالة اخبار الكيميائيين من الفلاسفة(١٠).

وقد تأثر- دون جدال- من جاء بعد ابن النديم، ممن ترسم سنته في الجمع والتعريف ووضع الفهارس والتفنن في طرائقها، وتصنيف العلوم وماالى ذلك.

ونستطيع ان نقرر ان كتاب الفهرست كان رائدا ومصباحا كاشفا لمن جاؤوا بعد ابن النديم سواء في تصنيف العلوم، او في الجمع وعمل الفهارس«الببليوجرافيا».

ووفقا للترتيب الزمني فهناك ابن مكسويه «ت٤٢١هـ» وله كتاب اقسام الحكمة، والعلامة ابن سينا«ت٤٢٨هـ» وله ايضا كتاب اقسام الحكمة، وابن خير البلوى «ت٥٥٩هـ» وله كتاب أنموذج العلوم، وابن الجوزي«ت٥٩٧هـ» وله كتاب المدهش، والفخر الرازي«ت٦٠٦هـ» وله كتاب حقائق الأنوار، وأبو يعقوب السكاسي«ت٦٢٦هـ» وله كتاب مفتاح العلوم، والانصاري السنجري«ت٧٤٩هـ» وله كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد، وابن محمود الآمدي«ت٧٥٣هـ» وله كتاب نفائس الفنون، نشوان بن سعيد الحميري«ت٧٥٧هـ» وله كتاب شمس العلوم، ولانغفل بالطبع العلامة ابن خلدون«ت٨٠٨هـ» الذي عقد في «مقدمته» المشهورة لتاريخه فصلا مستفيضا في العلوم وأنواعها وسائر طرقها وانحائها، فتكلم على طائفة كبيرة من علوم الحضارة في عهده، كعلوم القرآن، واللفقه، والكلام، والتصوف، والرياضة، والمنطق، والطبيعيات وكذا هناك محمد شاه فناري«ت٨٣٩هـ» وله انموذج العلوم، وجلال السيوطي «ت٩١١هـ» وله كتاب النقاية.

ثم جاء طاش كبرى زادة«ت٩٦٨هـ» وله أنموذج الفنون، والعملاق الكبير حاجي خليفة «ت١٠٦٧هـ» وله كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، والتهانوي «ت١١٥٨هـ» وله كتاب كشاف اصلاحات

«الفهرست» يمثل موسوعة ثقافية تتصل بكل العلوم المعروفة في عصر المؤلف

الفنون، وصديق حسن خان«ت١٣٠٧هـ» وله كتاب أبجد العلوم، ثم اسماعيل بن محمد البغدادي«ت١٣٣٩هـ» وله ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون.

ولايفوتنا بعد ذلك الاشارة الى اهتمام الفكر الغربي بكتاب الفهرست لابن النديم فقد عني بطبع هذا الأثر النفيس المستشرق«فلوجل» سنة ١٨٧١م في ليدن في مجلد عدد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة، غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد. وبعد طبع الفهرست تم العثور على قطعة ساقطة منه من أول المقالة الخامسة تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام، وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية سنة ١٨٨٩م.(١١).

وقد صورت هذه الطبعة ونشرت في بيروت، كما طبع الكتاب طبعة غير محققة في القاهرة العام ١٣٤٨هـ (١٢).

وقد قام الباحث رضا- تجدد من ايران، باعادة تحقيق وطبع الكتاب عن مخطوطة نفيسة في شستربتي» وخرج الكتاب الى النور في شعبان١٣٩١هـ(١٣) وهو النسخة التي اعتمدناها في اعداد هذه الدراسة.

وختاما

لا شك ان مافعله ابن النديم في كتابه الفهرست، يعتبر معلما حضاريا يطل ويسجل بنظرته الثاقبة، على امتداد طويل من نشاطات تراثنا العربي الفكري والأدبي والعلمي،حيث ابقى لنا صوة تحليلية مركزة وموثقة عن الكثير مماهو مفقود وضائع اليوم من هذا التراث.

والقيمة الكبرى لكتاب الفهرست كمرجع ببليوجرافي انه سجل لنا الحياة العقلية للمسلمين حتى وقته تسجيلا حاضرا بحيث أمدنا بمعلومات وأخبار وعناوين كتب عربية ومترجمة ماكانت لتصل الينا لولا كتابه هذا، وخصوصاً بعد نكبة المغول للعالم الاسلامي هذه النكبة التي تسببت في الجانب الذي نتحدث فيه عن ضياع كثير من المؤلفات التي ذكرها ابن النديم، ومن ثم فان الفهرست معين لاينضب للباحثين، ومصدر اساسي في أي دراسة لتاريخ العلم عند العرب.

واذا كان قد منح فهرست ابن النديم مكانة خاصة في تاريخ الثقافة العربية فإننا عندما نقول انه كتاب فذ، فهذا يرجع بعد جهد ابن النديم العلمي الكبير في كون كتابه اول مرجع« ببليوجرافي» عربي الى المقدمات التي وضعها ابن النديم لكل فن من فنون العلم، في صدر كل مقالة منها، فإن تلك المقدمات مع مايساندها من احكام لابن النديم منثورة هنا وهناك، تظهر ابن النديم بمظهر المطل او المشرف على الثقافة العربية حتى عصره، المراقب بدقة لمنعرجاتها ومتعرجاتها، المسيطر باحكام على شواردها ومواردها، والمتفهم بعمق عجيب لمسارها في الماضي.

هذا اذن الفهرست لابن النديم، هذا العمل الببليوجرافي الاول المبكر من قبل ان يعرف العالم علم الببليوجرافيا، وقواعد تنسيق المعارف والمعلومات في هذا العصر، وبكشله العلمي والتقني المتطور.

وسيبقى الفهرست محتفظا بتفرده وبخصوصيته القائم عليها وبصفته المسمي بها، باعتباره كتاب -فهرست- عام يغطي بشكل موسع مجموعة المعارف والعلوم المتداولة في عصره.

وسيظل الفهرست من أهم المصادر ان لم يكن اهمها على الاطلاق، التي لايستغنى عنها أي دارس للتراث والعلوم وتصنيفها، وذلك لقيمته التاريخية الاصيلة من ناحية ،ولغزارة محتوياته من ناحية اخرى.

وتلك كانت الكلمة ■

لم يكن ابن النديم وراقاً أو مفهرساً عادياً، بل كان عالماً مطلعاً

الهوامش والمصادر

١- انظر:

أ الاعلام خير الدين الزركلي، ج٦/ ٢٩ دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، يناير ١٩٧٩.

أ تاريخ الأدب العربي، الدكتور عمر فروخ، ج٢/ ٥٦٦، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة رابعة، ١٤٠١هـ

أ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج١/ ٦٦٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة ثانية،١٩٧٨.

أ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج/٩/ ٤١ دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢- المستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ص٦٠١، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ثانية، ١٤٠٦هـ.

٣- مع المكتبة العربية، الدكتور عبد الرحمن عطية، ص٧٢، دار الاوزاعي، بيروت،طبعة ثانية، ١٤٠٤هـ.

٤- الفهرست، ابن النديم، تحقيق رضا- تجدد، طهران، ايران، طبعة شعبان ١٣٩١هـ.

٥- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، اغناطيوس يوليانوفتيش كراتشكوفسكي، تعريب صلاح الدين هاشم، القسم الاول ص٢٣٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧.

٦- ابن النديم وياقوت الحموي، وراقان خدما الكتاب والحضارة، بشير الهاشمي، بحث منشور في مجلة الناشر العربي، العدد١١،١٩٨٨، اتحاد الناشرين العرب، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية.

٧- الفهرست، مقدمة ابن النديم، مصدر سابق.

٨- تاريخ الأدب العربي، الدكتور عمر فروخ، مرجع سابق،ج٢/ ٥٦٧.

٩- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي، مرجع سابق، القسم الاول ص٢٣٣.

١٠- بتصرف عن مقدمة كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبرى زادة، مقدمة المحققان: كامل كام بكري وعبد الوهاب ابو النور، ج١/ ١٣ مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة، ١٩٦٨.

١١- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مرجع سابق،ج١/ ٦٢٧.

١٢-مع المكتبة العربية، الدكتور عبد الرحمن عطية، مرجع سابق،ص٧٥.

١٣- الفهرست لابن النديم ،مقدمة المحقق رضا تجدد ، مصدر سابق.

منهج الإمام مسلم في تأليف صحيحه

تراث

الحمد لله الذي أبدع كل شيء، فأحسنه، وأرسل رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بهذا الدين فبلغه وبينه أن يختار له من الأصحاب والأتباع من نجحوا في نقله وتلقينه، وحفظه وتدوينه، حتى بلغ الخلف كما تلقاه السلف غضا طرياً على مدى العصور بكل أمانة وثقة ليستيقن بنقل هذه الأمة كل مثقف يريد أن يقف على أصول هذا الدين، وكيف أنها ابتكرت لتحقيق ذلك أقوم منهج وأدق سبيل نقدي على مدى الأزمان، وتثبتت بتطبيق ذلك غاية التثبت عبر التاريخ من أول عهدها بالرواية إلى يومنا هذا، وتحقق بذلك إنجاز الوعد الإلهي: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر - ٩. ومن أعلام هذا العلم وأئمته - مسلم بن الحجاج - أحد تلامذة الإمام البخاري، الذين تتلمذوا عليه ورووا عنه. ولازموه وهجروا من أجله من خالفوه. وتأثروا به كثيراً لكن هل هذا يعني أن الإمام مسلم في مؤلفه سار على نهج أستاذه، أم أنه سلك سبيلاً آخر؟ هذا هو قصدنا من هذه الصفحات، أن نبين طبيعة المنهج الذي نهجه الإمام مسلم رحمه الله في تأليف مصنفه. منهج الإمام مسلم في تأليف صحيحه

بقلم: عبدالإله ولد عيسى

من هو الإمام مسلم؟

ــ هــو مسلم بن الحجــاج بن مسلم ورد بن كوشاذ ـ وقيل كرشان ـ القشيري النيسابوري ، يُكنى بأبي الحسن ، ولــد سنــة ٣٠٣هــ في نيسابور، أجمع العلماء على إمـامته في الحديث وتضلعه في الرواية، رحل كثيراً في طلب الحديث وتلقى العلم عن شيـوخ عصره، أمثال يحيى بن يحيى، ومحمــد بن مهــران وأحمد بن سنبل، والبخاري، وغيرهم مما أتاح له بدوره أن يصبح إماماً يقتـدى به، ويتلقى عنه العلم. وممن روى عنـه من التلاميـذالإمام الترمـذي، وأبو حـاتم الــرازي، وإبـراهيم بـن محمـد بن سفيـان وغيرهم.

ولمسلم رحمه الله كتب كثيرة ذكر أنها تزيد عن العشرين مؤلفـاً منها كتابـه المشهور «صحيح مسلم».

ومسلم كـالبخـاري مـلأ حياتـه بتعلم العلم، والرحلة في سبيله، ومجالسة العلماء داخل بلده وخـارجهـا، إلى أن وافـاه الأجل وذلـك سنـة ٢٦١هـ رحمة الله عليه. كان إماماً جليلاً مهاباً، غيـوراً على السنة النبـويـة والذبّ عنهـا، لازم أستاذه البخاري وأفاد منه، وهجر من أجله من خالفـه وكان في غايـة الأدب معه: حتى قـال له يـومـاً في مقـولتــه الشهيرة «دعني حتى أقبل رجليك يـا أستـاذ الأسـاتذة، وسيـد المحـدثين وطبيب الحديث في علله!» وقال شيخه محمد بن عبدالوهاب الفراء: «كان مسلم من علماء الناس، وأوعية العلم، ما علمته إلا خيراً»(١).

منهجه في الحديث:

(أ) التعريف بصحيح مسلم:

إذا قلنا بما سبق أن الأمـة الإســلاميـة تنعت صحيح البخاري بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعـالى، فـإنها أيضــاً وصفت صحيـح مسلم بالصفة نفسها وتلقته بالقبول منذ أن أتم تأليفه إلى يومنـا هذا، وذلك راجع إلى ما بذلـه في جمعه من الجهـد حتى ضمنـه ثـلاثمئـة ألف حـديث مسموعة، وكـان من أجل ذلك يقول: «لو أن أهل الحديث يكتبـون مئتي سنة الحديث، فمـدادهم على هـذا المسند»(٢)، وهـذا مـا جعل الصحيح يحظى بمكـانـة كبرى، في نفـوس العلماء قاطبـة. وهذا ما يؤكده الإمام النووي في قوله: «ومن أكبر الـدلائل على جلالتـه وإمـامتـه ورعه وحـذقـه وقعـوده في علـوم الحديث، واضطـلاعـه منهـا وتفننيـه فيهـا كتـابـه الصحيـح»(٣). وقـال الثعالبي: ويكفي في ترجمتـه أن نقول: هو مسلم مــؤلف الصحيح الــذي هــو تــوأم صحيح البخــاري... أجمعت الأمـة على قبول صحيحـه كصحيح البخاري والتـدين بما فيهما. وأنهما في الدرجـة الثانية صحـة وتشريعاً بعد كتـاب الله سبحـانــه، وتلقتهما بـالقبــول وكمال الثقـة واعتبـارهما ركنين مَكِينين للشريعة المطهـرة، لا يتم تشريع لفقيه دونهما للثقة العـامة الحاصلة لمؤلفيهما، لزيادة التحري والإتقان....»(٤)

وهذه إحدى شهادات العلماء تدلنا على أن الكتاب وحده دليل وبـرهان على مكـانـة صـاحبه، وهي وإن دلت على شيء فإنما تدل على ما أودعه مسلم في مؤلفه من جمع لأحـاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومـن ضبط لأصول ذلك وفـروعه، فلا غلو إذن أن تجمع الأمة على صحته.

(ب) منهج الإمام مسلم في الحديث:

يمكن استخلاص منهج الإمـام مسلم في الحديث من خـلال الخطة التي نهجهـا في تأليف كتابـه الجامع الصحيح، تلك الخطـة المتمثلـة في كيفية ضبطه واختلاف ألفاظ الرواة. وفي طريقة كتابته لـلأحـاديث وتقسيمهــا، وفي روايـة الصحيح وشروطه فيه وفي موقفه من الآحاد والمراسيل.

ففيما يــرجع «لضبط اختـلاف الــرواة»، فإن مذهب مسلم في ذلك أنـه يتحرى ويعتني بتمييز الألفاظ التي يستعملهـا في نقل الحديث وروايته من ذلك مثلاً: أنه يميـز بين «حدثنا» و «أخبرنا» فـاللفظ الأول عنـده لا يجوز استعمالـه إلا فيما سمعه من لفظ الشيخ بخاصة، في حين أن اللفظ الثاني يستعمله فيما قرئ له على الشيخ.(٥)

ويذهب ابن كثير أن أول من ميز بين اللفظين هو ابن وهب، وقيل هـو: أي «مسلـم» وابن جـريج

للإمام مسلم كتب كثيرة تزيد عن العشرين مؤلفا

والأوزاعي.(٦) وحسب ما ذهب إليه صاحب منهج النقد في علوم الحديث، فإن البخاري والزهري ومعظم الحجازيين والكوفيين يجوّزون استعمال وإطلاق «حدثنا» و «أخبرنا»، في العرض ولا يرون ضيراً في التمييز بينهما، خلافاً للشافعي ومسلم وأهل المشرق الذين يرون أنه بالرغم من توافق اللفظين لغة، فإنهما في اصطلاح المحدثين يختلطان، وذكر أن هذا هو الشائع عندهم.(٧) ومن مذهبه أيضاً، أنه يفرق بين حدثني وحدثنا، وأخبرني وأخبرنا، ففي قوله: «حدثني» إشارة إلى ما سمعه من لفظ الشيخ وحده وفي قوله : «حدثنا» إشارة إلى ما سمعه من غيره من لفظ الشيخ، أما لفظة «أخبرني» فيوظفها فيما قرأه وحده على الشيخ، وأما لفظة «أخبرنا» فيوظفها فيما قرئ بحضرته في جماعة على الشيخ.(٨)

وفيما يرجع طريقته في نقل الحديث وروايته، فإنه دائماً يحاول نقله ويتحرى روايته على الحالة التي سمعه بها من شيخه، وقد أورد الإمام النووي مثالاً لذلك فقال: «ومن تحريه في مثل قوله حدثنا عبدالله بن مسلمة حدثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد. لكونه لم يقع في روايته منسوباً لكان مخبرنا عن شيخه أنه أخبره بنسبه ولم يخبره.(٩)

وقد بيّن لنا ابن حجر السبب الذي مهد للإمام مسلم في أن ينهج أسلوب التحري في السياق والتحرز في استعمال الألفاظ وذلك بقوله: «.. بل لأن مسلماً صنف كتابه بحضرة أصوله في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ ويتحرى في السياق، ولا يتصدى لما يتصدى له البخاري من استنباط الأحكام ليبوب عليها.(١٠)

ــ وفيما يرجع للكيفية التي يكتب بها الحديث، فإنه يخصص لكل حديث موضعاً يناسبه ويليق به بلا تقطيع، بل إنه يسرده بكامله، وهذا ما أشار إليه ابن كثير بقوله: «وأما مسلم فإنه يسوق الحديث بتمامه ولا يقطعه، ولهذا رجحه كثير من حفاظ المغاربة، واستروح شرحه آخرون لسهولة ذلك بالنسبة إلى صحيح البخاري، وتفريقه الحديث في أماكن متعددة حسب حاجته إليه.(١١)

ويبدو أن الإمام مسلم خلافاً للإمام البخاري لم يقصد ـ حينما سلك هذه الطريقة في ترتيب الحديث ــ «فقه الحديث»، ولكن قصد إبراز الفوائد الإسنادية ولذلك نجده يروي الحديث في أنسب المواضع ويجمع طرقه وأسانيده في ذلك الموضع وهو ما نبهنا إليه الدكتور نور الدين عتر.(١٢)

ـ وفيما يخص تقسيمه للأحاديث، فقد جاء عنه في خطبة صحيحه ما نصه: «إنا نعمد إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقسمها على ثلاثة أقسام، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك... فأما القسم الأول: فإنا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها... فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف اتبعناها أخبار هذا الصنف أتبعناها أخباراً يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان، إلا أن ذكر بعض أفراد الطبقة الثانية فقال: إلا أن البون بينهما ــ يعني من ذكرهم في الطبقة الثانية ــ وبين هذين. وهما اللذان ذكرهما في الطبقة الثالثة ـ بعيد في كمال الفضل وصحة النقل»(١٣). وقد أفادنا الجازمي في شرح مقتضى هذا النص، وذكر الخلاف الذي وقع بين العلماء بصدد هذا التقسيم وهل التزمه مسلم في صحيحه أم لا؟ وسأذكر بإيجاز شديد بعض فقرات هذا الخلاف محيلاً القارئ على مصدره الذي اعتمده ـ الجازمي، وقوله كالتالي: «حيث قسم الأحاديث ثلاثة أقسام الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون، والثاني ما رواه المستورون المتوسطون في الحفظ والإتقان، والثالث ما رواه الضعفاء المتروكون، وأنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثاني، وأما الثالث فلا يعرج عليه، فاختلف العلماء في مراده بهذا التقسيم. فذهب الحاكم والبيهقي إلى أن المنية اخترمت مسلماً رحمه الله قبل إخراج القسم الثاني، وارتأى القاضي عياض أنه استوفى في كتابه ما وعد، واستحسنه النووي، وعلى هذا يهون ما يورد عليه لجريانه على ما وعد من إخراج حديث الطبقتين المتفاوتتين في الصحة، إلا أن تكون الحجة عنده بحيث تشمل الحسن... وليس المستور في كلام مسلم وهو المستور عند المتأخرين، لأنه عندهم المجهول الحال بأن لا يوثق وإن روي عنه اثنان وزال بهما جهالة العين»(١٤) وهو ما أشار إليه الإمام النووي في شرحه كذلك.

وفي نهاية المقال أود أن أبين أنه حينما حاولنا التعريف بصحيح البخاري، ومسلم، لم نكن نهدف من ذلك إسدال الستار عن أحدهما والانتقاص من قيمته، وإنما كان هدفنا هو إظهار ما يختص به كل منهما من المزايا دون الآخر، وبالتالي معرفة طبيعة المنهج الذي اعتمده كل منهما في تخريج الأحاديث الصحيحة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

الامامان مسلم والبخاري خدما السنة النبوية الشريفة اعظم الخدمات

والحق الذي لا مرية فيه، هو أن صحيحي البخاري ومسلم، باتفاق العلماء وإجماعهم، هما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، ولهذا السبب تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول الحسن منذ أن أتما تأليفهما إلى يومنا هذا.

وتجدر الإشارة إلى أن العلماء لم يقفوا عند هذا الحد، بل منهم من يميل إلى تفضيل أحد الكتابين على الآخر لأسباب تجدها فيه دون غيره، هذا موضوع آخر يحتاج إلى تفصيل أوسع لا مجال لبحثه في هذا المقال.

رحم الله تعالى الامامين «البخاري ومسلم» اللذين يعدان حقاً ممن خدما السنة النبوية الشريفة، وأنهما قصرا حياتهما لأجل إيصالها إلينا، بعد أن أزالا عنها بتوفيق من الله تعالى بعض ما علق بها من انتحال واختلاف، وساهما في ضبط أصول ذلك وفروعه مساهمة فعالة خالدة، لذا فلا غرابة بعد هذا أن يثنى عليهما أئمة العلم بعدهما، ويكفيهما من ذلك أن كتابيهما يحتلان المرتبة الثانية من حيث الصحة بعد كتاب الله تعالى، فجزى الله الإمامين عن الإسلام في خدمة السنة المطهرة خير الجزاء... وأجزل لهما العطاء والثواب. ■

الهوامش:

١ ـ تاريخ بغداد، ج١٣، ص ١٠٠.
٢ ــ علوم الحديث ومصطلحه. ٣٩٩، د. صبحي الصالح، رحمه الله.
٣ ـ تاريخ بغداد، ج١٣ ص ١٠١.
٤ ــ مقدمة صحيح مسلم، بشرح النووي ج١ ص٣١.
٥ ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج٣ ص ٨١، ٨٣.
٦ ـ الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٠٧.
٧ ـ منهج النقد في علوم الحديث ص ٣٣٤.
٨ ـ صحيح مسلم شرح النووي ج١، ص ١٥١.
٩ ـ المرجع نفسه ج١ ص ٣٣.
١٠ ـ هدي الساري لابن حجر ص ١٣.
١١ ـ الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٣٩.
١٢ ــ منهج النقد في علوم الحديث، د. نور الدين عتر، ص ٣٥٤.
١٣ ـ صحيح مسلم، بشرح النووي، ج١، ص٣ وما بعدها.
١٤ ـ شروط الأئمة الخمسة للجازمي ص ٦٦.

معية الله عز وجل

تربية

كيف تشعر بالضعف؟ إذا كان مالك الملك، ورب الأرباب، وملك الملوك، العظيم الجبار، القوي العزيز،ومن بيده كل شيء... كان معك!؟

كيف تخاف؟ أو تفقد الأمن، أو تحس بالهلع والجزع، إذا كان الله تعالى معك؟!

كيف تخشى الفقر؟ ومالك الملك، رازق كل إنسان وحيوان ونبتة، من له ما في السموات وما في الأرض... كان معك؟!

كيف تشعر بالهوان؟ والعزيز الحكيم . من له جنود السموات والأرض، خالق كل شيء.. كان معك؟!

هذه هي معية الله.. جل شأنه.. وعزَّ قدره..

تحول الضعف قوة، والفقر غنى، والخوف أمناً، والذلة عزاً، والقلق طمأنينة.

بقلم: محمد رشيد عويد

ما مدى طمأنينتك، إلى عدم الفقر، حين تكون لك أرصدة كبيرة، في جميع مصارف العالم، وبمختلف العملات، وتكون لك معها أملاك وعقارات وثروات؟

إلى أي حد يبلغ إحساسك بالقوة، حين تكون قائد جيش كبير، حديث السلاح، عظيم التدريب، يطيعك كل فرد فيه؟

لاشك أنك ستشعر، إذا تحقق لك جميع ما سبق، بالعزة والمنعة، والقوة والعظمة، والغنى والأمن.

مواقف ثابتة

لنتأمل موقفين لرسولين من رسل الله تعالى، استشعرا فيهما معية الله تعالى في ثقة مطلقة، وإيمان عظيم، وتسليم مطمئن.

الموقف الأول للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حين كان مع صاحبه الصديق رضي الله عنه، في الغار، والقوم يطلبونهما خارجه، لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآهما.

يقول الله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٤٠].

«إن الله معنا»، فلا يضر جمعهم،ولا ينفع سلاحهم، ولا يخيف قربهم، ولا يجدي عزمهم..

مادام الله معنا فلا خوف ولا فزع ولا ضرر ولا ضعف انما عزة وقوة على قوة

﴿إن الله معنا﴾ فلا نخافهم، ولا نرهبهم، ولا نفزع من قوتهم، لأنها لا تعني شيئاً أمام قوة الله، ولا تشكل خطراً إزاء عزة الله، ولا تضعف عزيمة مع جبروت الله.

فماذا كانت نتيجة هذا اليقين بمعية الله؟ ماذا كانت ثمرته؟

١ـ ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾
٢ـ ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾
٣ـ ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾
٤ـ ﴿وكلمة الله هي العليا﴾
٥ـ ﴿والله عزيز حكيم﴾

فلنتأمل في كل واحدة من هذه الثمرات:

فأنزل الله سكينته عليه

ماأعظم سكينة الله حين تنزل على قلب المؤمن

فهي الطمأنينة التي تسكن عندها القلوب(١)

وبها يسكن الجأش، ويذهب الروع،ويحصل الأمن(٢)

فلا خوف معها، ولا قلق بعدها، ولا همّ ولا حزن،.

إنها ثمرة عظيمة لمعية الله، ثمرة يتمناها كل الناس، في كل الأزمان، لكنهم في هذا الزمان أشد إليها حاجة، لأنهم أشد لها فقداً. فالكآبة تخالط نفوسهم وتعلو وجوههم، قلق يستبد بعقولهم ويتعب تفكيرهم. همٌّ تواصل يغشى قلوبهم ويضنك معيشتهم.

ولن يزيل هذا كله، ويمحوه من العقل والنفس والقلب.. إلا سكينة الله تنزل عليهم.

لكن هذه السكينة لن تكون إلا لمن كان مع الله.. وكان الله معه

وأيده بجنود لم تروها

إنها ثمرة عظيمة أخرى من ثمرات معية الله تعالى:

إنها تجعل كل ضعف قوة، وتحول كل خوف أمناً، وتقلب كل تراجع وتردد إقداماً وعزماً.

ما أعظم أن يعلم المرء أن هناك جنوداً تحرسه. ليست جنوداً وضعها وسلحها البشر.إنها جنود الله ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] إنها ليست جنوداً من الأرض وحدها، بل هي من السماء أيضاً:

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾ [الفتح: ٤]

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [الفتح ٨]

وهي جنود ترى أعداءها ولا يرونها حتى يحذروها ويتقوها:

﴿وأيدهم بجنود لم تروها﴾ [التوبة: ٤٠]

﴿..فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ [الأحزاب ٩]

﴿وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا﴾ [التوبة: ٢٦]

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى

ثمرة عظيمة ثالثة من ثمرات معية الله.

فمهما قويت كلمة الذين كفروا، ومهما اجتمع عليها الناس، فإنه سبحانه يجعلها السفلى.

فالمشركون الذين اجتمعوا في دار الندوة، واتفقت كلمتهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخفقوا إخفاقاً ذريعاً ونجى الله نبيّه رغم أنوفهم، وحفظه من كيدهم، مع أنهم لم يدعوا في القوس منزعاً في إيصال الشر إليه، وجعلوا الدية لمن يقتله أو يأسره عليه الصلاة والسلام،وخرجوا في طلبه عليه الصلاة والسلام رجالاً وركباناً، فرجعوا صفر الأكف سود الوجوه، وصار معه بعض من كان ضده، مثل سراقة(٣)

هكذا تصبح كلمة الذين كفروا حين يتآمرون على من كان الله معه، سفلى، ومهزومة، ومغلوبة، ومقهورة.

وكلمة الله هي العليا

هي العليا دائماً وأبداً.

فلا خوف على من كان مع الله، من أن تنزل من عليائها يوماً، بل لحظة، لا خوف عليه من أن تضعف أو أن تتراجع.

وفي إضافة (الكلمة) إلى(الله) إعلاء لمكانها، وتنويه لشأنها (٤) فكيف بمن يؤمن بها، ويدعو إليها، ويعيش في كنفها!

وستظل كلمة الله في مكانها العالي منتصرة قوية نافذة.

لأنها هي العليا طبيعة وأصلاً، من دون تصيير متعلق بحادثة معينة(٥)

والله عزيز حكيم

تأكيداً لما سبق كله، وتفسيراً له كله.

فهذا وعد الله لمن كان مع الله، وكان الله معه، لأن الله تعالى «عزيز حكيم» أي قاهر غالب(٦)

فكيف لا يشعر بالعزة من كان العزيز الحكيم معه!

كيف لا يحس بالمنعة من كان القاهر الغالب معه!

كيف لا ينصر من كان من بيده النصر معه!

ولنتأمل أخيراً تكرار لفظ الجلالة خمس مرات في هذه الآية الواحدة:

- ﴿فقد نصره الله﴾
- ﴿إن الله معنا﴾
- ﴿فأنزل الله سكينة﴾
- ﴿وكلمة الله هي العليا﴾
- ﴿والله عزيز حكيم﴾

نتيجة اليقين وثمر الإيمان بمعية الله تأييده لك وانزال السكينة في قلبك واعلاء كلمته

وعندما بحثت عن آية أخرى في القرآن الكريم، تكرر فيها لفظ الجلالة خمس مرات، لم أظفر بغير آيتين!

فماذا يعني تكرر لفظ الجلالة في هذه الآية؟ على الرغم من أنه كان يمكن إيراد الضمير مكان لفظ الجلالة مثل: وكلمته هي العليا، وهو العزيز الحكيم. كما ذكر الفراء. لكن النحاس قال:الذي ذكره الفراء لا يشبه الآية، ولكن يشبهها ما أنشد سيبوبة:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء
نغَّص الموت ذا الغنى والفقيرا

يقول القرطبي: فهذا حسن جيد لا إشكال فيه، بل يقول النحويون الحذّاق: في إعادة الذكر في مثل هذا فائدة، وهي أن فيه معنى التعظيم(٧).

وفيه أيضا بعث لمشاعر الأنس في نفس من كان مع الله وكان الله معه، حين يقرأ هذه الآية الكريمة، فيتردد ذكر الله تعالى، بلفظ الجلالة نفسه، خمس مرات،مرة بإعلان نصره لعبده، وأخرى بتأكيد معيته، وثالثة بإنزال سكينته، ورابعة بالتذكير بكلمته العليا، وخامسة ببيان عزته وحكمته، فأية قوة يستشعرها العبد أعظم من هذه القوة، وأية طمأنينة تنسكب في نفسه أعمق أثراً من هذه الطمأنينة؟!

أما الموقف الثاني الذي كان للنبي موسى عليه السلام، حين أسرى مع عباد الله، بوحي من الله وتدبير منه فأتبعهم جنود فرعون في الصباح بمكر من فرعون وبطر. ثم هاهو ذا المشهد يقترب من نهايته، والمعركة تصل إلى ذروتها.. إن موسى وقومه أمام البحر ليس معهم سفينة، ولاهم يملكون خوضه، وماهم بمسلحين. وقد قاربهم فرعون بجنود شاكي السلاح يطلبونهم ولا يرحمون! وقالت دلائل الحال كلها: أن لا مفر والبحر أمامهم والعدو خلفهم: ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾.. وبلغ الكرب مداه، وإن هي إلا دقائق تمر ثم يهجم الموت ولا مناص ولا معين!

ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون.فهي لابد كائنة والله هو الذي يوجهه ويرعاه: ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾..

كلا. في شدة وتوكيد،كلا لن نكون مدركين. كلا لن نكون هالكين. كلا لن نكون مفتونين، كلا لن نكون ضائعين ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ بهذا الجزم والتأكيد واليقين.(٨)

لماذا لا نقرأ الآيات جميعها:

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون. فأرسل فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرذمة قليلون.وإنهم لنا لغائظون. وإنا لجميع حاذرون. فأخرجناهم من جنات وعيون.وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بني إسرائيل.فأتبعوهم مشرقين. فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى: إنا لمدركون. قال كلا إن معي ربي سيهدين.فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.وأزلفنا ثم الآخرين. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين. إن في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ الشعراء: ٥٢-٦٨].

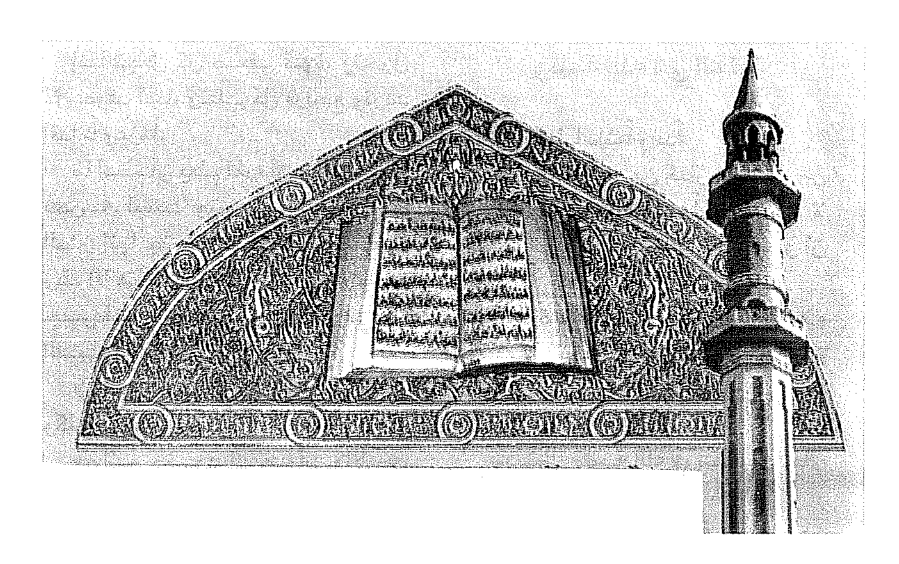
إنها الثمرات نفسها. تقريبا، التي أعطاها الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لصاحبه الصديق ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. فقد قال موسى عليه السلام هنا ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ فذكر سبحانه هذه الثمرات:

١- ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾

٢- ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾

٣- ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾

٤- ﴿ثم أغرقنا الآخرين. إن في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين.وإن ربك لهو العزيز الرحيم».



فلننظر لكل واحدة من هذه الثمرات أيضاً:

فأوحينا إلى موسى

جاءت الثمرة الأولى مباشرة بعد إعلان موسى عليه السلام أن الله تعالى معه: ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين. فأوحينا﴾ تماماً كما جاءت الثمرة الأولى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته وكلتا الثمرتين بدأت بالفاء السببية التعقيبية ﴿فأوحينا﴾ ﴿فأنزلنا﴾فلا فاصل بين معية الله تعالى وبين تأييده ونصره.

يقول القرطبي (فلما عظم البلاء على بني إسرائيل، ورأوا من الجيوش مالا طاقة لهم بها، أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه، وذلك أنه عزّ وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل يفعله،

عندما يتآمر الكافرون على من كان الله معه سيكونون مغلوبين ومقهورين ومهزومين

وإلا فضرب العصا ليس بفارق للبحر، ولا معين على ذلك بذاته إلا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه)(٩) أي أن الله تعالى جعل نصره لنبيه موسى عليه السلام في عصا ضعيفة بذاتها، كماجعل نصره لنبيه محمد صلى الله عليه والسلام في بيت العنكبوت والحمامة التي باضت على باب الغار.وفي هذا دلالة واضحة على أن الأسباب الأرضية، مهما بلغت، لا تأتي بنصر ما لم يأذن الله، وأنها - أي الأسباب الأرضية - مهما ضعفت، تأتي بنصره سبحانه إذا اقترنت بقدرته تعالى.

﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾

أي وقربنا فرعون وقومه، أو جمعناهم، إلى البحر.أي أنه سبحانه أعدّ هزيمة أعداء موسى أيضاً، بعد أن أعد النصر له عليه السلام..كما جعل سبحانه كلمة أعداء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من المشركين.. السفلى، والمهزومة، والمغلوبة.

وأنجينا موسى ومن معه أجمعين

وهذا تأكيد لنصره سبحانه كثمرة طبيعية لمعية موسى عليه السلام. بل إن هذه المعية لم تكن سبباً في نصرة موسى عليه السلام وحده، بل وجميع من معه من بني إسرائيل، ومن اتبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحد.

ثم أغرقنا الآخرين

أتم سبحانه النصر لنبيه موسى عليه السلام بإهلاك فرعون وقومه جميعاً، بإطباق البحر عليهم، بعد خروج موسى عليه السلام ومن معه، وكان البحر للبحر وجبة (صوت سقوط). روي عن ابن عباس أن بني إسرائيل لما خرجوا سمعوا وجبة البحر فقالوا: ما هذا؟ فقال موسى عليه السلام: غرق فرعون وأصحابه، فرجعوا ينظرون، فوجدوا فرعون وجنوده قد ألقاهم البحر على الساحل. والتعبير عن فرعون وجنوده بـ «الآخرين» للتحقير.(١٠)

إن في ذلك لآية

﴿إن في ذلك لآية﴾ أي إن في الذي حدث في البحر لعبرة دالة على قدرته تعالى، وعلى صدق موسى عليه السلام، من حيث كان معجزة له، وتحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله وأمررسوله صلى الله عليه وسلم. ثم بين أنهم لم تجدهم الآيات والنذر شيئاً: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي وإن أكثرهم لم يؤمنوا مع ما رأوا من الآيات العظام والمعجزات الباهرات.

يقول الإمام الرازي: (أما قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآية﴾ فالمعنى أن الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرته، لأن أحداً من البشر لا يقدر عليه. والدالة على حكمته من حيث ان ما وقع كان مصلحة في الدين والدنيا. والدالة على صدق موسى عليه السلام من حيث كان معجزة له، وعلى اعتبار المعتبرين به أبداً، فيصير تحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله،ويكون فيه اعتبار لمحمد صلى الله عليه وسلم، فإنه قال عقيب ذلك ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾وفي ذلك تسلية له فقد كان يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه)(١١).

﴿وأما قوله ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فتعلقه بما قبله أن القوم، مع مشاهدة هذه الآية الباهرة كفروا، ثم إنه تعالى كان عزيزاً قادراً على أن يهلكهم، ثم إنه تعالى ما أهلكهم بل أفاض عليهم أنواع رحمته.. فدل ذلك على كمال رحمته وسعة جوده وفضله»(١٢).

هذه هي الثمار العظيمة لمعية الله تعالى كما وجدناها في موقفين لنبيين كريمين.

ولعل سؤالاً يتبادر إلى الخاطر: ومتى يكون الله مع عبده؟ ومن العبد الذي يكون الله معه؟

لقد بين الله تعالى لنا في قرآنه الحكيم مَنْ مِنْ العباد يكون سبحانه معهم:

١ـ الصابرون:

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣]

﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين﴾ [البقرة: ٢٤٩]

- ﴿..فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٦٠]

٢ـ المتقون:

﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة: ١٩٤]

﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [التوبة: ٣٦]

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [التوبة: ١٢٣]

ثمرة الإيمان والكينونة له نجت محمداً من الكافرين بوجود الحمام على باب الغار ونجت موسى بفتح البحر له وانغلاقه في وجه فرعون

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨]

٣ـ المحسنون:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٩٦]

﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨]

٤ـ المؤمنون المصلون المزكون المتصدقون:

﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ [المائدة: ١٢]

أرأيتم معية الله تعالى ما أعظمها، وما أحسنها، وما أكثر ثمارها لمن نالها وحظي بها!.

المراجع

(١) روح المعاني ـ مجلد/ ٥ ـ ص ٩٨

(٢) الجامع للقرطبي ـ ج ٨ ـ ص ١٤٨

(٣) روح المعاني ـ مجلد/٥ ـ ٩٨ و٩٩

(٤) تفسير المراغي ـ ج ٨ ـ ص ٢١٨

(٥) في ظلال القرآن ـ ج ١٠ ـ ص ١٦٥٦

(٦) التفسير الكبير ـ ج١٦ ـ ص ٦٩

(٧) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ٨ ـ ص ١٤٩

(٨) في ظلال القرآن ـ ج ١٩ ـ ص ٢٥٩٨

(٩) الجامع ـ ج ٨ ـ ص ١٠٧

(١٠) روح المعاني ـ المجلد العاشر ـ ص ٨٩

(١١) و(١٢) التفسير الكبير ـ ج ٢٤ ـ ص ١٤١.

أصالتنا الأدبية

■ التصور الإسلامي للحياة والوجود هو الأساس الفكري والوجداني لأدبنا وفنوننا..

■ أصالتنا الأدبية عصمة لنا من التبعية والانحراف. وتكريس للاستقلالية والتميز.

بقلم الدكتور: محمد عادل الهاشمي

كثر الحديث عن الأصالة، فهناك من جعلها رمزاً للتراث، وعدها نقيضاً للمعاصرة والتجديد. وهناك من جعلها قسيماً لهما. أما نحن فنطرح الأصالة على أنها طريق الصحوة الإسلامية، تتخذ من المنهج الإسلامي نبراساً، تجمع بين التراث والمعاصرة والتجديد في طريق متميز فريد.

لقد رعت هذه الأصالة المتميزة أدبنا المعاصر، فكيف أكسبته روح الانتماء والشخصية الحضارية؟

الأدب تلك الكلمة الجميلة الرفافة.. ظلت على مدى الأزمان تسحر الأسماع وتخلب الأفئدة.. لها على النفس سحر لا يقاوم واستمالة لا تدفع.. كونت لكل أمة تراثاً شائقاً، يتألق في صدره رجال أدبها وفكرها قد خلدوا في النفوس أكثر من خلود عظماء السلطة والسياسة، فكان أثرهم على الزمان أتم وأشمخ وأبقى.

هذه الكلمة الجميلة المونقة التي تعكس ما في النفوس من تجارب إنسانية خالدة، قد ملأت الطروس كلمات مجنحة رائدة، تنساب إلى النفوس شعراً أو قصة، أو مسرحية أو سيرة أو مقالة أو خاطرة.. هذا الرصيد اللاحب من الإيحاء بالكلم المستعذب الجميل حري ألا يحرق في بحور الفراغ كلاماً سادراً يفضي إلى المتاهة والتفاهة، أو يضيع بين النزعات الدخيلة وأمراض تقليد الغرب وعقده.

نعم، إن الأدب حر كضوء الشمس لا يقبل الفرض والالزام، ولا يملك أحد أن يملي علي الأديب تجربته وقالته. ولكن لكل أديب خلفيته الفكرية والوجدانية، يصدر عنها أدبه، قد ساعدت على تكوينها عوامل مؤتلفة تتصل بنشأته ومجتمعه الذي انبثق من خلالهما أدبه، من بيئة ومجتمع وثقافة وقيم وتاريخ فني.

فهل كان أدبنا — عبر أجيالنا الطويلة — يمتلك أساساً فكرياً ووجدانياً؟.

إن من نافلة القول التأكيد بأن أدبنا كان يمتلك الأساس الفكري لحياتنا وحضارتنا — بما فيها من مناشط فكرية وأدبية — منذ ظهور الإسلام، تشهد بذلك حياتنا الإسلامية التي قامت على تصور متميز للكون والحياة والإنسان، وقد انبثقت من هذا التصور كثير من صور حياتنا الاجتماعية والثقافية، بل إن جل

> **أورف الطريق الأصيل وازدهر، وتدفقت منه ملايين المسلمين بالإيمان والاستقلالية والاعتزاز**

نتاجنا الثقافي عبر العصور ليروي بوضوح صدوره عن حقائق التصور الإسلامي لمقومات الحياة.

إن طريقنا إلى إرساء شخصيتنا الأصيلة في أدبنا أن نتبنى التصور الإسلامي للحياة والوجود أساساً فكرياً ووجدانياً لأدبنا وفنوننا، لأنه ما من أديب ذي شخصية أصيلة إلا ويستورد لأدبه من الأمم الأخرى القواعد الفكرية والنوازع الاجتماعية بما يغاير شخصيتها ويباين أساسها الفكري والوجداني.

ولعلنا نلاحظ في نتاج الأدب المعاصر أن الأدباء الذين قبسوا من معطيات آداب الأمم الأخرى دون أن يسيغوا ذلك بشخصية أمتهم وتصورها للحياة، والذين لم يكن لنظرة أمتهم المتميزة شأن فيما يقولون وينتجون، قد ظلت مقاييسهم الفنية مرتبطة بسواهم، فلم يكن لهم فضل في إضافة عوالم أدبية جديدة، ولم يتح لهم إثراء النتاج العالمي بزاد جديد مما يتضمنه الأساس الفكري والوجداني لحضارتهم فظلوا تبعاً لغيرهم.

من هؤلاء من تابع فلسفة «الوجودية» الهدامة فأضاع نفسه وأضاع من يقرأ له. يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي معبراً عن غربة وجوده بتجربة الضياع والكآبة والإحباط..

من لا مكان\
لا وجه لا تاريخ لي\
من لا مكان...\
متثائب، ضجر، حزين

سأكون، لا جدوى. سأبقى دائماً من
لا مكان...
نفس الحياة يعيد رصف طريقها،
سأم جديد
أقوى من الموت العنيد
..... سأم جديد
وأسير لا ألوي على شيء وآلاف السنين
لا شيء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين
ـ وحل وطين
وعيون آلاف الجنادب والسنين (١)

لا يخفى ما في ممارسة العدمية الوجودية التي عبر عنها الشاعر فيما سبق من تجميد لطاقات الإنسان وتشويه لذوقه وعقله وفطرته الإنسانية..

إن مقولتها بالوجود السابق على الماهية يسلم سلوك الإنسان إلى الفوضى والهوى الشخصي فيفسر الأشياء بنفسه كما يشاء، ويمارس ما يشاء دون أن يتقيد بمثل أو قيم. فما الإنسان — في رأي سارتر — إلا ما يصنع نفسه وما يريد نفسه وما يتصور نفسه في الوجود (٢)، وإن في هذه النظرة — فضلاً عن العزلة والشطط الفردي ـ إهداراً للآخرين رأياً وفكراً ومعتقداً. وفيها البعد عن كل ما يتصل بالمعنويات والروح.

وينهج أدونيس في خطه الشعري فلسفة «السوريالية» وموقفها من الشاعر وهو موقف رافض مضاد فنراه يعبث بمدلولات اللغة وصياغاتها، ويحطم النسق المألوف، ويبلغ به الادعاء والشطط أن يقدم للجمهور القصيدة والمسرحية أو القصة التي يحتاجها ـ على زعمه ـ والتي تهدم كل شيء: الموروث والدين والسياسة، والعائلة ومؤسساتها، والتراث ومؤسساته (٣).

ويمضي أدونيس على هذا النهج في نتاجه الشعري مدعياً الإتيان بالجديد، وما هو بجديد، وإنما هو متابعة لنهج الهدم السوريالي لكيان الأمة وثوابتها وطبيعتها الحضارية. إنه يحدد موقفه من ثوابت الأمة وأصالتها بقوله:

هدمت قصر الرمل في العيون
منحت للتكايا/ مجامر الأفيون
مجامر الأفيون والسجاد والمرايا
رجمت وجه الصبر والقبول
رقصت للأفول/ لجثة الإله (٤)

ولعله يلخص منهجه الرافض للعقيدة والقيم وسائر الثوابت بقوله:

مسافر تركت وجهي على/ زجاج قنديلي
خريطتي أرض بلا خالق/ والرفض إنجيلي (٥)

إن مواقف السوريالية من الحياة ليتضح في هدم الواقع، وتكريس حياة الغرائز وفي نفي الدين.

أما هدمها للواقع فمبني على كسر العلاقة المألوفة، واعتماد الصيرورة، فالمطلوب في السوريالية أولاً هدم الواقع لينبثق منه ـ في زعم أصحابها — واقع جديد، كان القديم قشرته السطحية، فإن إرادة خرق جميع الحواجز تبقى الفكرة الرئيسية للسوريالية، كما يرون أن الدعابة ترينا العالم، من منظار آخر مختلف، في كسرها العلاقة المألوفة مع الأشياء، إنها تفسد عاداتنا باغتراب أو مفاجآة أو تقاربات غير منتظرة.

أما موقفها من الغرائز فهو المتابعة لـ «فرويد» الذي يعمم أثر الجنس في الحياة البشرية، فيزعم أن الفن والثقافة والحضارة والمعتقدات ما هي إلا ثمرة الكبت الجنسي، فيفسرون الحضارة بنظرته، فيرون أن كل ما لفظته البشرية منذ زمن، كمناهضة الثقافة أو لذة القتل أو الخيانة أو الاغتصاب، كله يعيش في الطفولة مع الفرد، وهي مرحلة قبل التاريخ في النفس البشرية، وهكذا يجدد كل فرد رمزياً في تطوره الخلقي كل تاريخ الحضارة. ولعله يتضح ما في السوريالية من أن الإنسان يعيد في طفولته طفولة البشرية ويمر في حياته بمراحل تطور تاريخ الحضارة من تجن على البشرية وحضارة الإنسان، ومحاولة إسناد الحيوانية للإنسان عن طريق إسناد صفة الإنسان البدائي.

قدم لنا شعراء الصحوة تسعين ديواناً تنفح بالأصالة والفن والجمال

وأما موقفها من الدين فواضح من اتخاذ الفلسفة السوريالية الشعر والفلسفة بديلاً من الدين. يقول ماريتان:

«السورياليون — مأخوذين بشرَك تجربة لن ينسوها ومناهضين لأي شكل ديني لله ـ لم يحاولوا البحث إلا عن منابع الشعر بتحميل الشعر واجبات القداسة دون أساليب القداسة» (٦).

هذا طرف من الشتات الفكري الذي صنعته الفلسفات الأرضية التائهة، والبعد عن ينابيع العقيدة، عصف بالأقطار الأوروبية وأصابنا منه نثار مزق النفوس وأطاح ببعض أصحاب القلم عن طريق الوعي والرشاد، فترددوا في دورب التيه والضياع. وهنا يعبر الشاعر نزار قباني عن هذه الوهدة من الضياع التي تردى فيها بسبب التحاقه بقافلة التغريب....

تاريخي! مالي تاريخ
إني نسيان النسيان
إني مرساة لا ترسو
جرح بملامح إنسان
ماذا أعطيك؟ أجيبيني
قلقي؟ إلحادي؟ غثياني؟ (٧)

في خضم الضياع والشتات من جهة، والغزو الأجنبي لديار الإسلام من جهة أخرى، كان لابد من تململ الشعوب الإسلامية ضيقاً بالواقع التعس الذي تضيع فيه الجهود والطاقات والثروات، وتفتك بالأمة الأدواء والويلات..

تلفت الناس يبحثون عن طريق الخلاص، عن منقذ يعيد دفة الحياة إلى شاطىء الأمان بعد أن عصفت بها الرياح الهوج، فوجد المسلمون الغيارى بعد طول التجارب أنه لا خير يرتجى في طريق التغريب الذي أقحمت فيه الشعوب المسلمة، فتعاقبت الصيحات بالدعوة إلى انتهاج طريق الأصالة بوصفه طريق الخلاص، طريق الثراء الإيماني على درب أمتنا الإسلامية وحضارتها الخالدة وكنوز عطائها السخي.

لقد استطاع أديب أصيل موهوب كمحمد إقبال أن يفتتح طريق الأصالة المعاصرة باعتزاز كبير وأن يرسم خطوط الاستقلالية العصية على الاندماج أو الذوبان، يقول:

«لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي، ويعشي بصري، وذلك لأني اكتحلت بإثمد المدينة!» (٨).

ثم يمثل لدور إنساننا عبر التاريخ ويكشف عن سر إنجازاته الحضارية الرائعة، فيلفيها متمثلة في الانتماء إلى أكرم رسالة وأشرف نبي...

«لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم، وانقادت لي الصعاب فإني من أتباع ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطأته الحصباء، فصارت أعلى قدراً من النجوم، وجرى في إثره الغبار فصار أعبق من العبير»(٩).

لنستمع إليه وهو يوصي المسلم بانتهاج طريق الأصالة:

«اضرب خيمتك حيث شئت في الصحراء، ولتكن خيمتك قائمة على عمدك وأطنابك. ولا تنس أن استعارة الأطناب من الأجانب حرام» (١٠).

ولنستمع إليه وهو يحدوه إلى دوره الرائد في الوجود عساه ينهض به في العالم من جديد:

«أنا أعلم جيداً يا إخواني العرب! أن النار التي شعلت الزمان وبهرت التاريخ لم تزل ولا تزال تشتعل في وجودكم. صدقوا أيها السادة! إنه لا دواء لكم في جنيف ولا في لندن... إن الأمم لا تذوق طعم الحرية والاستقلال حتى تربي فيها الشخصية والاعتداد بالنفس» (١١).

ولقد أورف طريق الأصالة ـ بفضل من الله ـ وازدهر، وتدفقت منه بالإيمان والاستقلالية والاعتزاز ملايين المسلمين، وشدا على هذا الدرب الأصيل الأدباء والشعراء المعاصرون يغنونه إبداعهم وعطاءهم، ورسموا له المنهج الاستقلالي والطريق الفني حتى غدا تيار الأصالة ملء السمع والبصر، يبتعث في النفوس الشخصية الحضارية للإنسان المسلم، ويحدو إلى إعادة أمجاد الإسلام. يقول الشاعر شريف قاسم مبشراً بازدهار هذا الطريق الأصيل:

أمتي.. وحشة الظلام ستفنى
ورؤى الفجر تمحق الحرمانا
أقبلت كالصباح وابتدرتها
بالمثاني دوربها ريحانا
هي حق تلك الرؤى فانتظرها
صحوة تلبس المدى العريانا
قوة في النفوس كامنة لو
هزها دين ربها برهاناً
لأعادت من البطولات جيلاً
يحمل الفتح في الورى والأمانا
ولوى ظلمة الضياع بنهج
يرث الأرض أهلُها والزمانا
إنها اليقظة الكريمة، شعب
يتسامى وينفض الأحزانا
يتهاوى أمام طلعته الذل
ويكبو طاغوته خزيانا
هو شعب له الشريعة عز
ويرى الفتح للسلام مكانا

طريق الأصالة أورف بفضل الله وازدهر واعتز بملايين المسلمين

وأراها رؤيا يقين بروحي
تكسر القيد، تنزع الأكفانا (١٢)

على هذا الطريق الرغيب الرحيب سار في العقود الأخيرة شعراء الصحوة الإسلامية وأدباؤها، فقدموا لنا زهاء تسعين ديواناً شعرياً ينفح بالأصالة والفن والجمال، هذا خلا المقالات والقصص والمسرحيات.

ولعل القارىء استشرف من خلال العرض السابق خطوط أصالتنا الأدبية. إنها في إجمال وجيز اعتصام واع بالشخصية المسلمة في سائر الأحوال، وصياغة للإنسان المسلم على أساس المنهج الإسلامي في الفكر والحياة، وأداء بالقول والعمل لمهمة الإنسان في الوجود، وتميز في الآداب والمناشط الإنسانية بالتصور الرباني وآفاقه العليا، وإفادة من معطيات العصر بعد صهرها بشخصيتنا المسلمة، وتوظيف معطيات الأمم ومبتكراتها ـ ما لاءمت روح الإسلام ـ لصالح الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية. ■

المصادر

(١) ديوان عبد الوهاب البياتي ١: ١٦٨ ـ ١٧٠.
(٢) الوجودية مذهب إنساني جان بول سارتر ترجمة د. عبد المنعم الحفني ص: ١٤ و ١٥.
(٣) زمن الشعر أدونيس ص: ٧٦.
(٤) الآثار الكاملة أدونيس ١: ٤٥٢.
(٥) نفسه ١: ٤١٥.
(٦) السوريالية إيفون دوبليسيس ترجمة هنري زغيب ص: ٢٥ و ٣١ و٦١ و٦٣ و ١٠١.
(٧) ديوان أحلى قصائدي نزار قباني ص: ٢٢.
(٨) روائع إقبال تعريب علي أبو الحسن الندوي ص: ٤٤.
(٩) نفسه: ٤٦.
(١٠) نفسه: ١٢٦.
(١١) نفسه: ٧٤.
(١٢) مقدمة من الشاعر.

تأملات

التفكير والتأمل

بقلم د / ماجد أحمد موني

عندما يبدع الصانع في صنعته ويتأكد من دقتها يتحدى الآخرين في إثبات عدم وجود أي خلل فيها، فيترك المجال لمن يتدبر أو يتفكر في هذه الصناعة كما يشاء، والله خلق الكون بما فيه من معجزات وأعطى الإنسان حرية التفكر والتأمل بما منحه من عقل حتى يثبت إيمانه لما في هذا الكون من أسرار يعجز العقل البشري عن الإحاطة بها.

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وفضله على غيره من المخلوقات فقد كرّمه بالعقل ووهبه وسائل الحس والإدراك التي تساعده على التأمل، وسخر له ما في السموات وما في الأرض فقال سبحانه:
(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه..) [الجاثية ـ ١٣].
وقال تعالى:
(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً..) الإسراء ـ ٧٠.
وبهذه الخصائص التي أهلّته ليفهم نفسه ومن حوله ويتلقى عن ربه تعاليم الوحي، استحق أن يكون خليفة الله في أرضه، وجعلت ميزته الأصيلة أن يوجه إليه الخطاب ويرسل إليه الرسل والأنبياء وأن يكون عقله مفتاح هذا الكون، والسبيل إلى معرفة أسراره وكنوزه.
من لدن آدم عليه السلام وقافلة البشرية تنتقل من حال إلى حال، ورسل الله تتابع عليها حتى نضجت واستوى عودها، واستعدت لتتلقى كلمة الله الأخيرة، فكانت رسالة الإسلام عامة لكل البشر شاملة لكل الشرائع. تخاطب العقل وتدعو إلى التأمل.
لقد جاء الإسلام برسالة خالدة تخاطب العقل وتحترمه وخاتمة للشرائع ومكملاً للرسالات السماوية التي سبقته، يخاطب الناس أجمعين ويوقظ فيهم جوانب الإدراك والتفكير ومشاعر الوجدان والإحساس ويضعهم أمام مسؤولياتهم ويفتح عيونهم على الكون والحياة ليعرفوا ربّ الكون والحياة.
استمع إلى القرآن الكريم وهو يسوق آيات التأمل والتفكير بعد آية التوحيد يقول سبحانه وتعالى:
(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) [البقرة ١٦٣ ـ ١٦٤].

التفكير والتأمل وموانعهما

وصف الله الكافرين بأنهم صم بكم لا يعقلون، ووصف المؤمنين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض ويدفعهم التفكير إلى الحقيقة فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) [آل عمران ـ ١٩١].
وجاء الإسلام محرراً العقل من أسر الخرافة والتقليد والجمود وقص علينا أنباء من سبقنا من أقوام وبين لنا أسباب تخلفهم وعدم تأملهم ومن ذلك ما يلي:
١ ـ سيرهم على نهج آبائهم وأجدادهم دون تعقل.
قال سبحانه:
(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أوَ لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) [المائدة ـ ١٠٤].
٢ ـ الجمود وضيق النظر والتعصب الأعمى، الذي يغلق منافذ التفكير الحر، ويقيد العقل ويغله ويصور الكون مادة لاشيء بعدها ولا يسمح لصاحبه بالتجرد والإخلاص في طلب الحق والإيمان به.
ولهذا لا نتعجب حين نسمع أن رائداً من رواد الفضاء الروس ينظر من خلال مركبته الفضائية إلى الأرض وهي معلقة سابحة في الفضاء، فيثيره المشهد وتنطلق الفطرة على لسانه ويقول وهو مشدوه متعجب!! من الذي علقها هكذا؟!! وليت أحد المسلمين تلا قوله تعالى: ليجد جواب تساؤله:
(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) [فاطر ـ ٤١] وقوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه..) [الحج ـ ٦٥].
٣ ـ الجهل والحكم على الشيء دون دليل. ولهذا ذم الله قوماً بقوله:
(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) [الحج ٨]، (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) [الحج ٣].
٤ ـ الهوى والغفلة: والهوى خداع مضل ـ يقول الله سبحانه وتعالى: (.. أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) [الفرقان ـ ٤٣].
والغفلة ستار كثيف يحجب رؤية آيات الله وقد قال الله في شأن هؤلاء الناس الغافلين:
(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) [الأعراف ـ ١٧٩].
وأي أمر أنكى وأدهى من أن يعطل الإنسان نوافذ حسه وملكات إدراكه فيحصرها في دائرة شهوته وأهوائه، ولهذا كان أولى بهؤلاء الغافلين أن يكونوا حطباً لجهنم، وكان أجدر بهم أن يوصفوا بأنهم أنعام لا تعقل... بل أضل سبيلاً

الوصول إلى الحقيقة مرهون بالتفكير المجرد:

إذا سلم للناس تفكيرهم من التقليد والاتباع والهوى الغفلة والنظرة الضيقة المحدودة والمتحكمة، نظرة الآراء والمذاهب المتسلطة، فقد تجردوا وتخلصوا، واستعدوا لأن تنعكس على صفحات عقولهم رؤى هذا الكون وما فيه من إبداع.

الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان بالعقل ووهبه الحس والإدراك من دون مخلوقاته الكونية كلها

وعليهم أولاً:
أن يلتمسوا الإيمان بالله عز وجل من خلال آياته وإبداعه (.. قل انظروا ماذا في السموات والأرض...) [يونس - ١٠١].
وعليه ثانياً:
إذا هدوا إلى الإيمان بالله أن يمحصوا الحق في أمر أنبيائه ورسله وعلى رأسهم خاتمهم وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ركن الإيمان الثاني بعد الإيمان بالله، فإذا استقر الإيمان بالله تبعته الحاجة إلى معرفة المبلّغ عن الله ليبين الطريق ويهدي للتي هي أقوم.
ولهذا ارتبط النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض بالتفكير في أمر الرسول، وأنه سوي خال من كل ما يؤثر على الثقة بالله قال تعالى:
(وما ينطق عن الهوى) [النجم - ٣]
وقوله تعالى: (.. إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [سبأ - ٤٦].
فإذا تجردوا من كل الغواشي والمؤثرات وصلوا إلى الحقيقة بالتأمل وأدركوا اليقين الذي لا يتزعزع.

مجالات التفكير والتأمل:

ومجالات التفكير والتأمل واسعة سعة الكون - عميقة عمقه وامتداده. يأخذ كل منها على قدر طاقته وعمله يستوي في ذلك العالم والبدوي الذي قال: سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، والسير يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير.. أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!

وفي مجالات التفكير والتأمل:

أولاً: التفكر في خلق السموات والأرض وما بينهما من أفلاك ونجوم (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) [الأنعام - ٩٩].
يقول الله سبحانه:
(.. أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) [الأنبياء - ٣٠].
وقال عز وجل:
(.. فلا أقسم بمواقع النجوم٨ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) [الواقعة - ٧٥] نعم إنه قسم عظيم جاء العلم ليفسر بعض أسراره ويحاول أن يكتشف الفضاء الخارجي ومهما اكتشف فإن هذا الكون عجيب بانتظامه واتساعه ودقة تسييره.. إنه صفة الخالق المتقنة.
(صنع الله الذي أتقن كل شيء..) [النمل - ٨٨].

ثانياً: التفكر في النفس وخلقها وتكوينها:
قال تعالى: (.. فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب) [الطارق - ٥].
جاء العلم الحديث ليكشف بعض الأسرار عن الجسم البشري والنفس الإنسانية لدرجة أنه أمكن استبدال الشريان التاجي في عمليات القلب بشريان يأخذونه من ساق المريض نفسه وكل واحد منّا زوده الله بقطع الغيار اللازمة سبحانك يارب.
فقد قال أحد العلماء عن وظيفة الدماغ بالنسبة للفرد الواحد العادي «.... لو فرضنا أن عمل الدماغ يشبه جهاز إرسال وجهاز استقبال — باعتباره موجه العمليات الحسية والعصبية - إن جهازاً بحجم مدينة نيويورك يعجز عن الوظائف التي يؤديها دماغ الفرد العادي الذي أودعه الله في رأس صغير الحجم عظيم الفعل.
ثم جاء العلم ليثبت أن أقوى مضخة في العالم هي القلب ولا توجد مضخة تستطيع أن تعمل ثمانياً عاماً - وهو الوسط الحسابي لعمر الإنسان في الظروف الصحية العادية الممتازة - دون قطع غيار أو صيانة. أي أن قلب الإنسان الذي يعيش مئة عام يبقى شغالاً بالدفع دون صيانة أو قطع غيار.

الجهل والحكم على الشيء دون دليل والجمود والتعصب الأعمى بعض أسباب التخلف

ثالثاً: التفكير في قانون الوحدة الساري بين مخلوقاته تعالى، كل يسير بانتظام وتناسق وكل منها منطلق لأداء مهمته متناسق مع الكون لا يشذ ولا يحيد (.. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [يس - ٤٠].

رابعاً: التفكير في مطالب هذه الحياة الدنيا والتي لا تنتهي وفي مصير الإنسان في الآخرة... فإذا لم يوازن بين مطالب الدنيا ويرصد الأعمال الصالحة للحياة الأخرى فإنه الخسران المبين.
قال تعالى: (.. ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر..) [التكاثر - ١، ٢] أي أن الإلحاح في طلب المزيد من الأموال ومتاع الدنيا لابد وأن خاتمته القبر دون أن يحمل معه شئاً تفكروا يا أولي الألباب هول يوم القيامة... ولينظر كل إنسان ما قدمت يداه من الأعمال الصالحة فهي الرصيد الخالد الذي لا يفنى وما عدا ذلك زائل الا ان في الذكر تحيا القلوب. ■

المراجع:

- الثقافة الإسلامية، د. صالح الهندي.
- الحضارة الإسلامية، د. محمد أبو ريدة.
- بنية الفكر الديني، د. عادل العوّا.
- العلم والثقافة الإنسانية، د. عبدالكريم اليافي.
- معالم الشريعة، أحمد حسن الباقوري.
- المنقذ من الضلال، الإمام الغزالي.
- ثمار القلوب للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - ١٩٦٥.
- التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد.

حركات
هدامة

فن الدعاية الصهيونية: المنطلقات والأهداف



بقلم:
عاطف شحاتة زهران

في العام ١٨٦٩ عبر الحاخام اليهودي (راشورون) في خطاب ألقاه في مدينة براغ عن شدة اهتمام اليهود بالإعلام فقال: إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية..

قال مناحم بيغن في أحد مؤلفاته: يجب أن نعمل ولنعمل بسرعة قبل أن يفيق العرب من سباتهم فيطلعوا على وسائلنا الدعائية فإذا أفاقوا ووقعت بأيديهم تلك الوسائل وعرفوا دعاماتها وأسسها فعندئذ لن تفيدنا مساعدات أمريكا..

ومن مقولاتهم التي يؤمنون بها وتفسر السعي الجاد للسيطرة على وسائل الإعلام بقصد تسخيرها للتأثير على الرأي العام العالمي يقولون: الأدب والصحافة قوتانا وهما في طليعة القوة التوجيهية العامة وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف..

من هذه الأقوال وغيرها نقف على اهتمام اليهود بالدعاية قبل كل شيء وبعد كل شيء.. فلم يتركوا بابا واحدا يمكنهم أن يطلوا من خلاله لتحقيق بعض أهدافهم إلا وطرقوه في بإلحاح، فكل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في إسرائيل تؤدي دوراً ما لخدمة تلك الأهداف والتعبير عنها..

فاتحادات الطلاب والعمال وشركة العال الاسرائيلية وجمعية المحاربين القدماء تقوم بدور إلى جانب البعثات الدبلوماسية وجمعيات الصداقة والمعاهد الثقافية ومراكز الإعلام.. ذلك كله إلى جانب أجهزة الإعلام الدولية.. إنهم بامتلاك القوة الاقتصادية وبالسيطرة على وسائل الإعلام تمكنوا من التأثير على الرأي العام.. وهم يفضلون توجيه الفعل السياسي بدل أن يصعدوا إلى مراكز القرار السياسي.. لأنهم يؤمنون بحكمة تقول: «إن تسيطر على الملك أفضل من أن تجلس على العرش».

من أهداف الدعاية الصهيونية:

فهم يرون أن الدعاية الصاخبة المدوية مفاعل أقوى نفاذا وأبلغ تأثيرا.. يقول هرتزل في مذكراته: الضجة هي كل شيء، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة..

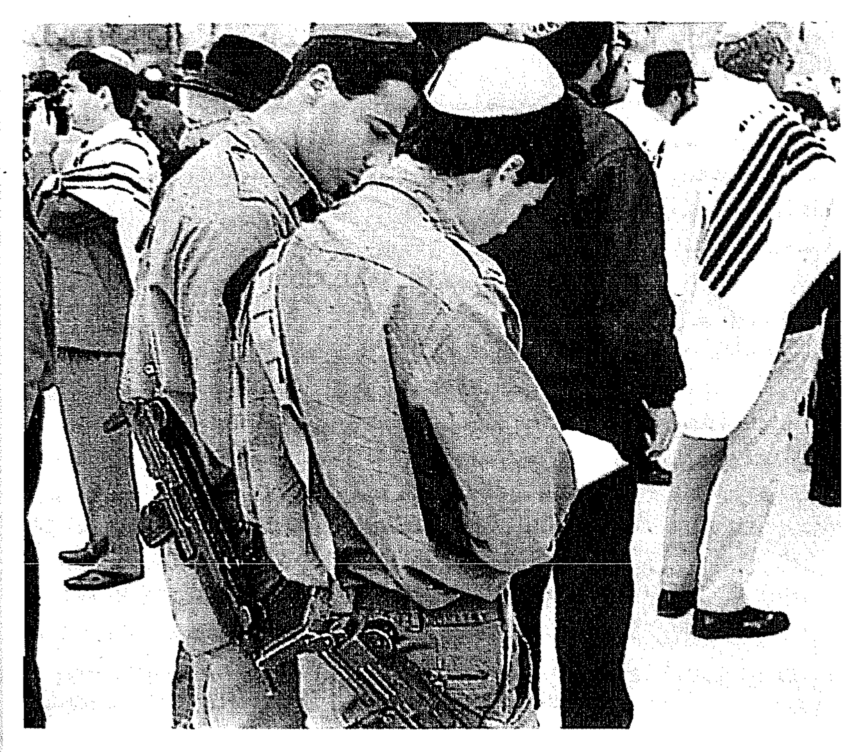
وتسعى هذه الجهود الدعائية إلى تحقيق أهداف محددة هي:

١ـ استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين تبريرا لوجودها من ناحية ونموها وزيادة عدد سكانها من ناحية أخرى.

٢ـ توسيع نطاقها الإقليمي بحيث يطابق ما أمكن حدود الدولة الإسرائيلية الحلم.

٣ـ تطويرها بحيث تصبح الدولة الكبرى في المنطقة، أي الأقوى اقتصاديا وعسكريا.

٤- إيجاد مجال حيوي تستخدم فيه إمكاناتها الانتاجية والفنية والعلمية الحالية والمستقبلية.
٥- فرض وجودها كدولة لا تقهر ولا تزول..
وعن طريق هذه الدعاية نجحوا في تجميل صورة اليهودي في أعين الشعوب الأوروبية والأمريكية وتتمتع إسرائيل بجاليات يهودية موالية في كل الدول الغربية، وقد مكنها هذا الانتشار من تكوين فهم دقيق لجريات الواقع الثقافي والسياسي والاقتصادي لتلك الدول واستباق أي تطور في أي اتجاه يعاكس إسرائيل لتواجهه بضجات إعلامية وحيل وضغوط اقتصادية تقبره في المهد.
وهم يستغلون كل ما يمتلكون لخدمة قضاياهم حتى ولو سلكوا طرقا شيطانية، وهدموا كل قيمة جميلة، وحطموا كل أخلاق نبيلة.



عصا الارهاب والافقار:

أدرك مفكرون ودارسون كثيرون كذب هذه الدعاية وتضليلها. ومنهم من قرر ذلك وأعلنه صراحة غير مبال بما سيناله من اضطهاد. ولكن الصهيونية تترصد لأولئك وتكيد لهم بكل سبيل، إنها تلوح بعصا الإرهاب الغليظة في وجوهم عساها تكفهم عن ذلك. هاجم جون استراجيل أستاذ الديانات في جامعة هارفارد الأمريكية إسرائيل وقال: ان إسرائيل تقوم على كذبة أو على ادعاء باطل لا يمكن أن يظل قائما..
وكان ستراجيل يرأس تحرير مجلة (مخطوطات البحر الميت) وهي مجلة تهتم بنشأة اليهودية وتطور المسيحية عن طريق ترجمة تلك المخطوطات.. فأثارت تصريحاته تلك قلقا كبيرا بين الأوساط اليهودية، ومن ثم قرروا إقالته من منصبه..
وقصة فانيسياريد وما لقيته بسبب مساندتها لقضية الشعب الفلسطيني بأعمالها الفنية مشهورة.. لقد حاولت في أحد أفلامها أن تقدم الفلسطيني كإنسان يقاتل.. فأثار السخط الصهيوني عليها فشددوا حولها الحصار حتى عجزت عن دفع ايجار مسكنها، وهي التي أنتجت من مالها الخاص فيلمان عن فلسطين، وقامت أوركسترا بوسطن السمفونية بفسخ عقد بينها وبين فانيسيا بسبب تأييدها للقضية الفلسطينية، وأقامت - فانيسيا - ضدها دعوى تطالب بتعويضها عن الخسائر التي لحقت بها وقوبلت الدعوى بالرفض، فصرخت في قاعة المحكمة: انها لن تتخلى عن مبادئها، وعرضت أحدث أفلامها التسجيلية ـــ عن قضية فلسطين في مؤتمر دولي ضم العديد من الشخصيات العربية والأجنبية - صورت فيه أعمال العنف التي تقوم بها القوات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين واللبنانيين في جنوب لبنان.
وقد تم في فرنسا تجريد كثير من الباحثين من درجات الدكتوراه لمجرد أن أبحاثهم وآراءهم قالت: إن الحديث عن محنة اليهود في ألمانيا فيه مبالغة ومزايدات، والقارىء يذكر عشرات الأمثلة على ذلك لتبقى الساحة لهم أرضا خالية يغرسون فيها ما يشاءون وينشرون أفكارهم وافتراءاتهم.. والويل لمن رفع رأسه بالحق أو جهر بالصواب.

المنطلق المزدوج

يرى بعض الدارسين أن أحد مصادر قوة الدعاية الصهيونية سار دائما من منطلق مزدوج:
الأول: إيجابي يدور حول تأكيد الشرعية الإسرائيلية.
الثاني: سلبي ينبع من فكرة تشويه الطابع القومي العربي.(١)
فهم شعب الله المختار وهم أبناء الله وأحباؤه وغيرهم خدم لهم وعبيد. وهم أصحاب حق وغيرهم يحاول سلب حقهم وإبادتهم من الوجود..
والقرآن الكريم أفاض في التحدث عنهم وبين وكشف سوءاتهم ودحض افتراءاتهم ولعنهم على لسان أنبيائه. والمسلمون الأول فطنوا لكيدهم ودحروا مكرهم وأحبطوا تدبيرهم..
ولكنهم مازالوا يحلمون بوطن كبير يمتد من الفرات إلى النيل ويعدون لذلك ما وسعهم.. إن مقولاتهم تردد وأبواقهم تنشر ولا تكف عن ذلك، والناس في الشرق والغرب يسمعون ويقرؤون ما يراد لهم ويصدقون ما يشاع بينهم إلا من رحم ربك.
جاء في البروتوكول الخامس لحكماء صهيون:
نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل. أما عن الاتجاه الثاني والموجه ضد العرب والمسلمين فهو ملف مكتظ بالمهانة مشحون بالتشويه والحقد. وكانت الحملة ضد العرب تأخذ اتجاهين:
الاتجاه الأول: التركيز على نبش وقائع الحروب الصليبية مع إبراز الهزائم التي مني بها الصليبيون، وخصوصا هزيمتهم في حطين التي أعقبها طردهم نهائيا من آخر معاقلهم في فلسطين لتجديد الحقد الصليبي على المسلمين.
الاتجاه الثاني: إظهار العرب بمظهر الأمة المتخلفة التي تهيم وراء

شهوات الجسد الغارقة في بؤر الزنا وشرب الخمر والقمار والتي غلبت عليها حياة البداوة بكل ما فيها من قسوة وجهل.(٢)
وهذا يجرنا لشيء من التفصيل لنرى بوضوح أسوأ صورة للعربي أو المسلم صنعتها تلك الدعاية وأبرزتها في شتى الأعمال الدعائية حتى تكوّن لدى العالم صورة ذهنية مشوهة عنا في مقابل الصورة الزاهية المتحضرة لليهودي.

الصورة الذهنية للعرب والمسلمين

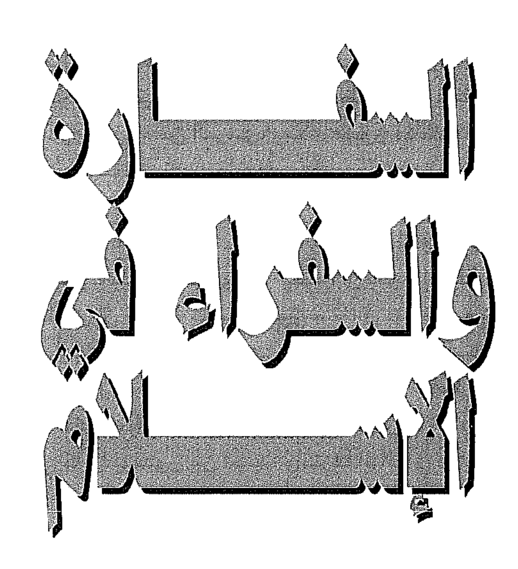
اجتهدت الدعاية الصهيونية وسخرت كل أبواقها لتشويه صورة العربي وإظهاره بأنه جبان ماكر مخادع إلى غير ذلك من النقائص. وعلى عكس ذلك قدموا للعالم صورة طيبة لليهودي، فهو مسالم ذكي يفكر بطريقة حضارية مضطهد ممن حوله.. إلى آخر ذلك، وقد يجدون مواقف وخلافات بين أهلنا تخدم دعايتهم وتدعم حجتهم، ولكنها طبائع البشر أنى كانوا.. ولا يزالون مختلفين، وهناك أضعاف هذه المواقف السلبية مواقف ايجابية مشرقة تغض الدعاية الطرف عنها وتعمد إلى طمسها حتى لا يقرأ العالم إلا نسخة واحدة قدمتها الصهيونية على أنها الحقيقة.. لقد استغلوا سلطانهم على وسائل الإعلام في العالم، ومن خلاله رسموا صورة مشوهة وحرصوا على دعم فكرتهم ونفي أي فكرة تتعارض صراحة مع مخططهم.. وإذا اقتربنا من الواقع لنطالع أدلة توضح المسألة وتكشف خبايا ومساوىء كثيرة نتجت عن ذلك التشويه المتعمد والتضليل الموجه لينال من ثقافتنا وهويتنا.
إن أطفال اليهود يرضعون هذا التضليل ويتغذون على هذه الصورة فيما يقرأون من قصص وما يشاهدون من برامج. وقد كشفت دراسة أعدت عن الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري أن العربي يقدم في قصص الأطفال هناك بأنه كسول ومغتصب وهاوي سطو ومخادع وعنده قابلية عجيبة للخيانة والغدر، والعرب مضحكون جبناء فقراء لا يعرفون معنى للتفاهم مع الآخرين. هكذا يتشرب أطفالهم تلك الأفكار ويتربون عليها.
ولمزيد من الإيضاح نعرض لقطة من فيلم سينمائي هو فيلم الخروج في مشهد منه يدور حوار فيه بين اثنين أحدهما عربي اسمه (طه) والآخر يدعى (آري)
قال آري له: أرجوك مساعدتي.
فأجاب طه: إنني عربي.
- لكنك إنسان تعرف الفرق بين الخير والشر.
- لا أنا عربي قذر. يجب أن تفهم هذا.
وأعتقد أن هذا الحوار مليء بالدلالات مع عشرات من أمثاله تكفي لتشويه صورة العربي في أعين العالمين.
فإذا طالعنا الصحافة الأمريكية صدقتنا تلك الحقارة التي تقدم بها الشخصية العربية المسلمة، ونتلمس من عالم الدراسات والأبحاث النتائج وهي خير شاهد وأصدق دليل فقد بنيت دراسة اعتمدت على تحليل المضمون أن الصحف الأمريكية كررت الإشارة إلى العرب على أنهم مفككون ومتنافسون فيما بينهم ويتسمون بعدم الأمانة (مع بعض الصفات الطيبة) ويعيشون حياة بدوية ومستوى معيشتهم منخفض وتسودهم اتجاهات غير ديمقراطية، وفي مقابل هذه الصورة المشوهة للعربي قدمت الصحافة الأمريكية صورة زاهية للشخصية «اليهودية» الإسرائيلية تركز على روحهم البطولية واعتمادهم على أنفسهم وكفاءتهم وأمانتهم وثقتهم بأنفسهم. ولا غرابة في أن تصادف تلك التصورات آذانا تعيها وعقولا تتقبلها، مادمنا نفتقد الأجهزة والقنوات التي تصوب ذلك وتدفع الفكرة بالفكرة وتقدم صورا حقيقية لمجتمعاتنا وتاريخنا وحضارتنا وانتصاراتنا في دفاعنا المشروع عن الأرض والعرض. وإذا أخذنا السينما كمثال رأينا وسمعنا العجب العجاب عن استثمار هذا الجهاز استثمارا أمثل لخدمة اليهود وتحقيق أغراضهم بعد أن أفلحوا في السيطرة على صناعة السينما في الغرب، وتشير الإحصاءات إلى أن أكثر من ٩٠٪ من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي انتاجا وإخراجا وتمثيلا وتصويرا ومونتاجا هم من اليهود، حتى ان هناك مقولة رددتها إحدى الصحف منذ أكثر من نصف قرن تقول إن صناعة السينما في أمريكا يهودية بأكملها ويتحكم فيها اليهود دون أن ينازعهم في ذلك أحد ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم أولا يصانعهم وجميع العاملين فيها إما من اليهود أو من صنائعهم، وتختم الصحيفة كلامها قائلة: أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنها أضحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعايتهم الفاسدة..

نظرة تقييمية

هنا نحاول تقييم المواقف.. وتقدير الجهود المبذولة من الطرفين أهل الحق في صمتهم أو ضعفهم أو غفلتهم وأهل الباطل في جدهم واهتمامهم واتقان خططهم وتحديد أهدافهم ونجاح دعايتهم ولو أنها تأسست على خداع كبير.
لقد تحدث أحد مفكري الغرب في احتفال عام أقيم في نيويورك فقال: بوساطة وكالات الأنباء العالمية يغسل اليهود أدمغتكم ويفرضون عليكم رؤية العالم وأحداثه كما يريدون هم لا كما هي الحقيقة وبوساطة الأفلام السينمائية يغذي اليهود عقول شبابنا وأبنائنا ويملأونها بما يشاؤون فيشب هؤلاء ليكونوا أزلاما لهم وعبيداً.(٣)
ويصف دبلوماسي هولندي تلك الدعاية ويقارنها بالجهود الإعلامية المضادة بقوله: إن الدعاية الصهيونية مثل أوركسترا متفاهمة، بينما يعزف العرب كل على هواه نغمة فردية مختلفة تشوش حتى على النغمات العربية الفردية التي لا يجمعها قائد واحد..
هذه حقيقة مؤلمة ولكنها حقيقة مشهودة ملموسة الأثر..
إن الإسلام أخبرنا عنهم بأنهم يكتمون الحق أو يلبسونه بالباطل، وأنهم أهل بهت وفجور، ووقف المسلمون على تلك الحقائق وخبروا الشخصية اليهودية وعرفوا أنجح الطرق لمواجهتها، وعلموا أنهم أبداً مع الإسلام وأهله في عداء ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ فهل نتلمس طريق أسلافنا ونلم شملنا ونوحد جهودنا وجهادنا ضد هذا العدو وهذه الدعاية؟
إن هناك جهودا تبذل. نحو الهدف وهي بالغة إن شاء الله.. المهم أن تصدق وأن تستمر ■

المصادر

فن الدعاية والمخطط الصهيوني - فتحي الأبياري ص ١٠٠
١- استراتيجية الإعلام العربي - د سيد عليوة ص ٢٠٠
٢- النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية - فؤاد الرفاعي ص ٨
٣- اليهودية العالمية عبدالله حلاق ص ٧٣



بقلم: أ.د حسن فتح الله

● السفير في الإسلام يجب أن يتحلى بالكياسة والذكاء وحصافة الرأي وبلاغة القول ورجاحة العقل وسرعة البداهة وحسن التصرف واحتيال للحيل

● من خصائص السفير الاتصال بالواقع وعدم الانعزال عن الناس ومعالجة الأمور باللين، والحزم والأخذ والعطاء والصبر والذكاء والرؤية الثاقبة

● تاريخ السفراء في صدر الإسلام يدل على أنهم كانوا صفوة أبناء مجتمعهم علماً وخلقاً وسيرة وخبرة أصحاب المنزلة العامرة بالعلم

● السفارة عند العرب لم تكن احترافاً بقصد الحصول على مغانم، بل كانت شرفاً تتسابق إليه كبار الشخصيات

تحفل الكتب العربية بمأثورات الحكماء والخلفاء المسلمين فيما يشترط أن يتحلى به السفير من مناقب، ووصاياهم إلى الملوك والأمراء والقادة بشأن من يصلح للسفارة، كما تحفل هذه الكتب أيضاً بنصائح الحكام إلى سفرائهم ودبلوماسيهم قبل سفرهم للاضطلاع بالمهام الموكلين بها ليكونوا خير ممثلين لهم، وليرتفعوا إلى مستوى المسؤولية المنوطة بهم وليعلو شأن الإسلام بهم. تدور هذه الوصايا والنصائح والحِكم حول ما يجب أن يتحلى به السفير من كياسة وذكاء، وحصافة رأي، وبلاغة قول، ورجاحة عقل، وسرعة بداهة وحسن تصرف، واحتيال للحيل، وتقليب للأمور، إلى غير ذلك من الخلال والمناقب التي من شأنها إذا توافرت في السفير أن تجعل منه أفضل عنوان وأبلغ لسان لدولته.

الفن الدبلوماسي

ولعل من أشهر ما عبّر به الحكماء عما يستحب في السفير من صفات تلك القولة المأثورة لمعاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكام العرب:

«لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا أرخوها شددتها، وإن شدوها أرخيتها».

ففي هذا التعبير المجازي عن تصريف الشؤون العامة للدولة وسياسة الحكم في اتصالها بالأفراد والقبائل والأمصار في الداخل، أو بتنفيذها في علاقاتها الدولية في الخارج، يقدم لنا معاوية تعريفاً لما اشتهر به من مرونة ومهارة دبلوماسية في لقاء خصومه وكسب أعوانه وتنفيذ سياسته في الداخل والخارج، وينم هذا التعريف عن أصالة الفهم لما يجب أن يتصف به فن السفارة من خصائص أبرزها: الاتصال بالواقع، وعدم الانعزال عن الناس، ومعالجة الأمور باللين والحزم، والأخذ والعطاء، والصبر والذكاء والرؤية والأناة، كما أن تشبيه العلاقات السياسية بالشعرة، هو بلوغ الغاية في روعة التصوير لما تكون عليه هذه العلاقات من دقة وحساسية تتطلب معالجتها مهارة خاصة، وهي ما نعرفه بالفن الدبلوماسي. روى الواقدي أن قريشاً في الجاهلية كانت إذا أرسلت رسولاً إلى بعض الملوك قالت له:

«احفظ شيئاً: انتهز الفرصة، فإنها خلسة، وبتّ عند رأس الأمر لا ذنبه، وإياك وشفيعاً مهيناً، فإنه أضعف وسيلة، وإياك والعجز، فإنه أوطأ مركب، عليك بالصبر فإنه سبب الظفر، ولا تعرف الغمر حتى تعرف القدر».

صفات السفير

ومن أبلغ ما كتب في صفات من يصلح للسفارة ما جاء في كتاب رسل الملوك لابن الفراء على لسان أحد الحكماء:

«اختر لرسالتك، في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك، والنيابة عنك، رجلاً حصيفاً، حُوّلا قُلّبا، قليلا لغفلة، منتهز الفرصة، ذا رأي جزل، وقول فصل، ولسان مبين، وقلب حديد، فطنا للطائف التدبير، ومستقبلاً لما ترجو أن تحاول بالحزامة وإصابة الرأي، ومتعقباً له بالحذر والتمييز، سامياً إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك،

حاضر الفصاحة، مبتدر العبارة، ظاهر الطلاقة، وثّاباً على الحجج، مُبْرِماً لما نقض خصمك، ناقضاً لما أبرم، عالماً بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال... وليكن من أهل الشرف والبيوتات، فإنه لابد مقتف آثار أوّليّته، محبّ لمناقبها مساو لا صلة منها»...

ويعدد ابن الفراء ما ينبغي أن يتصف به السفير من نزاهة عن بيع الأمانة أو خيانة مرسله، أو تجاوز ما رُسم له أو تغيير شيء من رسالة من اختبر ثقته أو من أُرسل إليه.. يعدد تلك الصفات في عبارة أخرى فيقول:

«إن السفارة تقتضي حسن أخلاق السفير كأن يكون عفيفاً نزيهاً، أميناً لا أمين عليه، بحيث لا يقبل الرُّشَا «جمع رشوة»، ولا يستدره العطاء، فيقصر فيما يجب لصاحبه، وليبلغ فيما لا ينبغي لمن أرسل إليه، وأن يكون جيد اللسان لا تبدر منه البذيّة، كاظماً للغيظ لا تلحقه ثورة الغضب، يؤثر الصدق في القول، محتالاً في محاورته ومكائده، يناظر كُلاً بحسب ما يراه من صوابه وخطئه، وأن يكون وقوراً ذا حزامة، حليماً ذا أصالة رأي، جريئاً لا يرتاع لتهديدات مرهبة، ولا يتغير بأطماع مرغبة، بل يضع الأمور في مواضعها، ويقابل كل فعل بما يليق به».

كما جاء في كتاب رسل الملوك لابن الفراء أيضاً على لسان رسول المعتصم قوله لملك الروم:

المناقب والسجايا

«إن للخلفاء خدماً يتصرفون في أنحاء الخدم، لكل طائفة مذهب يجتبون له ويحتملون عليه، ولا يكلفون سواه، ولا يراد منهم غيره، فمنهم من يعد للفتوح فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش، ومنهم من يعد للقضاء فهو يلبس المبردات والدنيات، ومنهم مثلي من يصلح أن توفده الخلفاء للملوك، ويتحمل رسائلهم إلى مثلك من أهل الجلالة، والقدر والسناء والذكر، فلولا ثقتهم بي، وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما أورد وأؤدي صادرا وواردا، لما رأوني أهلاً للتوجه فيما توجهت فيه إليك، وقليل لمثلي هذا الرزق مع هذا التحمل وهذا المحل من الخلافة، وهي من الجلالة على ما هي».

ويقول البحتري في وصف الرسول:

وكأن الذكاء يبعث منه
في سواد الأمور شعلة نار

ويقول آخر:

وابعث رسولاً في ملاطفة
قد أحكمت أحكامه الحيل

ويقول ثالث

أكرم رسولي لإنه أذن
تسمع عني ومقلة تنظر

ومن الأبيات المشهورة في هذا المجال:

إذا كنت في حاجة مرسلا
فأرسل حكيماً ولا توصِهِ

ومنها:

الألمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمعا

ومن جوامع الكلم فيما يجمل أن يكون عليه السفير الموفد لأداء رسالته من صحة في الجسم، وقيافة وحسن هندام، وحسن في النطق، وسلامة في الأداء، قولهم إنه يستحب في الرسول: «تمام القد وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلاً... فأعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل، يملأ العيون المتشوقة إليه فلا تقتحمه، ويشرف على تلك الخلق المُصَوَّبة له فلا تستصغره. «صحيح الفكرة والمزاج ذو بيان وبهارة، بصير بمخارج الكلام ووجوهه، صدق اللهجة»، وقد أوصى الوزير السلجوقي نظام الملك في مؤلفه «سياسة نامه» أي فن الحكم، أن يكون السفير «مُسِنّاً عالماً»، كما قال إن «نبالة السفير تكون سبباً في علو قدره وما يلقاه من إكبار وإجلال وترحيب» تلك هي خلاصة المناقب والسجايا التي كان يشترطها رؤساء الدولة الإسلامية — كما جاء في المؤلفات العربية ـ عند اختيار مبعوثيهم إلى الدول الأخرى، تقديراً لجلال المهام التي كانوا يوفدون من أجلها، وأثرها البالغ في سلامة الدولة واستقرار أحوالها الخارجية وانعكاس ذلك على شؤونها الداخلية.

تاريخ السفراء

ويدل تاريخ السفراء في الإسلام على أنهم كانوا صفوة أبناء مجتمعهم علماً وخلقاً وخبرة، إذ كانوا يُختارون من بين الشخصيات البارزة في الدولة ذات المنزلة العامرة والمشهورة بالعلم والخلق، مما يجعلهم أهلاً لما يعهد به الخلفاء والسلاطين إليهم من أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم، من ذلك أن الخلفاء المسلمين قد عهدوا بالسفارة إلى القضاة والفقهاء كالشعبي رسول عبدا الملك بن مروان إلى الروم، والمحدّثين، كالزينبي، والعلماء كيحيى بن الربيع، والمتصوفة كالسِّهْروردي رسول الخليفة الناصر ، وكبار موظفي الدولة كالوزراء والكتاب، والأطباء كعبيد بن نصر، وكبار التجار كالسلامي رسول السلطان الناصر محمود لعقد الصلح مع أبي سعيد ملك المغول.

شروط السفير بين المسلمين والأوروبيين

وفي مجال المقارنة بين سفراء العرب المسلمين وبين سفراء أوروبا في العصر الوسيط فيما كان يشترط فيهم من صفات مميزة تتكافأ مع سمو رسالتهم، نجد أن الأمر عند الغربيين لم يَجْرِ على النهج الذي تَرسمه المسلمون، فلم تَجْرِ العادة منذ البداية على اختيار ملوك أوروبا وأمرائها لسفرائهم من بين النبلاء أو أبناء الأسرة المعروفة، بل كان منصب السفارة لا يلقى حفاوة أو ترحيباً من قِبَل أبناء هذه الطبقة، لما كان يفرضه على من يتولاه من تكاليف مالية وشروط في العمل ورقابة في تصرفاته، فضلاً عن ابتعاده عن مسقط رأسه وحرمانه من المشاركة في السياسة الداخلية لوطنه، ولهذا كانت السفارة تُفرض على بعضهم قَسْرا في البندقية، وتوقّع الغرامات المالية على من يرفض منهم قبولها كما جاء في مرسوم سنة ١٢٧١م.

وأشارت إلى ذلك تعلميات مماثلة صدرت عن حكومة فلورنس سنة

١٤٢١م بتوقيع العقوبات الجنائية وإسقاط الحقوق المدنية عمن يرفض القيام بالسفارة، حتى إذا جاء القرن السادس عشر أشار «جيسبارديني» في كتاباته إلى تهرب نبلاء فلورنس من قبول مهمة السفارة، ومن ثم اضطرت حكومة فلورنس إلى أن تختار سفراءها من بين كتّاب الدولة وموظفيها المدنيين أمثال «نيقولا ميكافيلي» صاحب كتاب «الأمير» والذي تُنسب إليه السياسة القائمة على الانتهازية إذ كان شعاره: «الغاية تبرر الواسطة أو الوسيلة».

ويرجع السبب في ذلك إلى أن أوروبا كانت تنظر إلى السفراء بوصفهم محترفين يقومون بتمثيل بلاط بعد بلاط، ويخدمون كل فترة من الزمان أحد الملوك، حيث لم يكن عصر المواطنة أساساً في اشتراط من يقوم بمهام السفارة، على أن هذه النظرة قد تغيّرت فيما بعد حين تقدمت الدبلوماسية في أوروبا ونظمت أساليبها واستقرت تقاليدها.

أما السفارة عند العرب فلم تكن احترافاً بقصد الحصول على مغانم، بل كانت شرفاً يتسابق إليه كبار الشخصيات، ورسالة يتنافسون في أدائها مهما كلفهم الأمر من تضحيات، إذ كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية، ونشر العقيدة الدينية، ولم تكن مقصورة على طبقة دون أخرى، وإنما هي حق وواجب في الوقت ذاته لمن تتوافر فيهم الصفات التي تؤهلهم لهذه الرسالة أيا كانت فئتهم وطالما توافر فيهم عنصر المواطنة «الجنسية» التي كانت تقوم على الدين.

أسلوب الاختيار

على الرغم من عدم تنظيم دراسات تدريبية للسفراء في العصور الإسلامية، كما هو الشأن في العصور الحديثة، فقد كان المرشحون للأعمال الدبلوماسية يختارون وفق أدق القواعد التي لا تختلف إلا قليلاً عن النظم التي تتبعها الدول في عالم اليوم عند انتقاء سفرائها، ضماناً لاختيار أصلح العناصر للقيام بما يُوكل إليهم من مهام دقيقة وجليلة، والمعروف أن الدول الحديثة تتبع أسلوبين في اختيار الممثلين الدبلوماسيين.

الأسلوب الأول، هو اختيار المبرزين الأولين في مسابقات علمية عامة، يجرونها بعد اختبار دقيق للمرشح، وتحرّ عميق عن ماضيه، وتتبع لأحواله وصفاته ومسلكه، إذ تكتشف هذه المسابقات عادة عن مبلغ فهم المرشح وثقافته ومدى أهليته للاضطلاع برسالته، وفي أغلب الأحوال يكون هذا الأسلوب خاصاً بانتقاء الدبلوماسيين المبتدئين.

أما الأسلوب الثاني فهو اختيار من عُرف بالكفاية واتسم برجاحة العقل وقوة البصيرة وسعة الحيلة، ليكون رسولاً أو سفيراً دون امتحان يُجرى أومسابقة تعقد.

وقد اتبع المسلمون هذين الأسلوبين مع تعديل يسير في الأسلوب الأول، إذ كان الخلفاء يقومون بأنفسهم باختيار المرشحين للسفارة، وكان في الدولة الإسلامية في صدرها الأول ديوان يسمى ديوان الرسائل يختص بالمكاتبات مع الملوك وغيرهم من رؤساء الدول المجاورة، وكان كُتّاب الرسائل في العصر الأموي والعباسي يقومون بالتمهيد لاختيار السفراء وإعداد الكتب التي يحملونها.

الشعبي والاختيار

ولقد حفلت المصنفات العربية القديمة بأمثلة لتلك الاختبارات الطريفة التي كان الخلفاء يحرصون على إجرائها بأنفسهم، ومن ذلك ما حدث لأحد المرشحين للسفارة إلى بلاد الروم لتمثيل الخلافة الأموية، وهو عامر بن شراحيل الشعبي، فقد كان هذا المرشح من فقهاء الكوفة وعلمائها، وحجة في تاريخ العرب قبل الإسلام وأنسابهم وأشعارهم، ووقع عليه اختيار الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق آنذاك، ليبعث به إلى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، الذي أراد أن يوفده سفيراً إلى البلاط البيزنطي.

وعندما قابل الشعبي الخليفة جرى الاختبار التالي:

قال الخليفة: يا شعبي، ما العلم؟

فقال الشعبي: هو ما يقرّبك من الجنة، ويباعدك عن النار.

قال الخليفة: يا شعبي، ما العقل؟

ـ فقال: ما يعرفك عواقب رشدك، ومواقع غيّك.

ـ فقال الخليفة: متى يعرف الرجل كمال عقله؟

ـ قال: إذا كان حافظا للسانه، مداوياً لأهل زمانه، مقبلاً على شأنه.

ـ ثم قال الخليفة عبدالملك: يا شعبي، أنشدني أحكم ما قالته العرب وأوجزه.

ـ فقال الشعبي: يا أمير المؤمنين، قول زهير:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم!

وقول النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث، أي الرجال المهذب!

وقول عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العُرفُ بين اللهِ والناسِ

وانتقل الخليفة عبدالملك بن مروان بعد ذلك إلى اختبار الشعبي اختباراً أشبه باختبارات الذكاء اليوم، فنجح أيما نجاح، وأثبت قدرة في ضبط النفس، وسرعة الخاطر، ومقدرة على اجتياز المآزق، وعلماً غزيراً. ولقد جرت العادة على إرسال من يقع عليهم الاختيار للسفارة في مهام محلية بسيطة، لاختبار مدى ما عندهم من مواهب، حتى إذا نجحوا في اجتياز هذا الاختبار أسندت إليهم مهام كبيرة تتعلق بتنفيذ السياسة العليا للدولة.

ونستدل من هذا على أنه كان هناك ما يشبه تدريب المرشحين لأعمال السفارات الإسلامية، يتم قبل تقلدهم مناصبهم وإرسالهم إلى خارج البلاد. ■

شريعة

تطبيق شريعة الله

أ.د. محمد أبو الأجفان

لقد جاء رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بدين الحق ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نــور اليقين ويهديهم إلى صراط اللــه المستقيم، وتضمنت دعوته عليه الصــلاة والسلام العقيدة الصحيحة والشريعة الخالدة، شريعــة العدل والصلاح، فبـالعقيدة أنقـذ الله المسلمين من ضــلال الشرك والبـاطل، وبـالشريعة ينظمـون عــلاقتهم بخـالقهم ويؤدون عبـاداتهم كما أرادها الله وبينهـا رسوله الكـريم، وينظمون عــلاقاتهم ببعضهم بعضـاً ويسيرون في حياتهم على المنهج القـويم، فيحققـون بذلك مصـالحهم الدنيـوية ويـرجون نعيم الجنـة في دار الخلود.

فالشريعـة قد وضعت لــ«إخراج المكلف عن داعية هـواه حتى يكون عبداً للــه اختياراً، كما هو عبـد لله اضطراراً»(١) كما يعبر الإمـام أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي.

والله سبحانه وتعالى خلقنا للتعبد لـه والدخول تحت أمره ونهيه، قال تعالى: (ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(٢)، وقال جل جـلاله: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)(٣).

وقد أوضح الإمام الشاطبي أن التعبد لله هو «الرجوع إلى الله في جميع الأحوال والانقياد إلى أحكامه على كل حال»(٤).

وقد أكـدت نصوص الـوحي الإلهي ذمَّ مخالفة هـذا المقصد الشرعي، فنهت عن مخالفـة أمر اللــه، وتـوعدت المخـالفين بـالعذاب العـاجل والآجل، وجعلت اتبـاع الهوى مضادا للحق، قـال تعالى: (فـاحكم بين النـاس بـالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عــن سبيل اللــه)(٥)، وقـال سبحانه: (فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هي المأوى. وأمـا من خـاف مقـام ربـه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنـة هي المأوى)(٦).

قال الإمام الشاطبي: (قد حصر الأمر في شيئين: الوحي وهو الشريعة، والهوى، فلا ثـالث لهما، وإذا كان كـذلك فهما متضادان، وحين تعين الحق في الوحي توجـه للهوى ضده، فاتبـاع الهوى مضاد للحق، قال تعالى: (أفـرأيت من اتخذ إلهه هــواه وأضله الله على علـم)(٧)، وقال: (أفمن كـان على بينّــة من ربـه كمن زين لـه ســوء عملـه واتبعـوا أهواءهم)(٨)، وتأمل فكل موضـع ذكر اللــه تعالى فيه الهوى إنما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه)(٩).

وهكذا لا يكـون في الإسلام العدول عن الشريعـة إلى غيرها، فهي التي أوجب ربنا علينا تطبيقها وحتم على الأمة مـراعاة جميع أحكامها، وقد خاطب سبحانـه نبينا عليه الصلاة والسلام بقـوله: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها)(١٠).

شريعتنا الإســلامية هي شريعة الخلود تـرتبط بالقرآن الكـريم الذي تعهـد اللــه سبحـانــه بحفظـه: (إنـا نحن نـزلنـا الـذكـر وإنـا لــه لحافظـون)(١١)، وهي تتضمن الأحكـام الإلهيـة، قـال تعـالى: (إن الحكم إلا لله)(١٢)، ولا يجوز لأحد أن يعرض عــن أحكام الله القائل في كتابه الكريم: (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)(١٣).

والذين يعـرضون عن أحكام اللــه جاء ذمهم في القرآن، كما جـاء فيه مدح الخاضعين لهذه الأحكـام إيماناً وتصـديقاً واحتسـاباً، قـال عزّ وجل من قـائل: (وإذا دعوا إلى اللــه ورسـوله ليحكم بينهم إذا فـريق منهم معـرضون. وإن يكن لهم الحق يأتـوا إليه مـذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتـابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسـوله بل أولئك هم الظالمون. إنما كان قول المؤمنين إذا دعـوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)(١٤).

وهذه الشريعة التي تعبـدنا الله بتطبيقها جـاءت من إله حكيم محيط إحـاطـة تـامـة بمخلـوقـاتـه (ولا يحيطـون بشيء من علمــه إلا بما شاء)(١٥)، إنه أحكم الحاكمين، إنه الأعلم بمصالح الناس وبأسباب سعادتهم (وما كان ربك نسيا)(١٦).

والذين لا يحكمون بما أنزل اللــه ولا يطبقون أحكام شريعته يصفهم القرآن بالكفر تارة وبالظلم تارة وبالفسق تارة أخرى وقد نقل الإمام القرطبي عند تفسير قولـه تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(١٧)، عن ابن مسعود والحسن البصري قولهما: «هي عامة في كل من لم يحكم بما أنـزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي معتقدا ذلك ومستحلاً له، فأمـا من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرما فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلا يضاهي أفعال الكفار... قال طاوس وغيره: «ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر، وهذا يختلف: إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهـو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم بــه هوى ومعصية فهــو ذنب تــدركــه المغفــرة، على أصل أهل السنــة في الغفــران للمذنبين»(١٨).

ثم إن المصدر الأول لشريعتنا هو القـرآن الكريم، وهو (كتاب أحكمت آيـاته ثم فصلت مـن لدن حكيم خبير)(١٩)، وهــو دستـورنا الـذي تضمن أحكـاما مفصلة، مـع قواعد عـامة للتشريع تتيح للمجتهـدين استنباط الأحكـام لكل ما يطرأ ويستجـد من الأحداث والوقـائع، قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)(٢٠)

ومصدرها الثاني: سنة رســول الله صلى الله عليه وسلم، وهي وحي من الله يبلغه رسوله المعصوم (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى)(٢١).

وشرح الفقهـاء آيات الأحكـام وأحاديثهـا، وفرعـوا عنها من الفـروع الفقهيـة مـا لا يحصى كثرة، فغـدت الشريعـة بـذلك نظـاماً كـامـلاً راقياً(٢٢).

وليس للمسلمين أن يختــاروا بين تطبيـق شريعتهم وبين تــركهــا والاستغناء عنهـا، وليس لهم أن يختاروا بين المنهج الترقيعي بتطبيق بعض أحكامهـا واستمداد قـوانين وضعية تعوض بها أحكـام شرعية وبين منهج التطبيق الكـامل لها، فإن تطبيقهـا بصفـة كاملـة فـرض ديني، اقتضـاه اتباع هـذا الـدين الحنيف، وأوجب إقـامـة الحكومـة الإسلامية لتنفيذ أحكـامه كلها، وإقرار ما جاء بــه من عدل ومعروف

ودحض لكل منكر.

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشـور: «كان الإسلام منذ بدأ انبعاثه مقدراً له أن يكون نظاماً، سداه الدعوة إلى الحق والعدل، ولحمته تنفيذ تلك الدعوة بأيدي المؤمنين، وأن لا يكتفـي بظهور الحق الذي بعث به، في حالة يكون تنفيذ الحق على من ينحرف عنه موكولاً إلى قوة غير أهل ذلك الدين، فـالإسلام دين قـائم على قاعدة: دولـة للرسـول وخلفائه وجنده»(٢٣).

وتطبيق الشريعـة هـو حق من حقـوق اللـه تعـالى، لا يمكن لمؤمن أن يتملص منـه بأي وسيلة، قـال الإمام أبـو إسحاق الشـاطبي: «إن كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعـالى، وهو جهة التعبد، فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئـاً، وعبادته امتثال أوامره واجتناب نـواهيه بإطـلاق، فإن جاء ما ظـاهره أنـه حق للعبد مجردا فليس كـذلك بإطـلاق، بل جـاء على تغليب حق العبـد في الأحكـام الدنيوية»(٢٤).

فلئن جعل علماء مقاصـد الشريعة الأحكـام الشرعية على ثلاثـة أنواع: نـوع راجع لحقوق العبـد الخالصة مثل حق استرجـاع الدين وعـدم الإضرار بالمطل، ونوع راجع لحق الله الخالص كـالعبادات وكالأحكام الجالبـة لمصلحة عـامـة، ونوع اجتمع فيـه الحقـان كالقصـاص من القاتل.. فإن الشاطبي ينبه إلى أن هذه الأنواع كلها لا تخلو عن حق الله سبحانـه باعتبـاره المشرع وبذلك كـانت الأحكـام إلهية ذات قـداسة وحرمة يحس بهما من قوي إيمانه وخاف مقام ربه وحرص على بلوغ درجة المتقين.

وإن في عـدم تطبيق الشريعـة وعدم احترام الحق الإلهي في أحكـامهـا مجاوزة لحدود اللـه وانتهاكـا لها، (ومن يتعـد حـدود الله فقـد ظلم نفسه)(٢٥).

وحـدود الله شـاملـة لأحـوال الشخص وللعـلاقات في نطـاق الأسرة وللمعامـلات في مجال المجتمع، وهي محددة لعقوبـات بعض الجرائم الخطرة والكبائر من الآثام، ولا يمكن التعدي على أي جانب من جوانب هذه الحدود بما في ذلـك العقوبات المقـدرة شرعاً التـي تثير في عصرنا شبهة قسوتها، وهي شبهـة متهافتة، لأن عقيدتنـا تقتضينا بالتسليم لأحكام الله والعمل بما جـاء به الوحي، وعدم معارضـة ما أجمع عليه الفقهاء، ولأن مصلحة المجتمع تترجح على مصلحة من اقترف الجريمة وانتهك حرمة الشرع ولم يكترث بحقوق الله وحقوق الناس، وقد أشار صلى اللـه عليـه وسلم إلى أهميـة إقامـة الحد ومـا ينجـر عن ذلك من المصالح، فقد روى أبو هريرة رضي اللـه عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «حـد يُعْمَل به في الأرض خير لأهل الأرض مـن أن يمطروا أربعين صباحاً»(٢٦).

وقـد يتسـاءل من يسمع هذا الحديـث النبوي أو يقـرأه: كيف يكـون لإقامة الحدود هذه الأهمية القصـوى؟ وكيف يكون العمل بحد جالباً من الخير ما يفوق ما يجلبه مطر أربعين يوما؟!

والجواب نجده واضحاً عند الإمام تقي الدين بن تيمية، فقد قال معلقاً على هذا الحديـث مبرراً ما جـاء فيه بقولـه: (وهذا لأن المعـاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو، كما يـدل عليه الكتاب والسنة، فإذا أقيمت الحدود ظهرت طـاعة الله ونقصت معصية اللـه تعالى، فحصل الرزق والنصر) (٢٧).

إنه جـواب عالم استـوعب أحكام الشريعـة وفهم مقاصـدها وأحسن تأويل نصوص الوحي الربـاني، فكشف من أسرار التشريع وحكمه ما تطمئن به النفوس وما يجعل العقول مقتنعة بأهمية تطبيق شرع الله.

وقـد لاحظ ابن تيمية أيضـاً أن ما يمكن أن يـدفع من غرامـة ماليـة عوضاً عن إقامة الحد المشروع، لا يمكن أن يكون بدلاً عنه، فلو عوض ولي الأمر الحدود بعقوبات مالية، فإنه يكون جامعاً فسادين عظيمين، وهما تعطيل الحد وأكل السحت(٢٨).

فإذا بلغ أمـر الحد إلى القضاء وثبت الموجب فإنـه لايعدل عنـه تنفيذاً لشرع الله.

وما قلناه في شأن الحدود التي هي عقوبات مقدرة شرعاً ينسحب على سائر الأحكام التي تضمنتها شريعتنـا وأوكل تعالى للجهاز القضائي تطبيقها، وعهد إلى أولي الأمر وذوي السلطان الشرعي في الأمة تنفيذها وحمل الرعية على احترامها.

وإن هذا التطبيق لأحكام الشريعة الإلهيـة يتطلب وازعاً إيمانياً ذا أثر بـالغ في النفـوس، ووازعـاً سلطـانيـاً رادعـاً يحمل من لم يصل إلى مستوى الإيمان العميق الراسخ على السير في المنهج القويم واجتناب الضلال المفضي إلى التحلل من التزام تطبيق الشرع. ■

التعاليق

١ ـ الموافقات: ٢/ ١٢٠، نشر مكتبة صبيح القاهرة.
٢ ـ الذاريات: ٥٦.
٣ ـ النساء: ٣٦.
٤ ـ الموافقات: ٢/ ١٢٠.
٥ ـ ص: ٢٦.
٦ ـ النازعات: ٣٧ ـ ٤١.
٧ ـ الجاثية: ٢٣.
٨ ـ محمد: ١٤.
٩ ـ الموافقات: ٢/ ١٢١.
١٠ ـ الجاثية: ١٨.
١١ ـ الحجر: ٩.
١٢ ـ الأنعام: ٥٧.
١٣ ـ المائدة: ٥١.
١٤ ـ النور: ٤٨ ـ ٥١.
١٥ ـ البقرة: ٢٥٥.
١٦ ـ مريم: ٦٤.
١٧ ـ المائدة: ٤٤.
١٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ١٩٠ و ١٩١.
١٩ ـ هود: ١.
٢٠ ـ الأنعام: ٣٨.
٢١ ـ النجم: ٣ و ٤.
٢٢ ـ انظـر مقارنـات الشريعة الإسلاميـة والقوانين الـوضعية لعلي منصور: ١٣٦ ط١ بيروت ١٩٧٠.
٢٣ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسـلام ٢٠٦ ـ ط الشركة القومية للنشر والتوزيع، تونس ١٩٦٤.
٢٤ ـ الموافقات: ٢/ ٢٣٣.
٢٥ ـ الطلاق: ١.
٢٦ ـ قال ابن تيمية: أخرجه النسائي وابن ماجه.
انظـر مجمـوع الفتاوى: ٢٨/ ٣٠ ـ ط المكتب التعليمي السعـودي بالمغرب.
٢٧ و ٢٨ ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٨/ ٣٠١ و ٣٠٢.

مفهوم التنمية بين الإسلام والفكر الوضعي

تنمية

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

التنمية مصطلح ذاع استعماله منذ نحو قرن، وذلك في الدول الغربية، واقتصر مفهومه في هذه الدول على الجانب الاقتصادي، فقد ظهرت الحاجة إلى تنمية الاقتصاد القومي وزيادة الدخل حتى تتحقق زيادة دخل الفرد وارتفاع مستوى معيشته.

ثم تطور هذا المفهوم بعد ذلك، وأصبح له ـ في أوائل القرن الميلادي العشرين ـ مفهوم أكثر دقة وهو زيادة دخل الفرد في المتوسط، أي ما ينال الفرد الواحد من زيادة نقدية طوعاً للدخل العام.

وقد انبنى على هذا المفهوم ضرورة إيجاد النسبة بين زيادة الدخل القومي، وزيادة النمو السكاني على نحو يخدم التنمية، بمعنى أن تكون زيادة هذا الدخل بمعدل أعلى من زيادة السكان حتى تتحقق الزيادة الفعلية في دخل الفرد في المتوسط.

ولم يقف مفهوم التنمية عند هذا، فقد طرأ عليه تطور جديد جعله أكثر شمولاً، ومن ثم أصبح هذا المفهوم يعني التغير الشامل الذي يطرأ على المجتمع كله، بما في ذلك الفرد نفسه، لأنه جزء من المجتمع.

وبعد الحرب العالمية الثانية أخذ مفهوم التنمية وضعاً جديداً امتزج فيه العلم بالاقتصاد، فالتنمية الحقيقية لا سبيل إليها بغير الدراسة والمعرفة الإنسانية.

نشأة التنمية

وفي العصر الحاضر نشأت نظرية التنمية المتواصلة، وهي نظرية يراد بها تلافي ما نجم عن التنمية الاقتصادية من أضرار بالبيئة فلا تكون هذه التنمية على حساب الموارد الطبيعية، وتفادي التلوث أو تقليله إلى أقصى حد ممكن، وبذلك تعرف التنمية المتواصلة بأنها التنمية التي تحقق الرفاهية المستمرة للفرد دون إضرار بالبيئة.(١)

ويبدو من هذا العرض السريع لمفهوم التنمية في مراحله المختلفة، أن هذا المفهوم يهتم بالجانب المادي في حياة الإنسان أكثر من اهتمامه بالجوانب الأخرى، ومع هذا لم يتفق علماء الاقتصاد على تحديد مفهوم دقيق للتنمية، حيث يمكن القول إن هناك من التعاريف للتنمية الاقتصادية بقدر ما هنالك من مؤلفين يعالجون هذا الموضوع.(٢)

على أن هناك من الباحثين من يرفض تلك المفاهيم للتنمية التي لا تخرج عن نطاق المال وزيادته وتهمل العنصر البشري الذي هو المصدر الحقيقي للتنمية، فالتغير المادي مهما يكن حجمه لا جدوى منه ما لم يصاحبه أو يسبقه تغيير جوهري للإنسان من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية.

وهؤلاء الباحثون يذهبون إلى أن علماء الاقتصاد التقليديون ليسوا أهلاً لقيادة التنمية الاقتصادية، وإنما الذي ينبغي أن يتولاها هم علماء الدين والنفس والاجتماع، والطب، ويفرق هؤلاء بين مصطلح النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية فالأول: يراد به زيادة الدخل على حين أن الثاني: يشمل النمو المادي والمعنوي معاً، ويؤكد أن تنمية الإنسان هي الأساس للتنمية بمفهومها الصحيح الشامل.

مفهوم التنمية

إذا كان المفهوم الغربي للتنمية قد تطور وحاول أن يكون شاملاً، وأن يكون للإنسان فيه اعتبار وتقدير لأنه هو صانع التنمية، فإن ذلك المفهوم ـ مع هذا ـ ظل في نطاق الإطار المادي، وإذا تجاوزه في بعض ما صدر من آراء فإن هذا التجاوز كان يتوخى خدمة هذا الإطار، بمعنى أن تحقيق الرفاهية المادية بصورة مثمرة لا يكون إلا بعوامل شتى أهمها الإنسان، وحماية البيئة مما يتهددها من أخطار التلوث ونفاد الموارد.

نظرية التنمية المتواصلة نشأت في العصر الحاضر وهي نظرية يُراد بها تلافي ما نجم عن التنمية الاقتصادية

ولكن للإسلام مفهومه الخاص للتنمية وهو مفهوم ينطلق من معنى استخلاف الله الإنسان في الأرض ومسؤوليته عن عمارتها، وإن هذا الدين دين القوة بمفهومها الشامل حتى يكون المؤمنون به في كل زمان ومكان في مركز القيادة والريادة والخيرية.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود ـ ٦١، والاستعمار من الله هو طلب العمارة وهذا الطلب للوجوب فلا تدل قرينة على صرفه عن غيره، فالتعمير والتنمية واجبان على المسلمين كافة كل حسب طاقته، وما يسر الله له من الأعمال، فمن قصر أو أهمل فهو آثم، لأنه خالف ما أوجب الله عليه.

إن الأمر في الآية بعمارة الأرض يشمل كل ألوان التعمير بالزراعة والغراس والأبنية ودراسة التربة وعوامل الطبيعة المسخرة للإنسان منها، بل يشمل أيضاً دراسة الشمس والقمر والليل والنهار، وكل ما يهيىء للبشر أقوم السبل لعمارة الأرض ونشر الخير وإشاعة الرخاء فيها.

والإسلام بكل تعاليمه قد أحدث في الحياة الإنسانية تغييرا شاملاً، تغييراً للإنسان وقيمه ومفاهيمه وطرق معاشه، وقد ارتد هذا على المستوى العام للدخل بالنمو والازدهار، فهذا الدين بتشريعاته يقود إلى تحقيق التنمية بمفهومها الصحيح.

مفهوم التنمية في الإسلام

فالتنمية في الإسلام ـ إذن ـ تختلف عن المفهوم المعاصر لها لدى علماء الاقتصاد والاجتماع للأسباب التالية:

أولاً: ان التنمية الإسلامية غير مقصورة على الرفاهية المادية، فقد تضمنت النواحي المادية والروحية والخلقية الأمر الذي جعل هذه التنمية تمتد إلى الحياة الأخرى.

ثانياً: ان التنمية في الإسلام فريضة شرعية على كل مسلم انطلاقاً من مبدأ استخلاف الإنسان لعمارة الأرض مع اعتبار التنمية مسؤولية

تضامنية لكل أفراد المجتمع، تؤدي في النهاية إلى إيجاد شخصية جماعية تتضافر جهود أفرادها لتحقيق الإنجازات الحضارية، وضمان التنمية المستمرة.

ثالثاً: حرص الإسلام على توفير الضمانات لنجاح التنمية عبر عدة وسائل هي:

أ ـ الارتفاع بالتنمية إلى مرتبة العبادة، فقد اعتبر الإسلام عمارة الإنسان للكون شرطاً لوجوده في هذه الحياة.

ب ـ تأكيد مسؤولية كل فرد في الأمة عن التنمية وأنها بمثابة الجهاد المقدس، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ولذلك يرجع بعض الباحثين إخفاق خطط التنمية في بعض البلدان الإسلامية إلى فقدان المشاركة الفاعلة لجمهور الأمة في تنفيذ تلك الخطط.(٣)

ج ـ دعا الإسلام إلى الأخذ بالأساليب العلمية والتقنية الملائمة سعياً إلى إتقان العمل. وفي الأثر: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

د ـ ترشيد الاستهلاك وتوجيه الفائض الاقتصادي لأغراض التنمية، ومحاربة الإسلام للإسراف والترف ووضع المال في غير موضعه إلى درجة كبيرة عندما عده سبيلاً إلى التهلكة: (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة ـ ١٩٥.

هـ ـ الالتزام بأولويات التنمية والمعالجات الجذرية لمعوقاتها كتقديم الضرورات على الحاجات والحاجيات على التحسينات.(٤)

وإذا كانت التنمية في المفهوم الوضعي قد تناولت البيئة وربطت بين المحافظة عليها من التلوث والتنمية الاقتصادية حتى يتوافر لها عنصر الاستمرارية وتحقيق الرفاهية، دون إضرار بالكائنات الحية وغيرها، فإن حماية البيئة في الإسلام مطلوبة على وجه الإيجاب بالنسبة للفرد والجماعة، لأن الأمر بتعمير الأرض لن يكون له مردود إيجابي بغير المحافظة على البيئة هواء وماء وتربة وحيوانا ونباتا، فضلاً عن أن الإسلام يولي النظافة عناية بالغة، نظافة الأبدان والثياب والبيوت والطرقات وكل وسائل الحياة من شراب وطعام، إنها النظافة التي تكفل للإنسان بيئة صحية خالية من كل الأوبئة أياً كان نوعها حتى يعيش حياته بصورة طبيعية ويؤدي رسالته بصورة كاملة.

ومن الأحاديث التي تشير إلى صحة البيئة في الإسلام ما رواه مسلم والترمذي في كتاب الأدب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود».

والأفنية في هذا الحديث تعني ساحات الدور وما يحيط بها، وهذا الحديث يرشد المسلمين إلى وجوب العناية ببيئتهم ومحيطهم وعدم البخل على أنفسهم وأبدانهم وأفنيتهم بالمال اللازم ـ إذا كان متيسراً ـ لجعل بيئتهم في المستوى الصحي اللائق بكرامة الإنسانية.(٥)

فالتنمية الإسلامية تحمي الحياة الإنسانية من كل ما يتهددها من المخاطر والأضرار، وتسعى لرقي هذه الحياة في مختلف المجالات المعنوية والمادية، ولذلك كانت حماية البيئة ورعايتها عنصراً من عناصرها، بل ركنا من أركانها.

غاية التنمية في الإسلام

وحاصل القول: ان التنمية في الإسلام غايتها الإنسان نفسه، وأنها تنمية إيمانية تربط بين التقوى والإنفاق في سبيل الله، كما أنها تنمية شاملة متوازنة، لا تنفرد بها طائفة دون أخرى، فهي تكفل عدالة التوزيع لكل أفراد الأمة، مع ضمان حد الكفاية للحياة الآمنة، وبذلك يتجه المجتمع بكل أفراده إلى العمل وزيادة الإنتاج.

والإنسان المقصود في التنمية الإسلامية هو الإنسان الذي تربى على قيم الإسلام وأخلاقياته، وهو الذي لا تستعبده المادة كما هو الشأن في التنمية الرأسمالية أو يستغله غيره كما هو الشأن في التنمية الاشتراكية، وإنما هو الإنسان المكرّم الذي يعمر الدنيا بالعمل الصالح ليكون أهلاً لخلافة الله في أرضه.(٦)

إن المنهج الإسلامي في التنمية يختلف عن كل المذاهب الوضعية في أنه يقوم على الإيمان والتقوى وتكريم الإنسان، واليقين الراسخ بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، وأن عليهم أن يتقيدوا بالشروط التي وضعها المالك الحقيقي للمال سبحانه وتعالى من حيث التنمية والإنفاق ووسائل الكسب، كما يتميز هذا المنهج بالإيجابية والإيثار والتكافل والتعاون والإحسان والصدقات، إنه منهج يضبط السلوك الإنساني بمعاني الطاعة والعبادة فكان من أقوم المناهج، وكان وحده دون سواه سبيل العلاج والدواء لكل المشكلات التي تعوق حركة التقدم والتطور والازدهار. ■

مفهوم الإسلام للتنمية ينطلق من معنى استخلاف الله للإنسان في الأرض ومسؤوليته عن عمارتها

الهوامش

١ ـ انظر: التنمية المتواصلة وماذا تعني؟ جريدة الأهرام ١٩٩٦/٢/٧م.

٢ ـ انظر: النفقات العامة في الإسلام للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص ٢٢٩ ط. دار الثقافة، قطر، والتنمية الاقتصادية للدكتور كامل بكري ص ٦٣ ط. الدار الجامعية، بيروت.

٣ ـ انظر الإسلام والتنمية الاقتصادية للأستاذ الدكتور محمد شوقي الفنجري، مجلة منار الإسلام صفر سنة ١٤١٠هـ ص ٨٠.

٤ ـ الضرورات: هي ما تقوم عيها حياة الناس ولابد منها لاستقامة مصالحهم وإذا فقدت اختل نظام حياتهم ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والمفاسد، والضرورات بهذا المعنى ترجع إلى حفظ خمسة أشياء هي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فحفظ كل واحد منها ضروري للناس، وأما الحاجات: فهي ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة، وإذا فقدت لا يختل نظام حياتهم ولا تعم فيهم الفوضى، ولكن ينالهم الحرج والضيق، فالحاجات بهذا المعنى ترجع إلى رفع الحرج عن الناس، والتحسينات: هي ما تقتضيه المروءة والآداب وسير الأمور على أقوم منهاج وإذا فقدت لا يختل نظام حياة الناس ولا ينالهم حرج، ولكن تكون حياتهم مستنكرة في تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة، وهي بهذا المعنى ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، «وانظر علم أصول الفقه للشيخ عبدالوهاب خلاف ص ٢٠٥».

٥ ـ انظر المسلمون وصحة البيئة، مجلة الخيرية عدد جمادى الآخرة عام ١٤١٣هـ ص ٤٧، ومما يتعلق بحماية البيئة ما عرف في الإسلام بما يسمى بالطب الوقائي والعلاجي فإذا ظهر وباء في مكان ما فلا يجب الدخول إليه أو خروج أحد منه، ولا يجوز قضاء الحاجة في المياه أو في الطرقات أو تحت ظلال الأشجار المثمرة وغيرها، ويحرم على المسلم أكل الميتة والخنزير، وكل ما هو خبيث من المطاعم والمشارب، وإذا مرض فعليه أن يتلمس أسباب الشفاء وألا يترك نفسه فريسة للداء.

٦ ـ انظر الإسلام والتنمية للدكتور الفنجري، المرجع السابق، ص ٤٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأزواج المسلمين: «آمروا النساء في بناتهن» (١). أي استشيروهن في زواج بناتهن ليشيروا برأيهن وفي هذا الحديث الشريف دلالة مهمة وعميقة المغزى فيما يحفل بها الزوج المسلم... انها تعني ان يلتفت الازواج في اتخاذ القرارات المستقبلية المصيرية إلى الأسرة والى الزوجة.. التي تقاسمت الأعباء.. وحملت المسؤوليات في ماضي الأبناء لتتقاسم كذلك عبء اتخاذ القرار.. وتحمل مسؤوليات اخرى في مستقبلهم كذلك انها لفتة انسانية رائعة قد يهملها الزوج.. وقد تغطيها انشغالات الحياة وقد تخبو في ظل مايتقاذفنا من مشاعر جاهلية كثيرة تسللت الى المجتمع المسلم ولذا جاء الحث عليها من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ليبقى الزوج متذكرا ان زوجته هي أول من يجب ان تطرح أمامها قرارات مستقبل الأبناء.

لنتعاون معاً.. على التخطيط المالي للأسرة

بقلم: سلوى عبد المعبود قدرة

إذا كان الحديث الشريف قد ذكر المشورة عند زواج البنات.. أي في انشاء أسر جديدة فهي من باب أولى أن تكون في امور هي اقل شأنا وخطورة.. مثل «المال» و«انفاقه» في الاسرة..؟

إن الكثير من الأزواج تظهر على وجوههم علائم عدم الارتياح إذا ماطلب اليهم ان يشركوا زوجاتهم في التخطيط المالي للأسرة.. أغلبهم يصرح بأن تلك المشاركة«!!» لاتنتهي إلا الى الكثير من الشقاق.. والنزاعات لأن الزوجات لايعرفن عن ذلك إلا كتابه «قوائم» طويلة من الطلبات.. وفتح المنافذ «الترفيهية» و«الكمالية».. وبما أن تلك النقطة شديدة الحساسية والخطورة لذا كان لابد من مناقشتها في حوار عقلاني تحكمه نظرة الإسلام الشاملة للحياة.. وتستهدي بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهنا أسئلة لابد من طرحها:

١- هل حقاً ان النزاعات والشقاق حول «المال» الاسروي هي أمور لابد منها في الأسرة المسلمة؟

٢-هل تلك النزاعات تنطلق من منطلق إيماني أم من منطلق جاهلي متسلل؟

٣- هل هي راجعة الى الزوج.. وله الحق فيها لوحده؟!

٤- هل هي راجعة إلى الزوجة... ولماذا؟!

٥- هل هي عائدة إلى اختلاف وجهات النظر في حاجات الأسرة؟!

نقاط.. ضوء

إن الإجابات على الاسئلة المطروحة آنفاً.. ستجعلنا.. ازواجا وزوجات نكتشف الكثير

فالنزاع حول «المال» ليس في الأسرة المسلمة:

لأن الأسرة في الاسلام قوام وجودها المحبة وعماد تأسيسها التفاهم.. والله سبحانه هو القائل ﴿وجعل لكم من أنفسكم أزوجاً﴾(٢). فالزوجة خلقت من النفس والحوار معها حوار مع الذات بصوت أعلى من الصمت.. إنه حوار هادىء إن شابه الاعتراض.. او التذمر.. أو الثورة.. أو الحيرة.. فهاهنا عدو متربص يتسلل الى قواعد الأسرة وقوامها ليبذر بذور النفور والصدود والله تعالى يحذر الزوجان من اتباعه بقوله: ﴿ ياأيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾(٣).

وهذا الرزق الحلال الطيب المقصود به «المال الحلال» الذي يدور حوله الحوار.. يستلزم الشكر لإنقاص بركته بالشقاق والاختلاف.. أو بالتبذير.. او البخل او العصيان.

كثير من الأزواج لايشركون زوجاتهم في التخطيط المالي للأسرة

من أي المنطلقات ..يبدأ النزاع:

تتزاحم في مجتمعاتنا المسلمة اليوم أفكار شتى وتعتمر القلوب والعقول بمنطلقات مختلفة للتفكير والمشاعر والسلوكيات واغلب كل ذلك -للأسف- يعود الى منبت غير اسلامي.. وينتمي إلى بيئة لاتقوم عليه كعقيدة وانتماء ويغدو هذا التزاحم خطيرا لانه يلبس الحق بالباطل.. ويخلط الخير بالشر.. ويزين الفساد ببعض مظاهر الإيمان..

وإذا ما أهمل الزوجان اليقظة في مراقبة النفس وتهاونا في التدقيق وراء الأهداف الحقيقية والمنطلقات الخفية في النفوس.. فإنهما سيقعان في شرك الجاهلية المستشرية في المجتمع.

- فالجاهلية ارتفعت بمتطلبات «كمالية» كثيرة إلى قمة الضرورات.. بينما هبطت

بأخرى الى دون مستوى اهتمام المسلم والمسلمة فتم تجاهلها.
– والجاهلية تتسلل الى عقل الزوجة والزوج.. فتدفعانهما إلى الإسراف.. او التبذير او العكس.
– والجاهلية تحاصر الزوجة بمشاعر العداء للزوج... وإن اختفى ذلك– وتبث إليها كل حين الخوف من غدره... وعدم الثقة في تصرفاته...
– والجاهلية جعلت من بر الوالدين– أن يتم ذلك الأمر على استحياء وخجل.. ولذا يفعله الزوج في غفله من زوجته غالبا.. وتأتيه الزوجة في الظلام دون إخبار زوجها.
– والجاهلية فرضت على الأفراد تجميل الحياة.. فأسرف الجميع في الزينات.. والأضواء والبريق والمجاراة في العَبّ من المتع والملذات..ولذا كان من المهم جدا ان يقوم الزوجان بتطهير ارضيه «الحوار» من كل علائق الجاهلية ورواسب البعد عن الهدي الاسلامي.. وان يخلصا لله تعالى لأنه اساس كل صلاح وان يعرف ان رقابة الله تعالى تشمل منافذ إنفاق المال ﴿وماأنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وماللظالمين من أنصار» (٤).
وإذا كان «المال» اليوم هو الهدف الذي يسعى اليه الكثيرون... بل الغالبية... فإن الإسلام ينظر الى المال نظرة على أنه عرض زائل الذي ليس هدفا في حد ذاته بقدر ماهو وسيلة لمرضاة الله تعالى بإنفاقه﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾ (٥).

أسباب تعود للزوج:

بعض الأزواج يفضل ان يبوح بما يقلقه حول رزقه و يناقش ازماته المالية مع الآخرين من اصحاب أو أقرباء ويحجم عن ذلك مع زوجته،والبعض منهم يرى ان الأزمة المالية تعني عجزاً لايريد ان تلاحظه زوجته.. والبعض يرى ان إلتجاءه الى زوجته لبحث مشكلة مالية ما.. تعني التقليل من شأنه في نظر زوجته. أو الحط من منزلته في الأسرة التي هو قائم على أمرها. وهذه النظرة.. جاهلية .. تسربت الى المجتمع المسلم حين ضعف التواصل الإيماني في قلوب أفراده فقلت فيما بينهم أواصر المحبة.. وضعّفت وشائج الود.. فأصبح سوء الظن يسبق حسنه.. وانعدام الثقة يسبق وجودها.. فغدا الفرد خائفا من أقرب الناس اليه متوجسا من الجميع.
إن النساء ليفخرن على مرّ الزمان بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التجأ بعد أن أوحي اليه الى زوجته. .فكانت هي أول من علمت بأمر الوحي.. وكانت هي أول من صدقت وآمنت.. وأيّدت ونصرت يقول عليه الصلاة والسلام:«وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى اتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا اليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ. ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت:«أبشر يابن عمي اثبت والذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمّة»(٦).

أسباب تعود للزوجة:

بعض الزوجات يدفعن ازواجهن دفعاً لإخفاء المقدار الحقيقي لما يملكون من مال ومن ثم يتخذ الرجال القرارات في شأنه دون الرجوع اليهن.
بعضهن.. يعتبرن ان اشراكهن في الشؤون المالية يعني فرض ماتراه من آراء.. حول الإنفاق.. والإدخار و....و..
والبعض منهن ترى ان ذلك مبرراً لها لأن تلقى زوجها بوجه عابس فتخنقه بأسئلة حادة مثيرة دون مراعاة لوقت مناسب او ظرف لائق.
ومنهن من ترى ان اشراكها في التخطيط المالي يعني بعثرة المال هنا وهناك..
ومنهن من تقابل الأزمات المالية.. مظهرة الاستخفاف بقدرة وكفاءه زوجها على حسن التصرف، ومنهن من تظهر له بعض التشفي إذا اخفق في مشروع كان يخالفها فيه ابتداء،ومنهن من تسارع إلى نقل كل ماتعرف عن دخل الأسرة للآخرين.. وهذا دون شك يزعج الزوج ويدفعه إلى النفور من اشراكها معه في أي أمر من الأمور كادارة المال أو غيرها.

أولويات.. ولكن بميزان الإسلام:

تمتلىء هذه الحياة بالكثير من المغريات . والآلآت الحديثة المتطورة.. وتذخر المحلات بآلاف المنتجات.. وتمتلىء النفوس إعجابا.. وإنبهاراً بها والناس يلهثون في اقتناء الجديد .. الذي سرعان مايصبح قديما.. لسرعة عرض الجديد وتداوله وفي تدافع الناس للاقتناء والمنافسة على الشراء ينسى الكثيرات طرح سؤال مهم هل أنا حقا في حاجة الى ماسأشتريه؟!
والطريف ان هذا السؤال لايطرح إلا بعد ان يكون الإنسان قد دفع ثمنه.. وأوشك ان يشتري آخر اكثر منه حداثه فيتساءل.. كيف لم أر عيوب.. الأول القديم!! إن الزوجان المسلمان مطالبان بالبحث في سلم الأوليات المطروح امامهما،فقد يكون امتلاك سيارة على احدث طراز مثلا أولوية في نظر آخرين بينما يعدو في نظرهم كفالة يتيم من أولي القربى.. او المساهمة في إطعام شعب مسلم جائع مشرد له حق الأولية..
وإن الايمان ليتدخل في ترتيب سلم الأوليات تدخلا اساسيا.. قال صلى الله عليه وسلم «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. ومن يسّر على معسر يسّر الله عنه في الدنيا والآخرة
والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه» (٧). ■

إذا ماأهمل الزوجان اليقظة في مراقبة النفس وقعا في شرك الجاهلية المستشرية في المجتمع

المراجع:

١– رواه أحمد وأبو داود
٢– النحل– ٧٢
٣–البقرة– ١٦٨
٤–البقرة– ٢٧٠
٥–القصص–٧٧
٦– السيرة النبوية – ابن هشام– طبعة دار المنار سنة ١٩٩٤– ص٢٤١
٧–رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة

التكافل الاجتماعي في الاسلام

مجتمع

التكافل معناه: التساند والتضامن، ويكون بين المجموعة الانسانية التي تكون مجتمعاً لمجموعة من الناس تعيش في مكان واحد، ويجمعهما قانون واحد وتنظمهما عادات وأعراف واحدة. وقد يكون بين الفرد وذاته، وبين الانسان واسرته، وبين الناس في البلدة الواحدة، او الوطن الواحد، او بين الناس تجمعهم دولة واحدة(1).

بقلم: محمود رمضان محمد

اسس التكافل الاجتماعي

نظام التكافل في الاسلام.. نظام كامل، نظام بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى، فلقد وضع الاسلام أمثل نظام للتكافل الاجتماعي.

والتكافل في الاسلام لايقف عند حدود المال، وانما هو تكافل شامل في كل علاقات الحياة.

وقد وضع الاسلام اسس التكافل الاجتماعي ووضحها وبينها من منطلق معايير، نذكر منها:

١-الأخلاق المنبثقة من التعاليم الإلهية التي تحث على الرحمة والعدل والحب والإخاء والمساواة والاستقرار والأمن والامان والحريات.. الخ.

٢-الأنظمة والقوانين بين الافراد وبعضهم بعضاً، وبين الافراد والدولة في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي مردودها في النهاية للفرد والمجتمع.

٣-العقيدة السمحة المرنة التي تحثنا على عمل أي شيء فيه سعادة البشرية مالم يتناف مع قيم وتعاليم الاسلام.

٤-التضامن الاسلامي من اسس التكافل الاجتماعي، بل اصل من اصول بناء الدولة الاسلامية.

من هذه المعايير وغيرها وضع المنهج القويم للتكافل الاجتماعي في صورة كاملة وشاملة، سبقت كل النظم الغربية التي تدعي قوانينها التكافل الاجتماعي.

الإسلام وضع اسس التكافل الاجتماعي من خلال العقيدة السمحة التي تدعو الى الحب والتعاون والامن والاستقرار

منهج الاسلام في التكافل الاجتماعي

منهج الاسلام في التكافل الاجتماعي منهج قويم وشامل، ونابع من النصوص القرآنية الصريحة:

قال تعالى:﴿ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[الانبياء/٩٢].

وقال تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة/٢].

التكافل وبناء الأسرة:

الاسرة هي النواة التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية، لذلك وضع الاسلام ضوابط التكافل الاجتماعي في الاسرة الصغيرة كأنموذج للحياة الاجتماعية وقد قرر ذلك في احكام شرعية نوجزها فيما يلي:(٢).

١-بين الواجب الملقى على الزوجة باعتبارها أنثى بما تتحمله من الانجاب والارضاع وتربية الاطفال وتهيئة البيت وغير ذلك. كما بين الواجب الملقى على الزوج من ضرورة توفير الحياة الكريمة للزوجة والاسرة والتعاون مع زوجته في التربية والاعباء.

٢-اوجب الاسلام النفقة على الزوج لزوجته واوجب على الاب الانفاق على الابناء حتى يكبروا، وأوجب النفقة على الابناء للآباء والأمهات إذا طلبوها، وأوجب النفقة للاقارب، وصلة الارحام وندب الانسان ان يوصي من ماله

للفقراء والمساكين ومشاريع الخير ولاسيما ذوي الارحام تحقيقاً للتكافل المادي.

٣-اعطى البنت حقها في اختيار زوجها ورضاها،وأوجب للزوجة والبنت ذمة مالية منفصلة عن الرجل حتى تتساوى المسؤولية ويتحقق التكافل.

٤-حرصاً من الاسلام على تكافل الاسرة حرم الزنا والشذوذ الجنسي وحرم الاساءة للزوجة او الزوج او الاولاد.

التكافل في الثروات والأموال

فرض الله سبحانه وتعالى الزكاة، وجعلها ركناً من أركان الاسلام، والزكاة فريضة اسلامية تحقق التكافل في اسمى صوره، ومن اجل هذا حارب الخليفة ابو بكر الصديق وقاتل مانعيها.

هذا بالاضافة الى المصادر الاخرى مثل: الكفارات، المواريث، النذور الخيرية، بيت المال، الاوقاف الخيرية... الخ.

وجاءت الآية القرآنية تحث على التكافل:

يقول سبحانه:﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾[التوبة/٦٠].

ويقول سبحانه:﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾[فاطر/٢٩].

وفي ذلك ندب الى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص، فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال(٣).

الملكية الفردية وظيفة اجتماعية، المالك فيها خازن وأمين فيما يحوزه من مال الله تعالى

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً الفرد المسلم:﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾[الانفال/٤١].

وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل في التكافل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»رواه مسلم.

الملكية ودورها في التكافل

جاء القرآن بما يدل على ان لله مافي السموات وما في الارض، يقول سبحانه:﴿ألا إن لله مافي السموات والارض ألا إن وعد الله حق ولكن اكثرهم لايعلمون﴾[يونس/٥٥].

فدل بذلك على انه سبحانه وتعالى مالك لجميع مصادر الثروة ومالك الثروة نفسها، وان الله سبحانه وتعالى استخلف الانسان على الارض.

قال تعالى:﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾[الحديد/٧].

ويقول سبحانه:﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾[النور/٣٣].

ويقول ايضا: ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرلهم سيطوَّقون مابخلوا به يوم القيامة﴾[آل عمران/١٨٠].

ومن ذلك يتبين ان الملكية وبخاصة الفردية وظيفة اجتماعية، المالك فيها امين وخازن فيما يحوزه من مال الله تعالى أو من مجتمعه(٤).

فالمال مال الله ويجب ان ينفق في سبيل الله على الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى في قوله:﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين﴾[البقرة/٢١٥].

ومن اجل التكافل الاجتماعي... يجيز الاسلام لأولي الامر نزع الملكية الفردية وتعميم الانتفاع بها لجميع الناس او لبعض طبقات منهم اذا اقتضت ذلك حاجة المرافق العامة او اقتضاه صالح الجماعة..

وعلى هذا المبدأ سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد حمى أرضاً بالبريدة «بلدة بالقرب من المدينة» وجعلها حقاً مشاعاً للفقراء وأمر أن تبعد ماشية الاغنياء امثال عبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان وذكر اسميهما وبرر قراره هذا في عبارة حافلة بمعان ومبادىء سامية، اذ يقول:«فإنه ان تهلك ماشية الغني يرجع الى ماله، وان تهلك ماشية الفقير يأتيني مستغيثاً بأولاده، يقول ياأمير المؤمنين.. طالباً الذهب والفضة وليس لي ان أتركه، فبذل العشب من الآن أيسر عليّ من بذل الذهب والفضة يومئذ».

الإسلام وضع ضوابط للتكافل الاجتماعي في الأسرة الصغيرة كأنموذج للحياة الاجتماعية

وقد جاء اهلها يشكون قائلين:«ياأمير المؤمنين انها ارضنا قاتلنا عليها في الجاهلية واسلمنا عليها، فعلام نحميها؟فاجاب عمر:«المال مال الله والعباد عباد الله، والله لولا ماأحمل في سبيل الله ماحميت من الارض شبراً في شبر.

وقاس الفقهاء على ذلك جواز نزع الملكية الخاصة اذا اقتضت ذلك حاجة المرافق العامة او اقتضاه صالح الجماعة(٥)

الإخاء والتكافل الاجتماعي

ارسى الاسلام قواعد الإخاء في الاسلام ليتحقق التكافل الاجتماعي في ابهى صوره، مبنياً على الأخوة المنطلقة من الحب والعدل والرحمة.. الخ يقول صلى الله عليه وسلم:«المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»رواه مسلم.

وقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وآخى بين المهاجرين والانصار ايضا، وذلك لتحقيق التكافل الاجتماعي بين الاخ واخيه، فعلى المسلم ان يضع نفسه في خدمة اخيه بمجرد ان يشعر ان اخاه محتاج اليه من غير انتظار للطلب من أخيه، ولهذا الحق مراتب اقلها المساعدة كلما طلب الأخ ذلك ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح، وأوسطها ان تجعل حاجته مثل حاجتك تفكر فيها، وتتعرف على احواله كما تعرف احوال نفسك وتقوم بأمره من غير سوء كما تفعل بالنسبة لأهلك ومن تعول، واعلاها ان تقدم قضاء حاجته، والتعرف على متطلباته كما تتعرف على حاجات نفسك واهلك لأن الايثار كما يكون بالمال يكون بالنفس(٦).

ويجسد هذه المعاني شعراً الامام الشافعي رحمه الله فيقول:(٧)

الاسلام وضع من خلال فريضة الزكاة أهم نظم التكافل الاجتماعي

أحب من الاخوان كل مواتي
وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده
ويحفظني حياً وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليتني ان اصبته
فقاسمته مالي من الحسنات
تصفحت اخواني وكان اقلهم
على كثرة الاخوان أهل ثقاتي

الشورى والتكافل الاجتماعي

كما ذكرنا.. المجتمع الاسلامي مبني على الاخاء والتشاور وتبادل الرأي، فما داموا جميعاً اخوة يستشعرون معنى الإخاء في حياتهم جميعاً، وان أي مشكلة تؤثر عليهم جميعاً، سلباً أو ايجاباً فالجميع شركاء في الحياة. ومن هنا كانت الشورى اساساً للتكافل الاجتماعي، وقد جاء الامر الإلهي في قوله سبحانه:﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم في الأمر﴾[آل عمران-١٥٩].

الزكاة فريضة اسلامية تحقق التكافل الاجتماعي في اسمى صوره فقد قاتل ابو بكر مانعيها

والشورى حق من حقوق الفرد المسلم، من خلالها يؤدي دوره نحو وطنه وبها يتحقق التكافل بين الانسان ووطنه.

واخيراً لقد وضع الاسلام المنهج القويم في التكافل الاجتماعي، بين الفرد واسرته، وبين الفرد وجاره، وبين الفرد والجماعة«الدولة» هذا التكافل ليس بالمال فقط، بل بالمعاملة والمعاشرة والانفاق ايضا.

وقد وضع الاسلام من خلال فريضة «الزكاة» اهم نظم التكافل الاجتماعي، والنظام الاقتصادي الاسلامي في مجمله يقوم على التكافل الاجتماعي.

وقد غرست التربية الاسلامية قيم التكافل الاجتماعي بين الافراد في جو من الأخوة والمساواة والعدل والحب.. الخ . ■

المراجع:

١-د. عبد العزيز الخياط «التكافل في المجتمع الاسلامي، مجلة «الازهر» جـ٣، ربيع الاول ١٤١٥هـ
٢-المرجع السابق، بتصرف.
٣-ص٥٦ سعيد حوى«المستخلص في تزكية الانفس» الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ دار السلام للطباعة «مصر»
٤-ص ٢٧مجموعة كتاب« التوجيه التشريعي في الاسلام» الجزء الاول مجمع البحوث الاسلامية القاهرة١٣٩١هـ.
٥-ص٢٩ سعد عبد السلام حبيب «التكافل الاجتماعي في الاسلام» سلسلة« كتب اسلامية» العدد ٣٢ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية« القاهرة» ربيع الأول ١٣٨٣هـ.
٦-ص ٤٨٥حسن ايوب« السلوك الاجتماعي في الاسلام» الطبعة الاولى.
٧- ص ٢١٩ الماوردي «أدب الدنيا والدين».

كتاب

رؤية مستقبلية جديدة

الإسلام والغرب

تأليف: د. محمود حمدي زقزوق
عرض وتقديم: محمد علي وهبه

يحفل القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة بالكثير من الروايات المتضمنة لأحداث الماضي، وهي غير مذكورة لذاتها في الوحيين الإلهيين الخالدين «الكتاب والسنة» وانما لاستخلاص الحكم والمواعظ منها في الحاضر، ولاستشراف المستقبل من خلالها، بمراعاة تكرار امثال تلك الاحداث بما تحمل من سلبيات وانحرافات مضادة للاستقامة على الصراط.

ويعني ذلك انه قد يصعب وربما يستحيل استشراف المستقبل بشكل عام، دون ربطه باستشراف الماضي بحيث يتم استحضار احداث الماضي وطرحها على ارض الواقع، لتمحيصها وتنقيتها مما يشوبها من أخطاء وأباطيل قد تؤثر سلباً في التوجهات المنطلقة من اصالة الماضي نحو المستقبل المأمول.

والصورة الزاهية المنشودة للاسلام في الغرب والعالم اجمع، وهي الصورة المتناقضة مع موقف الغرب بصفة خاصة من الاسلام في الوقت الراهن، وتستدعي الرجوع الى الماضي للبحث عن غارسي بذور الكراهية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، وتحليل مواقفهم، واسباب نشوء هذه المواقف التماسا لإيجاد اساليب علمية موضوعية لعلاجها وتصحيحها، بما يفسح المجال واسعا من خلال حوار موضوعي بناء- لبيان عظمة الدين الحنيف الذي انزله الله جل شأنه رحمة للعالمين.

ذلك مايتناوله هذا الكتاب المهم «الاسلام والغرب» لمؤلفة الدكتور /محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري حاليا، وعميد كلية أصول الدين في جامعة الأزهر سابقا وقد صدر الكتاب في العام١٤١٥هـ- ١٩٩٤م عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية سلسلة قضايا اسلامية.

ويحتوي على خمسة فصول اساسية، بسطها المؤلف في ١١٠ صفحات من القطع المتوسط.

والغرض المهم المقصود من وراء هذا الكتاب كما يقول المؤلف في مقدمته- ليس استعراض علاقة الاسلام بالغرب من الناحية التاريخية، وانما الهدف هو البحث عن الخلفية الفكرية للمواقف الغربية إزاء الاسلام والمسلمين، حيث الحديث عن الاسلام والغرب سيظل سطحيا اذا لم يتجه للبحث عن جذور التصورات الغربية عن الاسلام.

وذلك يعني أنه إذا أردنا ان نفهم المواقف الغربية الراهنة إزاء الاسلام، فلابد لنا من التعرف على المنابع الاساسية التي يستقي منها الغرب تصوراته عن الاسلام.

الإسلام والاستشراق:

في الفصل الأول من الكتاب يشير المؤلف الى الدور الخطير والمتعاظم للاستشراق سلبا وايجابا في العالمين الغربي والاسلامي، موضحا حقيقة مهمة يجب الالتفات اليها دائما، هي ان الاستشراق كان ولايزال يمثل جانبا مهماً من قضية الصراع، وكان مالازال له اكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الاسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب ازاءه على قرون عدة.

ومهما كانت المواقف أو ردود الافعال من الاستشراق، فانه، أي الاستشراق جدير بالدراسة، لما له من تأثيرات قوية على المستوى الفكري سلبا وايجابا في كلا العالمين الغربي والاسلامي ويشير المؤلف الى تاريخ الاستشراق وتطوره، موضحاً ان بداياته الأولى ترجع الى مطلع القرن الحادي عشر وقد كان الدافع وراء ظهور هذه البدايات المبكرة للاستشراق، هو ذلك الصراع الذي كان دائراً في ذاك الوقت بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الاندلس وصقلية. ومع تطور هذا الصراع بعد ذلك الى شكل الحروب الصليبية المعروفة بدأ الكثير من الأوروبيين يتشغلون بدراسة تعاليم الاسلام وعاداته وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون، في ذلك الوقت ضد الاسلام، وزعموا ان الاسلام قوة خبيثة شريرة ولكن في مقابل تلك الصورة البغيضة للاسلام، كانت هناك جهود اخرى للوصول الى قدر من الموضوعية في مجال العلوم العربية، مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية.

وبدءاً من العام١١٣٠م كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون جاهدين على الترجمة الموسعة للكتب العربية في الفلسفة والعلوم.

وفي القرن السادس عشر ومابعده أدت النزعة الإنسانية في عصر النهضة الاوروبية الى دراسات اكثر موضوعية للاسلام من ذي قبل.

وفي القرن السابع عشر بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الاسلامية، للاستفادة منها وأنشئت كراس اللغة العربية في جامعات أوروبا.

ومنذ القرن التاسع عشر بدأت تظهر الكثير من الجمعيات المؤسسات ،وكذلك المجلات الغربية المتخصصة في الدراسات الاسلامية.

القرآن والسنة هما الأساس في استشراق الماضي والمستقبل لتقويم الانحرافات

مواقف المستشرقين:

وينتقل الباحث بعد ذلك الى موضوع حساس للغاية- كما يقول- هو المواقف الايجابية والسلبية للمستشرقين مشيرا الى الأهمية القصوى لمعرفتنا بكلا الجانبين السلبي والايجابي لدى المستشرقين حتى تتاح لنا رؤية متكاملة للمسيرة الاستشراقية عبر التاريخ، مما يتيح لنا الفرصة والإمكانات لكي نعمل جاهدين على تقويم السلبي وتدعيم الإيجابي منها.
والجانب السلبي الهجومي والاستفزازي في انتاج المستشرقين ضد الاسلام والمسلمين، قد يكون بالنسبة لنا- كما يرى المؤلف- خيرا من الجانب المدحي، اخذا بالمثل القائل « ربّ ضارة نافعة» فقد يكون هذا الاستفزاز حافزاً لنا على النهوض والإنطلاق من جديد.
حيث لايجوز لنا ان نقف دائما موقف المعتدى عليه.
ولهذا لابد من ان نغيّر وضعنا، وذلك لن يكون إلا بتغير أفكارنا، فنحن لسنا متخلفين لقلة اشيائنا، ولكن تخلّفنا لقلة افكارنا وتبدد جهودنا، ولن تتغير احوالنا إلا بتغيّر مافي نفوسنا﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾[الرعد:١١].

اقتراحات للمواجهة:

ويرى الباحث، من منطلق ان الحرب الحالية بين الإسلام والتيارات الغربية المضادة له، هي في الأساس حرب فكرية، وهي اكثر خطورة من الحروب العسكرية، لأن الفكر هو المنطلق لمختلف المواقف السلوكية التي قد ينتج عنها الصدام أو الوئام، بحسب نوعية هذا الفكر من حيث كونه مستحسنا او مستهجنا.
ويضع المؤلف تصورا مستقبليا ممكنا لمواجهة الاستشراق المضاد، من خلال النظر للاستشراق بجدية ودراسته دراسة عميقة. وكذلك بإنشاء دائرة معارف إسلامية جديدة باللغة العربية واللغات الاوروبية الرئيسية، لنواجه بها الكثير من الأخطاء والأباطيل في دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون. وكذلك إنشاء مؤسسة إسلامية عالمية لاتنتمي بالولاء لبلد إسلامي معين مهمتها استقطاب الكفاءات العلمية الاسلامية من شتى أنحاء العالم لتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية، وكذلك وضع ترجمات اسلامية صميمة مقبولة لمعاني القرآن الكريم باللغات الحية نسد بها الطريق على عشرات الترجمات المنتشرة الآن في شتى اللغات التي قام المستشرقون بإعدادها واصدارها بمقدمات- في الغالب- مملوءة بالطعن في الإسلام.
ويقترح الباحث كذلك ضرورة تنقية التراث الاسلامي من نتاج يدعى دخيل كالإسرائيليات وغيرها، وانشاء مؤسسة عالمية للدعوة الإسلامية في الخارج تدعو للإسلام وتدافع عنه وعن المسلمين، وضرورة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والاسلامية في الخارج من خلال الاتفاقات الثقافية بين بلدان العالم الاسلامي وبلدان اوروبا وامريكا وغيرها، وذلك يبعث اساتذة مسلمين أكفاء الى معاقل الاستشراق للتدريس فيها. والأخذ بأمثال هذه الاقتراحات- بلا شك- يقود بالتدريج الى تصحيح التصورات الغربية الخاطئة عن الاسلام.

اتجاهات غربية جادة لفهم الإسلام

في الفصل الثالث تحت هذا العنوان يشير الباحث الى آراء مجموعة كبيرة من علماء الإسلاميات في ألمانيا وخارجها حول العالم الإسلامي، تضمنها كتاب «عوالم الاسلام» الذي أشرف على إصدراه الاستاذ «جرنوت روتر» والكتاب محاولة علمية وعقلانية جادة لفهم الاسلام، فهما موضوعيا سليما، اذ يهدف الى تنبيه الغرب بأن عليه ان يتوقف عن ان يجعل من العالم الإسلامي شيطانا مخيفا، حيث يؤدي هذا الهجوم الذي لامبرر له الى عواقب وخيمة. وبدلا من ذلك يدعو إلى ضرورة ان يكون هناك موقفا متفهماً ومتسامحا إزاء العالم الإسلامي الذي يعد اقرب الدوائر الحضارية لأوروبا.
ويلفت الكتاب الأنظار الى أن العالم الإسلامي يشتمل على الكثير من الظواهر التعددية الحضارية والتاريخية والسياسية. ويوجه نقدا حادا لأصحاب الدعايات في وسائل الإعلام الغربية الذين ينشرون تصورات خاطئة عن الاسلام، بعيدة كل البعد عن الأمانة العلمية والضمير الأخلاقي.
كما يصف الكتاب الحضارة الاسلامية بأنها. «تعد واحدة من الأعمال الإبداعية الجبارة في تاريخ الانسانية» كما يشير الى أن اوروبا قد استفادت الكثير من الحضارة الاسلامية، لكنها للأسف- كما يقول الكتاب- لم تعترف للحضارة الإسلامية بهذا الجميل.
وكتاب «عوالم الإسلام» كما يرى الباحث يمثل اجمالا محاولة علمية وموضوعية يقصد من ورائها اعادة النظر في الكثير من الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة المنتشرة في الغرب عن الاسلام والعالم الاسلامي.

الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب:

ويشير المؤلف في الفصل الثالث إلى ضرورة الحوار الحضاري بين العالمين الغربي والاسلامي مشترطا عدة شروط مهمة لنجاح مثل هذا الحوار، من اهمها ان يكون هذا الحوار علميا، حضاريا، وان يستهدف خير واستقرار ورخاء وارتقاء الإنسانية جمعاء، ودون ان تشوب هذا الحوار أي نزعة متعالية، ودون أن يتعكر صفو هذا الحوار كذلك بأي ميول جدلية مغرضة، او أي نزعات تبشيرية أو ايديولوجية خاصة.
ويضع المؤلف تصورا تاريخيا للعلاقات الثقافية بين الغرب والعالم الاسلامي من خلال مرور هذه العلاقة بمراحل ثلاث:
الأولى: مرحلة إزدهار الحضارة الاسلامية وتأثيرها الحضاري الجبار على العالم الغربي

الحرب الحالية بين الاسلام والتيارات الغربية حرب فكرية وهي أكثر خطورة من الحرب العسكرية

وقد استمر التأثير الحضاري الإسلامي على أوروبا الى مايقرب من ألف عام. الثانية: مرحلة الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي الذي بدأ بالحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر.
وكانت لها تأثيرات سلبية كثيرة على العالم الاسلامي، ومازالت في حاجة الى دراسات علمية متعمقة لإبراز دور الجهاد الإسلامي التاريخي بصفة خاصة ضدها حتى انهزامها وانقشاعها.
الثالثة: المرحلة المعاصرة، التي تنتشر فيها المدنية الغربية في كل مكان من العالم تقريبا، بما فيها العالم الإسلامي، ولكن العالم الاسلامي مازال يتخذ موقفا متحفظا إزاء جوانب كثيرة من الحضارة الغربية. ويركز الباحث على إبراز اهمية الحوار بين العالم الاسلامي والغربي، ويرى انه لاستمرار نجاح هذا الحوار يجب على الغرب ان يتوقف عن إساءة فهمه للاسلام، ويرى في الوقت ذاته ان الجهود العلمية الحديثة التي بدأت تظهر في الغرب لفهم الإسلام فهما موضوعيا تبشر بالخير على طريق إنجاح الحوار المنشود.

اقتراحات لحوار ديني ناجح:

والحوار بشكل عام في عالم اليوم اصبح ضرورة ملحة، تفرضها ظروف تشابك العالم وتداخل مصالحه وبغير الحوار المتبادل المتكافىء محليا أو أقليميا او دوليا، فلن يكون هناك سوى الصدام، الذي لايمكن ان يكون فيه غالب او مغلوب، وانما ضحايا لأثرياء الحروب وتجار السلاح في كل مكان.
والحوار الديني كما يقول المؤلف في الفصل الرابع يعد جزءاً لايتجزأ من الحوار بين الحضارات، فالحضارات في كل مكان من العالم قامت أساسا على قاعدة من الدين، والدين احد المكونات الرئيسية لأي حضارة، بالاضافة الى اللغة والتاريخ والثقافة. ومن هنا يصف الغرب حضارته بأنها مسيحية كما نصف نحن حضارتنا بأنها اسلامية ومن شروط الحوار الديني الناجح بين المؤسسات الدينية– كما يشير الباحث– ضرورة ان يكون كل من طرفيه ندا للآخر، كما يجب تحديد قضية الحوار للتركيز حولها، مع تحديد اهداف الحوار التي يجب ان لايحيد أحد الأطراف عنها، كما يجب توافر الاحترام المتبادل والمساواة الكاملة بين طرفي الحوار، دون استعلاء طرف على الآخر أو شعور طرف بالدونية في مواجهة الآخر.
ونظرا لأن المؤسسات الدينية الكبرى كثيرا ما يكون لها دور حاسم في إشعال الصراعات، كما حدث في الحروب الصليبية التي اشعلها بابوات الفاتيكان تحت شعار ديني، بينما كانت لها دوافع خفية أخرى وان كانت صراعات اليوم في الظاهر ذات دوافع عرقية أو اقتصادية، فإنها في حقيقتها ذات خلفيات ودوافع دينية، ومثال ذلك قضية الصراع في البوسنة والهرسك.
ولعله يكون ذلك لذ يتوجب – كما يرى الباحث– ان يقوم الحوار الديني بين المؤسسات الدينية العالمية، يمثلها الأزهر الشريف في العالم الإسلامي، ويمثلها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في العالم الغربي، مع ضرورة التزام المتحاورين على المستويات كافة بالشروط المذكورة آنفا لضمان تحقيق النجاح المنشود لمثل هذا الحوار.

مستقبل الإسلام في الغرب:

وفي الفصل الأخير من الكتاب، ونظرا لتنامي الوجود الاسلامي في الغرب، حيث اصبح تعداد المسلمين في بلدان الغرب لايعد بالمئات أو الآلاف وإنما بالملايين، وهنايشير الباحث الى أهمية وضرورة توافر الكثير من الجهود والانشطة الإسلامية المستقبلية التي تعمل على توافر ضمانات الرعاية للمسلمين في الغرب، وبخاصة للأجيال القادمة من ابناء المسلمين في بلاد الغرب الذين نشأوا في بيئة مختلفة عن بيئاتهم. والكثير منهم– لذلك– لايعرفون لغتهم العربية الاصلية، مما يثير الخوف من احتمال ذوبانهم في المجتمعات الجديدة، إذا لم يجدوا مايحصنهم بدرجة كافية من الثقافة الاسلامية ضد ضياع الهوية الثقافية والذاتية الاسلامية.
ولعل مايشجع على إمكانات تقديم يد العون لأبنائهم المسلمين في الغرب عبر المؤسسات الاسلامية في الشرق، هو ان الكثير من بلدان الغرب قد اعترفت قانوناً بالديانة الاسلامية، ووفرت الحماية القانونية بقدر كبير للوجود الإسلامي لديها، وهو ماأتاح للمسلمين في الغرب فرص إنشاء الكثير من المدارس والجمعيات الخيرية والمؤسسات الاسلامية ذات الأنشطة الاسلامية الحضارية المختلفة.

ركائز المستقبل الإسلامي في الغرب

ويرى الباحث ان المستقبل المنشود للوجود الاسلامي في الغرب يرتكز على محاور ثلاثة متداخلة ومستشابكة معا.
المحور الأول: يتعلق بالعالم الإسلامي، حيث تقع على عاتقة بالدرجة الأولى مسؤولية صياغة الوجود الإسلامي في الغرب، من خلال تحسين صورة الإسلام الحضارية في الشرق وربط الجسور مع الوجود الإسلامي في الغرب.
المحور الثاني: يتعلق بالمسلمين في الغرب، حيث عليهم مسؤولية كبرى في مساعدة انفسهم، خصوصا من خلال تجنب الصراعات فيما بينهم، والعمل دوما على توثيق الروابط وتنسيق الجهود المشتركة بين موسساتهم وتجمعاتهم في الغرب، مع ضرورة التزامهم بتقديم الأنموذج الاسلامي المشرق فكرا وخلقا وحوارا وسلوكا، مما يسهم في تصحيح الصورة الشائهة للمسلمين في الغرب.
المحور الثالث: يتعلق بالغرب، وهو يتوقف على المحورين السابقين، حيث المبادرة العلمية بتحسين صورة الاسلام في الغرب ،لن تأتي من الغرب وإنما تأتي من العالم الاسلامي في الشرق والأقليات المسلمة في الغرب.
وذلك يعني ان مفتاح تحقيق الوجود الاسلامي المشرق سواء في الشرق او الغرب، هو في أيدي المسلمين انفسهم، وليس في أيدي غيرهم. ومع مايستحقه هذا الكتاب ومؤلفة من إشادة وتقدير، ونظرا للحساسية البالغة للتحديات المصيرية المرتبطة بقضية الاسلام والغرب التي يتناولها هذا الكتاب وبالرغم مما لاقاه ومازال يلقاه هذا الموضوع من اهتمام فهو مازال في حاجة إلى المزيد من الدراسات العلمية الجادة، وبخاصة من ناحية الطرح الجديد لتصورات مستقبلية جديدة بشأنه.
ولعل في بعض التصورات المستقبلية العلمية المطروحة في هذا الكتاب مايفيد في تعميق الرؤية، وإثراء النقاش حول هذا الموضوع، استهدافا للخروج بتصورات شاملة، تستحيل الى برامج عمل علمية جادة، لبناء إسلام الغد المنشود. ■

طب

آلام الظهر والرقبة الأسباب والعلاج وطرق الوقاية

يتحدث الدكتور محمد رفعت استاذ جراحة المخ والاعصاب بطب القاهرة عن الاسباب التي تؤدي الى ظهور آلام الظهر والرقبة بصورة دائمة وعن الاسباب الرئيسية في ظهورها في اعمار مبكرة ويقول انها تنحصر في عدة أشياء.

اولها: ضعف عضلات الظهر.

والثاني: الوضع غير السليم اثناء السير او الوقوف او الجلوس او الانحناء.

والثالث: حمل اشياء ثقيلة.

والرابع: السمنة وزيادة وزن الجسم.

والخامس: الجلوس الدائم على مقاعد غير صحية او اسرة غير مريحة.

اما سادس هذه الحالات بالنسبة للنساء: هو الحمل فغالباً مايصاحبه ألم في الظهر والرقبة.. هذا بالاضافة الى امكانية ظهور آلام الظهر والرقبة بسبب القلق النفسي.

بقلم: رضا محمد شعبان

وهناك اسباب فسيولوجية واسباب مرضية، اما الفسيولوجية فتشمل آلام الظهر التي تظهر مع تقدم الحمل او عند اقتراب موعد الولادة الذي يحدث نتيجة زيادة كمية الماء المختزنة في الجسم والغضروف، وضغط حجم الجنين والرحم على الجزء السفلي من العمود الفقري ومايتبعه من ضغط وشد على الأعصاب والاربطة المتصلة بالعمود الفقري والحوض.

وقد تظهر آلام الظهر بصورة ملحوظة عند بعض السيدات عند اقتراب موعد الطمث او اثناء الدورة الشهرية، وذلك لما يصاحبها من تغيير في نسبة الهرمونات التي تؤدي الى زيادة كمية الماء المختزنة في الجسم والغضروف، واحتقان الرحم والاحشاء الموجودة داخل تجويف الحوض، وفي معظم هذه الاحوال تختفي آلام الظهر باختفاء السبب أي بعد الوضع او بعد انتهاء الدورة الشهرية.

أما الاسباب المرضية فتنحصر في عدة حالات منها:

وجود عيوب خلقية في العمود الفقري مثل الاعوجاج، او وجود التهابات بالعمود الفقري واشهرها درن«سل» الفقرات وايضا عند وجود مرض الانزلاق الغضروفي ووجود التهابات بمفاصل العمود الفقري بالاضافة الى ضيق القناة الشوكية وهو عيب خِلْقي في القناة التي يجري داخلها الحبل الشوكي وايضا عند وجود تمزق عضلي في عضلات الظهر والرقبة او أورام الحبل الشوكي..

«كيف يحدث الألم!؟»

يقول الدكتور محمد رفعت ان الألم يحدث من الشد او الضغط على الاجزاء الحساسة مثل الألياف والاحبال والعضلات او الحبل الشوكي نفسه او الاعصاب الخارجة منه، وهذه الالتهابات التي تصيب هذه الاجزاء يمكن ان تسبب آلام الظهر.. كما اكد الدكتور رفعت ان اكثر اجزاء العمود الفقري عرضة للاصابة عند معظم الناس هي قاعدة الرقبة حول الفقرات العنقية الخامسة والسادسة والسابعة، وقاعدة الفقرات القطنية حول الفقرتين الرابعة والخامسة عند اتصالهما بالحوض حيث تكثر الحركة في هذين المكانين.

ويضيف الدكتور محمد رفعت ان اسباب آلام الظهر تختلف حسب مراحل العمر فلدى الاطفال ترجع الاسباب الى وجود تشوهات في العمود الفقري او امراض الدم والأنيميا والامراض العامة.

أما في سن الشباب فالوقوف والجلوس الخاطىء والحوادث والاصابة الرياضية وايضا للسيدات في حالة الحمل كما ذكرت.

اما لدى كبار السن فترجع آلام الظهر الى الانزلاق الغضروفي، وتآكل الفقرات نتيجة لعوامل مختلفة منها الرقاد او الجلوس بدون حركة لعدة اسابيع او شهور وقلة الحركة في الشيخوخة، خصوصاً لدى السيدات بعد سن اليأس او استئصال المبيضين.

واضاف ان استخدام مشتقات الكورتيزون بكثرة يؤدي إلى تآكل الفقرات، كما يحدث في بعض الامراض النادرة مثل مرض«كوشينج» الذي يصيب الغدة فوق الكلوية.

«أعمال تتسبب في آلام الظهر»

يقول الدكتور رفعت ان هناك وظائف معينة وأعمالا تؤثر وتسبب آلام الظهر، فمثلا عمال مناجم الفحم الذين يعملون تحت الارض ويضطرون الى الانحناء وحمل الاثقال، وايضا اعمال السكرتيرات لان الجلوس يكون احيانا كثيرة في وضع خاطىء لأوقات طويلة وايضا الحلاقون بسبب الوقوف لفترات

طويلة في اوضاع خاطئة.
أما ربات البيوت فهن اكثر عرضة للاصابة بآلام الظهر نتيجة لبعض الحركات الخاطئة مثل الانحناء الخاطىء لتنظيف السجاد ولذلك يؤكد على انه يجب اختيار المناضد والكراسي الصحية التي يكون ارتفاعها مناسباً حتى لايؤدي إلى الانحناء اثناء العمل. كما ينصح باستعمال الاجهزة ذات الايدي الطويلة كالمكانس الكهربائية ووضع فيشة الكهرباء أعلى الحائط وايضا وضع وسادة صغيرة خلف الظهر عند الجلوس طويلاً وعدم حمل الاشياء الثقيلة جدا واختيار السرير المريح الثابت.

«العلاج الأمثل لآلام الظهر والرقبة»

وعن العلاج يؤكد الدكتور «محمد رفعت» على ان الراحة هى أهم مرحلة في العلاج وهى الراحة التامة والبقاء في الفراش وعدم الحركة وتناول الوجبات الغذائية في الفراش. ثم يبدأ المريض بعد ذلك بالحركة حول السرير والجلوس على طرفه وبالتدريج يبدأ في الحركة داخل المكان مع تجنب الجلوس والوقوف كثيراً .ويؤكد ان معظم الحالات تبدأ في التحسن التدريجي، اما في حالة عدم التحسن فينصح بالذهاب بسرعة الى المستشفى.
اما بالنسبة لمن يتحاملون على انفسهم ويتحركون بالرغم من وجود آلام الظهر، فيؤكد الدكتور ان هذا هو الخطأ الجسيم لأن الحركة مع الحالة الحادة تزيد من الآلام وتسيء اكثر للحالة وتجبر المريض على الراحة وينصح المصاب – بآلام الظهر – بالامتناع عن عدة اعمال منها:

١–رفع الأوزان الثقيلة مع ثني الجذع
٢– النوم على سرير غير مستو
٣–الجلوس بطريقة غير صحيحة
٤–العمل لمدة طويلة مع ثني الجذع
٥–الإجهاد الشديد مع الاستمرار في العمل..

وينصح لمن يشكو من آلام الرقبة بالامتناع عن عدة أشياء:
عدم الجلوس ساكناً لمدة طويلة مع ثني الرقبة اثناء القراءة او الكتابة او الحياكة الى غير ذلك . عدم النوم مع ثني الرقبة الى الامام على وسائد عالية او صلبة.

«طرق الوقاية من آلام الظهر»

وعن طرق الوقاية من هذه الآلام يقول الدكتور محمد رفعت انه يمكن ان تقي نفسك من آلام الظهر منذ الصغر، لذا فانه غالباً ماتقع على الوالدين مسؤولية تسهيل ظهور اسباب هذه الآلام، وذلك باهمال التغذية السليمة المناسبة للطفل، واهمال تشجيعه على ممارسة أي نوع من انواع الرياضة. وكذلك عدم ملاحظة اي تغير غير طبيعي يطرأ على جسمه في حال اتخاذه اوضاعاً غير سليمة اثناء الجلوس او السير، او ظهور انحناءات او نتوءات اوضعف في بعض العضلات بالظهر او الاطراف.
كل هذه العوامل مجتمعة تساعد بطريقة او بأخرى على ظهور الآلام في اوقات مبكرة نسبياً اذا ماقورنت بالاشخاص الاصحاء.
اما بالنسبة للشباب وكبار السن فبجانب الاهتمام بنوعية الغذاء، وممارسة الرياضة كالمشي او الجري او السباحة، او ممارسة التمرينات الخفيفة، ينصح الدكتور بتجنب الزيادة في الوزن بصفة عامة لكل الاعمار وخصوصاً كبار السن وذلك عن طريق الاقلال من المواد الكربوهيدراتية والدهنية والإكثار من الفواكه والخضراوات والمواد البروتينية والفيتامينات وخصوصاً فيتامين «د» وفيتامين«س» وبعض العناصر الغذائية مثل الكالسيوم والماغنسيوم، كذلك فإن من اهم طرق الوقاية منها هو تجنب القيام باعمال عنيفة كحمل او دفع اشياء ثقيلة في اوضاع خاطئة حيث يقع معظم الثقل المحمول على العمود الفقري والغضاريف، وينبغي ملاحظة الأوضاع الصحية السليمة عند الوقوف والجلوس والنوم وقيادة السيارة.
والطريقة الصحيحة لرفع اي ثقل هي النزول بقدر الإمكان على الركبتين ورفع الشيء من الوضع شبه الجالس بحيث يكون الظهر مستقيماً ولايوجد اعوجاج في العمود الفقري في أي من مراحل حمل الثقل، والوضع الصحيح للوقوف هو الاعتدال مع رفع الرأس باستقامة الجسم والنظر إلى الامام.
اما المشي فيكون مع رفع القامة ووضع كل ثقل الجسم على الكعبين مع تحاشي لبس الكعب العالي، اما بالنسبة للنوم فيكون على فراش متين مع بعض الألواح الخشبية.
واثناء قيادة السيارة يجب ان يكون المقعد متيناً مع استخدام وسائد خاصة مساعدة على الكرسي والجلوس بالقرب من عجلة القيادة مع ثني الركبتين.
وفي السفر الطويل فإنه يجب الوقوف كل ساعة او ساعتين للمشي قليلاً ومساعدة عضلات الساقين على الارتخاء. ■



الالسكو تعلن عن جائزتها التقديرية للثقافة

أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن فتح باب الترشيح للحصول على جائزتها التقديرية للثقافة العربية التي سيكون مجالها الفكر العربي ومرتكزاته الثقافية وتقول المصادر ان المنظمة قد حددت في بيان لها في هذا الخصوص انه يمكن لاي مفكر عربي ان يتقدم بترشيح نفسه لنيلها أو ان تتقدم الجمعيات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات والمجامع العلمية واللغوية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات والمنظمات الثقافية والعلمية كالاتحادات والجمعيات والهيئات بترشيح من تراه مستحقاً لها واشترطت المنظمة ان تكون الاعمال المشارك بها متميزة بالاصالة، وتشكل إسهاما فعلياً في إغناء الفكر القومي ومرتكزاته الثقافية ،وان تكون في مجموعها محققة للقيم الإنسانية وموافقة لرسالة المنظمة وميثاق الوحدة الثقافية العربية محددة الأول من شهر اكتوبر القادم آخر موعد لاستلام الأعمال المرشحة، واوضحت ان قيمة الجائزة تبلغ ٥٢ ألف دولار أمريكي. وتسلم نقدا كمكافأة بالاضافة الى درع يحمل شعار المنظمة وسنة منح الجائزة.

ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم

عن دار التوزيع والنشر الاسلامية صدرت ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم وذلك بعد موافقة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف ويقول د. أحمد زيدان صاحب الترجمة انه راعى الدقة والامانة في نقل معاني القرآن الكريم الى الانكليزية وكذلك اطلع على ترجمات سابقيه وراعى التجديد في ترجمته، فللمرة الاولى تشترك في الترجمة انكليزية ولدت وأقامت في بلد من البلاد المترجم اليها وهذا يحقق لها استيعاب وفهم المفردات المناسبة للمعاني المترجمة وهي تجيد اللغة العربية- زوجة د. أحمد زيدان د. دينا الزهراء زيدان- هذا فضلا عن اجادة د. زيدان- استاذ العلاقات الدولية في جنيف للانكليزية.

جاءت الترجمة بعدد صفحات المصحف العثماني- ٦٠٤صفحات- واحتفظت الآيات القرآنية باطار خاص بها ويميز بكل صفحة كي لاتتداخل مع الترجمة، ثم جاءت كلمات المترجم متساوية مع الآيات فلا تنتهي الصفحة الا ومعها ترجمة معانيها وألحق المترجم بالترجمة معاني المفردات التي قد تغمض على المطالع لها ثم شرحا لأسماء الله الحسنى، وحرص على ان يكونا منفصلين عن الترجمة. وقال ان ذلك كفيل بتحديد صورة كلمات الله في ذهن المترجم لهم فلا تتداخل لديهم المفاهيم دون ان يقصد المترجم كما كان يحدث من مقبل.

الإعلام الإسلامي النظري في الميزان

اصدرت مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض كتاب «الاعلام الاسلامي النظري في الميزان» تأليف الدكتور سعيد اسماعيل صيني.. والذي يبحث في سبعة عشر فصلا المشكلة التي يعاني منها المسلمون اليوم على اختلاف طبقاتهم وهي اتقان القاء اللوم كله على الآخرين، واحجامهم عن محاسبة انفسهم اذ يوجه بعض الاعلاميين نقدا شديدا الى الممارسات الاعلامية على الساحة من خلال كتاباتهم في مجال التأصيل الاسلامي للاعلام، وفي المقابل يوجه بعض العاملين المخلصين نقدا لمن لايقدمون في مجال التأصيل الا النقد لجهود العاملين دون تقديم شيء مفيد حتي على المستوى التنظيري يسهم في تغيير الوضع الراهن ،ويحث المؤلف على ان تعمل كل مجموعة لديها شيء يحتاج اليه المسلمون على تقويم مجهوداتها من وقت الى آخر وبعبارة اخرى علينا محاسبة انفسنا اولا قبل محاسبة الآخرين وذلك حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى﴿اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ وانطلاقا من مبدأ تقويم الذات ومحاسبتها جاءت فكرة هذه الدراسة التي تهدف الي تقويم جهودنا نحن الذين نحاول جادين في تأصيل الإعلام اسلاميا على المستوى النظري.

وتهدف هذه الدراسة الى الاجابة عن السؤال: مانوعية الكتابات التي انتجتها السنوات الخمس والعشرون الماضية في مجال الإعلام الإسلامي في المستوى النظري؟

لاتهدف الدراسة الى تقويم كل عمل على حدة، ولكنها تهدف ايضا الى التعرف على السمة العامة لهذه الاسهامات. يقع الكتاب في ٦٠٦ صفحات من القطع المتوسط.

٢٠ مليون جنيه استرليني لمركز الدراسات في بريطانيا

تبرع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بمبلغ عشرين مليون جنيه استرليني لمركز الدراسات الإسلامية في جامعة اكسفورد البريطانية، كما تبرع الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني والأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام للمركز بمنحتين على غرار المنحة المقدمة من الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا.

صدر حديثاً

مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية

مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع. كتاب جديد لفضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو المدّرس في دار الحديث الخيرية في مكة المكرمة. المجموعة تقع في ثلاثة اجزاء واحتوت على اكثر من ٦٧١ رسالة شملت مسائل مهمة في اركان الإسلام والايمان والعقيدة الإسلامية ومنهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وقطوفاً من الشمائل المحمدية ومن بدائع القصص النبوي الصحيح والتربية الاسلامية وأخطاء شائعة يجب تصحيحها في ضوء الكتاب والسنة، وكيف نفهم التوسل، وعدداً من القضايا والمسائل التي تهم الفرد والاسرة المسلمة . المجموعة بأجزائها الثلاثة تقع في حوالي ١٤٣٣ صفحة وهي من اصدارات دار الصميعي للنشر في الرياض في المملكة العربية السعودية.

معجم البابطين للشعراء الراحلين في مطلع القرن الحادي والعشرين

بدعوة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عقد في الكويت اجتماع الهيئة الاستشارية لمعجم البابطين للشعراء العرب في العصر الحديث الذي يغطي سير الشعراء العرب الراحلين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حيث يقدم تراجم وافية عنهم ومختارات من أشعارهم والمشروع مكمل لمعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين الأحياء الذي قدم تراجم ونماذج من اشعار ١٦٤٥ شاعراً عربياً والهيئة مكونة من عبد العزيز سعود البابطين والدكتور محمد عبد الرحيم كافود وزير التربية والتعليم والثقافة القطري ود. احمد مختار عمر ود. سليمان الشطي ود. عز الدين اسماعيل وعبد العزيز السريع ود. عبد الملك مرتاض ود. محي الدين صبحي وقد نظرت الهيئة في جدول اعمال تركزت بنوده على وضع خطة تنفيذ المعجم والوسائل الكفيلة بانجازه بالدقة المطلوبة والجدول الزمني للانجاز لكل مرحلة من مراحل العمل الذي قد يمتد لأربع سنوات حيث من المتوقع صدور المعجم مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي.

مجموعة الفتاوى (٢)

صدر عن إدارة الافتاء في وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت الجزء الثاني من كتاب مجموعة الفتاوى الشرعية الذي يحتوي على الفتاوى الصادرة عن لجنة الفتوى في الوزارة من العام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م الى العام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ويشتمل هذا الجزء على الكتب الفقهية التالية:
الأحوال الشخصية، الجنايات والحدود، الحظر والاباحة، السياسة الشرعية ،الطب .وكان الجزء الاول من مجموعة الفتاوى قد صدر سابقاً ويحتوي على الكتب الفقهية التالية: العقائد والعبادات، المعاملات. اضافة الى مقدمة تتضمن نبذة عن تطور الافتاء في الكويت واشهر رجالاته وتراجم لكل من شارك في لجنة الفتوى، وتشكيلات لجان الفتوى، كما تضمن بحثاً مهماً في التعريف بالفتوى وشروط المفتي.

أخبار ثقافية

● وافقت إدارة البحوث والنشر في الازهر على طبع ونشر كتاب «ترجمة معاني» القرآن الكريم وتفسيره الى اللغة الروسية للأديبة الروسية المسلمة ايمان فاليريا بورخوفا والدكتور محمد الرشد ورحب الأزهر بهذه الترجمة التي تخلو من أي أخطاء في الترجمة أو في نقل المعلومات الإسلامية.

● اصدرت مؤسسة «اقرأ» التعليمية الخيرية في الولايات المتحدة الامريكية مئة كتاب اسلامي تعليمي للاطفال باللغة الانكليزية وهذه الكتب تشمل تعليم الاطفال العبادات ومبادىء الإسلام ،ومكارم الاخلاق واللغة العربية، والقرآن الكريم، والعقيدة، والسيرة ،وتاريخ الخلفاء الراشدين..

● صدر الجزء ٣٦ من الموسوعة الفقهية التي تصدرها وزارة الأوقاف الكويتية

● صدر في ألمانيا كتاب بعنوان« الشيوخ على الراين وخطر المسلمين على أوروبا» للكاتب الألماني «كلاوس شولتز» أورد فيه الكثير من الاكاذيب والافتراءات ضد العقيدة الإسلامية والمسلمين ووضعهم في أوروبا وقد أثبتت الدوائر الصحية في ألمانيا ان الكاتب مدمن على شرب الخمر وعقدت ندوة فندت فيها ادعاءات الكاتب ضد الاسلام والمسلمين.

● يعقد في القاهرة خلال شهر يوليو ٨ ربيع الأول ١٤١٨هـ تحت اشراف المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية مؤتمر عالمي تحت عنوان« الاسلام والغرب- الماضي والحاضر والمستقبل» وسيشارك في المؤتمر وزراء اوقاف الدول الاسلامية ومندوبون عن اكثر من ٧٠ دولة وعدد من العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي ومن الغرب.

● يعقد في العاصمة التانزانية دار السلام خلال شهر يوليو الجاري الاسبوع الثقافي الاسلامي العالمي برعاية الرئيس الزنجباري ومشاركة عدد من الجمعيات والمنظمات الاسلامية في العالم.

حديقة الوعي

اعداد التحرير

قال تعالى:

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) البقرة ـ ٨٦.

طريق العلا

طــريـق العـــلا دائما لــــلأمـــام
فـــويلك هل تـــرجع القهقـــرى
وكـل البريّــــــة في يقظـــــة
فـــــويل لمن يستطيب الكــــرى

حيلة طفيلي

مـرَّ أحـد الطفيليين بعــرس، وسمع الصخب والصياح والضوضـاء والتقطت أذنه أصوات الأطباق والأقداح والأشياء، فأراد الدخول فلم يقـدر، فـذهب إلى بقال قـريب، ورهن خـاتمه عنـده على عشرة أقداح عسـلاً، وجاء إلى بـاب العرس فقال: يا بواب افتح لي. فقال البواب من أنت؟ وماذا تبغي؟ وعمن تسأل؟ قال: أراك لم تعرفني! قال: لم أرك ولم أعرفك، قال: أنا الذي أرسلني أهل البيت لأشتري لهم عسلاً.
ففتح له البواب الباب.. فدخل وأكل وشرب مع القوم حتى ارتوى، فلما فرغ أخذ الأقداح فقال للبواب: افتح لي، إنهم يريـدون عسلاً خالصاً، فدعني أخرج حتى أردّ هـذه الأقداح، فأذن له ثم ذهب إلى البقـال فردّها واسترجـع خاتمه، وقد ملأ بطنه بهذه الحيلة.

صفات علي بن أبي طالب

قال معاوية لضرار الصدائي: يـا ضرار صف لي علياً؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتصفنّه. فقـال: أما إذا أذنت لي فلا بـدّ من صفته، كان والله بعيد المدى شديـد القوى، يقـول فصـلاً، ويحكم عـدلاً، يتفجر العلـم من جوانبـه، وتنطق الحكمـة من نـواحيـه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلِّب كفّه، ويخاطـب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومـن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يُعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في بـاطله، ولا ييئس الضعيف من عدله، وأشهـد لقد رأيته في بعض مواقفـه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقل مَثُل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيـا غرّي غيري، أبي تعرضتِ، أم إليّ تشوقتِ، هيهات هيهـات قد باينتك ثلاثـاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطـرك حقير، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق.
فبكى معاوية حتى اخضلت لحيتـه، وقال: رحم الله أبا الحسن، فلقـد كان كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذُبِحَ واحدُها في حِجْرِها.

تهذيب النفس

يـــــا أيها الـــــرجل المعلـم غيره
هـــــلا لنفسك كـــــان ذا التعليم
تصف الـدواء لـذي السقـام وذي الضنى
كيما يصـح بـــــه وأنـت سقيـم
فـــابـدأ بنفسك فـــانهـهـا عن غيّهـا
فـــإذا انتهت عنــــه فـــأنت حكيـم
فهنـــاك يقبل مـــا تقــول ويهتـــدي
بـــــالقـــــول منك وينفـع التعليم
لا تنـــــه عـن خلق وتـأتي مثلـــــه
عـــــــار عليـك إذا فعلـت عظيـم

تربية

التربيـــة الحديثـــة هي التي تعهـــد النفس البشرية بما يكفل لها العيش السعيد والحياة الهانئـة، فهي السبيل إلى الانتظـــام في عقـد المجتمع في تعاون وائتـلاف ترتفع به حـالة الفرد وتزاد به قوة الأمة، فهي تشحذ الأفكار وتصقل العقـول، وتهذب العـادات، وتقـوّم الاتجاهـات، وتـرهف الإحسـاس، وتـوقظ الشعور، وتهذب الـوجدان، ونهضـات الأمم تقاس بما يتاح لها من آثـار التربية الناجحة في إعداد النفوس المدرّبـة والرؤوس المفكرة، والأيدي الماهرة، إنها عناصر القوة ومقومات الكفاح في معترك الحياة.

حكم

● قال أحد الحكماء:
إذا أراد الله بعبـد خيراً ألهمه الطـاعة وألـزمه القنـاعة وفقهـه في الدين وعضده باليقين فاكتفي بـالكاف واكتسي العفاف وإذا أراد به شراً حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنيـاه ووكله إلى هواه فركب الفسـاد وظلم العباد.
● من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ
● لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسـك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة
● من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة.
● أفضل المعروف إغاثة الملهوف.
● أربعـة تسـود العبد «أي تجعلـه سيـداً»: الأدب، والعلم، والصـدق، والأمانه.
●خمسة لا تتم إلا بخمسة:
لا يتم الحسب إلا بـالأدب ولا يتم الجمال إلا بـالحلاوة ولا يتم الفتى إلا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجراءة، ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق.

لغة: كلمة كافة

وأما ما يقع في كثير من كتب المصنفين من استعمالها مضافة، وبالتعريف كقولهم «هذا قول كافة العلماء» «وذهب الكافة»، فهو خطأ معدود في لحن العوام وتحريفهم والصواب لا تأتي مضافة ولا معرّفة.

«سافر في الطائرة» لا «خذ الطائرة»

ومن الأخطاء الحديثة الشائعة ما انتقل إلينا من الترجمات الحرفية عن الانكليزية كقولهم «خذ الطائرة» بدلاً من «سافر في الطائرة» أو اركب الطائرة، وشبيه به قولهم خذ وقتك بدلاً من تأنَّ أو تمهل.

استأذنه في كذا

يُقال استأذن منه، والصواب استأذنه في كذا، أي سأله الإِذْنَ وقد جاء في الآية ٨٦ من سورة التوبة (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم). أما استأذن على فلان أي طلب الإذن في الدخول عليه.

استمارة

يسمون المثال المطبوع الذي يتطلّب بيانات خاصة لإجازة أمر من الأمور استمارة والصَّواب: استئمارة كما وردت في المعجم الوسيط.

من أقوال الرسول

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد خفت «أي ضعف» فصار مثل الفرخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه» قال نعم. كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجّله لي في الدنيا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قال فدعا الله له فشفاه.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا يعضه «أي لا يرمي بالعضيهة، وهي البهتان والكذب» بعضنا بعضاً فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أتى منكم حداً فأقيم عليه فهو كفارته، ومن ستر الله عليه، فأمره إلى الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِمْ» الألد: «الشديد الخصومة الخَصِم الحاذق بالخصومة».

كلمة يونانية

الارستقراطية: كلمة يونانية مركبة من لفظين هما «ارستوي» أي العظماء، و«كراتوس» أي: السلطان، ثم استغلت لحكم العظماء والأغنياء، وهي كلمة طويلة ثقيلة.

ولا نستطيع استعمال كلمة «ارستقراطية» إلا بعد أن يوافق على ذلك أحد مجامع اللغة العربية ومجمع القاهرة، لم يذكرها في معجمه الوسيط، «والمعجم الكبير»، ولم يذكرها المحيط وأقرب الموارد ومتن اللغة وهي من المعاجم الحديثة.

رسالة إلى الشهداء الأبرار

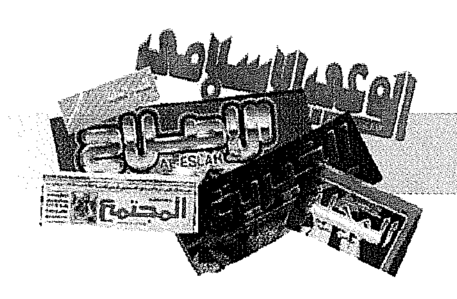
ناداهم الموت فاختاروه أغنية
خضراء ما مسّها عود ولا وتر
تقدّس المطر المجدول صاعقة
وزنبقاً يا شموخ الأرض يا مطر
لا تفلتي قبضة التاريخ من يدنا
أطفالك السمر يا صحراء قد كبروا
ريش على صهوات الريح فجّرها
بالمعجزات وريش راح ينتظر
قل للحضارات لن تُمحى بزوبعة
سوداء تطغى فتستعلي فتنكسر
قل للغزاة كأسلاف لكم، خبر
أنتم على أرضنا إن ننتفض خبر
لأننا وجذور الشمس في يدنا
نقاتل الحالك الباغي سننتصر

جزاء البخيل

اشتهر أحد الكتاب بالبخل حتى أصبح يفتخر به أمام أصدقائه ثم بدا له أن يؤلّف كتاباً في مدح البخل والبخلاء، فقضى في تأليفه زمناً طويلاً ثم قدّمه إلى أمير كريم عُرف بإكرام الكُتّاب مؤملاً أن يحظى منه بجائزة ثمينة، ومكافأة حسنة، فلما قرأه الأمير وعرف شأنه وفحواه كتب إلى المؤلف يقول: قرأت مؤلفك الثمين، فأعجبت به إعجاباً عظيماً لأنه يحبب البخل إلى الناس، ويزينه إليهم، فأنا أهنئك بهذا الكتاب، وأتمنى له رواجاً سريعاً، وكنت أردت أن أكافئك على هذا الجهد تقديراً لأتعابك، وتأميناً لمستقبلك، وتهيئة لإخراج أمثاله من الكتب، لكنني رأيت أن أتبع نصائحك الصائبة، فأقبض يدي عن العطاء لأنك مدحت البخل والبخلاء، ومن استرشد برأي الكتّاب والعلماء فقد سلك سبيل المتأدبين الذين يربؤون بأنفسهم عن الخطأ.

تقويم اللسان

النحو يصلح من لسان الألكن
والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلّها
فأجلّها منها مقيم الألسن



قالت الصحف العالمية

حزب الرفاه يخوض صراعا مريرا للبقاء



كشفت المؤسسة العلمانية في تركيا عن عزمها خوض صراع حتى النهاية مع الحكومة التي يقودها الإسلاميون، وذلك حينما وجه رئيس المحكمة العليا قائمة اتهامات يمكن أن تؤدي في النهاية إلى إغلاق مكاتب حزب الرفاه الإسلامي في البلاد.

وجاء هذا التحرك المفاجيء ضد الحزب المستمر في النشاط منذ ١٣ سنة في أعقاب فشل أحدث محاولة للمعارضة لحجب الثقة عن الائتلاف الحاكم المشكل من حزب الرفاه وحزب الطريق الصحيح المحافظ إذ كانت الحكومة قد نجحت في عملية التصويت لحجب الثقة عنها بفارق ستة أصوات، وهو أضيق هامش لها منذ وصولها إلى السلطة قبل عشرة أشهر. ويتوقع الدبلوماسيون الغربيون أن تشهد الحياة السياسية في تركيا محاولات أخرى لحجب الثقة واستمرارا للصراع داخل المؤسسة السياسية.

ويرى المراقبون أن الوضع السياسي المضطرب، والشجار الذي وقع في البرلمان واستعمل فيه المتخاصمون قبضات الأيدي، إضافة لتعرض ثلاثة أبنية صحفية رئيسية لهجمات مسلحة هذا الشهر، سيجعل الشركات الأجنبية متوترة أكثر، ومترددة في الاستثمار رغم عدم تراجع النمو الاقتصادي التركي كثيرا عما كان عليه في العام الماضي وهو ٧,٩٪.

غير أن المستثمرين المحليين حافظوا على هدوئهم، ويبدو أنهم اعتادوا على التعايش مع الأزمة السياسية المستمرة بدرجات متفاوتة منذ سبتمبر ١٩٩٥.

وفي هذا الإطار، قال ستيف بيرنهام مدير سماسرة الضمان في استنبول: لم يطرأ أي تغيير يذكر على سوق الأسهم، ومن الواضح أن المستثمرين يرون في ما يحدث مجرد مشهد آخر من المسرحية.

وأضاف: اعتقد أن الحكومة سوف تسقط في النهاية، لكن آمل ألا يحدث ذلك عن طريق العنف.

والحقيقة أن المزاعم الموجهة ضد حزب الرفاه، والتي استهلكت ١٨ صفحة، ليست سوى قائمة طويلة من الاتهامات وجهتها المؤسسات العلمانية للحزب وهي: الجيش ووسائل الإعلام والصحافة التجارية والبيروقراطية التي هيمنت على الرأي العام منذ تأسيس تركيا في عام ١٩٢٣م على أنقاض الامبراطورية العثمانية والخلافة الإسلامية.

رئيس المحكمة العليا القاضي سافاس فورال، الذي كان متوترا ومنفعلا، تحدث في مؤتمر صحفي قائلا: لقد رفعنا هذه الدعوى ضد الحزب لأن الرفاه يريد تغيير الدستور، ولأنه مناهض للعلمانية، ولأنه يجر البلاد بسرعة نحو الحرب الأهلية، وانتهى فورال إلى القول: لكننا مصممون على حماية نظامنا.

بيد أن ما أدهش المراقبين في هذه القضية كان نجم الدين أربكان رئيس حزب الرفاه ورئيس الحكومة، الذي احتفظ بهدوئه ورباطة جأشه، وقلل من أهمية الاتهامات التي وجهها فورال، ويعتقد الكثير من هؤلاء المراقبين أن أربكان يرحب بهذا التوتر السياسي كوسيلة لتعزيز شعبيته، كما أن القضية التي رفعتها المحكمة العليا ضده يمكن أن تكون في النهاية سيفاً ذا حدين.

إذ إن الإجراءات القانونية يمكن أن تستغرق ستة أشهر، الأمر الذي يوفر للحزب متسعا من الوقت لتشكيل حزب آخر يحول إليه أعضاءه وموارده. إلا أن الأكثر أهمية من هذا– برأي المعلقين السياسيين– وقوع المؤسسة العلمانية مرة أخرى في فخ تلميع صورة الحزب وإظهاره بمظهر الحزب الذي يواجه الاضطهاد دون وجه حق.

وحول هذه النقطة، يقول محمد أوكاكتان رئيس تحرير صحيفة «يني صفاك» الموالية للإسلاميين: يتعين الحكم على حزب الرفاه من خلال سجله في الحكومة ومعالجته للاقتصاد بدلاً من تحويله إلى شهيد فهو بهذه الطريق كسب أصوات الناخبين في المقام الأول.

والمعروف أن حزب الرفاه حصل على ٢١,٣٪ من الأصوات في انتخابات ديسمبر ١٩٩٥م، أي أكثر من أي حزب علماني في النظام السياسي الممزق في تركيا.

ويعرب معظم الدبلوماسيين الغربيين عن اعتقادهم أن الحزب يستطيع الآن أن يحصل طبقا لعمليات استطلاع الآراء، على أصوات أكثر من أي حزب آخر إذا نفذ تهديده، ودعا لعقد انتخابات مبكرة في وقت لاحق من هذه السنة، هذا إذا بقي مشروعا، ولم يجر إغلاق مكاتبه ووقفه عن النشاط.

هل يستطيع خاتمي تحقيق التغيير المطلوب؟

الانتصار الساحق الذي حققه رجل الدين الذي يقال عنه انه معتدل محمد خاتمي في الانتخابات الرئاسية في ايران، ولّد فرحة غامرة في اوساط الشباب والطبقات المهنية الايرانية. فقد اسهمت اصواتهم في اعطاء خاتمي هامش فوز بنسبة ثلاثة الى واحد على منافسه المحافظ المعادي للغرب علي اكبر ناطق نوري الذي شن كرئيس للبرلمان حملة ضد الزي الغربي، ووضع مسودة قانون لمنع اطباق الستلايت، وطهر الجامعات الايرانية في العام الماضي من آلاف المدرسين الذين يشتبه في انهم يحملون مشاعر ليبرالية او مؤيدة للغرب.

لقد ولد اغلب سكان ايران البالغ عددهم ٦٠ مليونا بعد ثورة ١٩٧٨-١٩٧٩ ومن الجلي انهم يشعرون بالسأم من المناخ الاجتماعي الخانق الذي يفرضه رجال الدين. وهذه هي الرسالة الاساسية لهذه الانتخابات .فقد صوت الشعب الايراني لصالح حرية اكبر وحكومة اكثر عقلانية.

والمدهش ان الحكومة سمحت بحدوث تلك الانتخابات فالحقيقة انه لم يكن يفترض بها ان تكون انتخابات حقيقية. فكما في الانتخابات السابقة اختارت النخبة الحاكمة مرشحها سلفا، وهو ناطق نوري، ووجهت اجهزة الاعلام التي تديرها الدولة كي تدعمه، وجرى تصوير ناطق نوري في كل مناسبة على انه رجل دولة، حيث كان يفتتح المصانع، ويدشن السدود ويسافر الى روسيا والهند بينما كان خاتمي يتعرض عمليا للتجاهل. ومن بين ٢٣٨ شخصا تقدموا بطلبات ترشيح «ومنهم تسع نساء» لم يسمح في النهاية سوى لاربعة مرشحين بخوض الانتخابات من جانب مجلس الاوصياء وهو مجموعة من ستة رجال دين وستة رجال آخرين مختارين من قبل زعماء البلاد.. وفي الماضي كان ذلك يسمح للمجلس بأن يختار ليس رئيس الجمهورية فقط بل يختار مسبقا معظم اعضاء البرلمان البالغ عددهم ٢٧٠ عضوا.

وقد سمح لخاتمي بخوض الانتخابات باعتباره وزير ثقافة سابق وعضو في النخبة الحاكمة. ولكن حرصا منها على ضمان عدم نجاح ترشيحه شنت الزعامة حملة ضده في اجهزة الاعلام الوطنية واصفة اياه بانه ليبرالي، وهي صفة مهينة في الجمهورية الاسلامية اكثر منها في امريكا اليوم.

وعندما اخفق ذلك في اخماد حملة خاتمي من اجل التغيير، حاول الانصار المتشددون للمرشح الخاسر، الذين يعرفون بأنصار حزب الله تخريب الحملة وقاموا بتحطيم النوافذ في المساجد التي كان خاتمي يعقد فيها اجتماعاته الانتخابية، ولكن هدوء اعصاب خاتمي منع حدوث مزيد من العنف من جانب هذه العناصر الذي كان يمكن ان يتحول الى صدامات واسعة النطاق في ارجاء البلاد وان يؤدي الى الغاء الانتخابات، ولكن بدا في النهاية ان النظام خضع وسمح للانتخابات بالمضي قدما، وهو يعلم ان مرشحه المفضل سيخسر.

وفي آخر تدخل من جانبه قبل الانتخابات حذر الزعيم الروحي علي خامنئي المسؤولين من تزوير الانتخابات وذلك في خطوة اعتبرها كثير من الايرانيين اعترافا ضمنيا بالهزيمة.

ويقول ناشر ايراني منفي في لندن ذو اتجاهات يسارية:« لقد اظهرت هذه الانتخابات ان المجتمع المدني في ايران هو اقوى مما كان يتوقعه الجميع. ولهذا السبب اخطأ المحللون الاجانب والمنفيون في توقع نتيجة الانتخابات ويمكن لهذا المجتمع المدني ان يشكل ثقلا مقابلا لثقل النخبة الحاكمة».

والسؤال الآن هو ماذا كان خاتمي قادرا على احداث التغيير الذي يرغب فيه الناخبون الايرانيون؟كثير من الايرانيين داخل البلاد لا يعتقدون ذلك. اذ قالت طالبة في جامعة طهران:«نحن لسنا مهتمين كثيرا بهذه الانتخابات، فهي لاتشكل فارقا كبيرا بالنسبة لنا، صحيح ان خاتمي افضل من نوري، ولكنه فارق بين السيء والأسوأ» واضافت ان ايا منهما لن يفعل شيئا لالغاء القيود الصارمة على الزي التي تطالب المرأة بارتداء ملابس طويلة سوداء واغطية ثقيلة على الرأس تغطي شعورهن.

اضافة الى ذلك ستكون لخاتمي صلاحيات قليلة كرئيس وسيسمح له نظريا بتسمية اعضاء الحكومة، ولكن البرلمان الذي سيبقى برئاسة ناطق نوري يستطيع رفض ترشيحات الوزراء وطردهم في ما بعد اذا لم يكن راضيا عن قراراتهم. وعلي خاتمي ان يرجع الى الزعيم الروحي علي خامنئي، الذي اوضح انه لايفكر في تغيير السياسة الخارجية المعادية لامريكا او دعم ايران لـ« المناضلين» في لبنان واسرائيل الذين يواصلون شن هجمات «ارهابية» ضد المدنيين الاسرائيليين. كما ان على خاتمي ان يكون مسؤولا امام الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني الذي عينه خامنئي في الشهر الماضي رئيسا لمجلس خاص يعرف باسم «مجلس النفع العام» الذي يمكنه نقض القرارات الرئاسية والقوانين التي يقرها البرلمان اذا ما اعتبرت منافية لمصلحة الثورة الاسلامية.

لقد اثار انتخاب خاتمي بعض رجال الاعمال الغربيين الذين يتوقعون نهاية للعقوبات الامريكية ضد ايران. وتهدف هذه العقوبات الى منع الجمهورية الاسلامية من الوصول الى التكنولوجيا الغربية المتقدمة التي استخدمتها لتعزيز برامج تسلحها بالصواريخ الباليستية وبالاسلحة النووية والكيميائية والجرثومية. كما تهدف الى الحد من قدرة طهران على اعادة بناء صناعتها النفطية لانها تشكل المصدر الرئيسي للعملة الصعبة. ولاتتدخل هذه العقوبات في استيراد المواد الغذائية والادوية والسلع الاستهلاكية لانها موجهة بصفة محددة ضد النظام وليست ضد الشعب الايراني.

ويتعين على الولايات المتحدة والغرب ان يلقيا نظرة طويلة ومتفحصة على سجل خاتمي السياسي ووعوده الانتخابية وان يضعا هذه الانتخابات في منظور صحيح وعلينا اكثر من اي شيء ان نراقب اعمال خاتمي بعد ان يتسلم منصبه . وعلى خاتمي ان يظهر التزامه وقدرته على فرض تغييرات مهمة في سلوك الحكومة بما في ذلك انهاء تدريب وتمويل«الارهابيين» الاجانب وتفكيك جهاز الامن القمعي في البلاد المسؤول عن قتل عشرات الآلاف من المنشقين الايرانيين، وفي الوقت نفسه، على الغرب ألا يتمسك بالقش وألا يخطىء فهم آمال اللوبي النفطي على انها تغيير ديمقراطي حقيقي في ايران.



منظمة الصحة: التبغ يهدد ثلث سكان العالم

اصدر المكتب الاقليمي للشرق الاوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية ملفا اعلاميا بمناسبة «اليوم العالمي للامتناع عن التدخين» الذي يصادف يوم ٣١/٥ من كل عام وتقوم منظمة الصحة العالمية عادة بنشاطات متعددة الوجوه في هذا اليوم تحت شعار يقول «معاً نحو عالم متحرر من التدخين» وتصدرت الملف كلمة هيروشيمي ناكاجيما المدير العام للمنظمة وجاء فيها : مرت اربعة عقود او يزيد منذ ان اصبحت اخطار استخدام التبغ معروفة للانسانية. ومنذ منتصف القرن العشرين قتلت منتجات التبغ اكثر من ٦٠ مليونا في الدول المتقدمة وحدها. واشار ناكاجيما الى ان منتجات التبغ ستؤدي الى قتل عشرة ملايين شخص خلال العقود الثلاثة المقبلة ٧٠ في المئة منهم في الدول النامية وذلك ما لم تحدث تغييرات جذرية للحد من استهلاك التبغ.

وتشير التقديرات الحالية الى ان التبغ يتسبب سنويا في اكثر من ثلاثة ملايين حالة وفاة وان هناك نحو مليار ومئة مليون من المدخنين في العالم اي حوالي ثلث سكان العالم ممن هم فوق الخامسة عشرة من العمر، بمعدل ٤٧ في المئة للرجال و١٢ في المئة للنساء وحسب مصادر منظمة الصحة العالمية فإن ٤٨ في المئة من الرجال مقابل ٧ في المئة من النساء يدخنون في الدول النامية بينما تبلغ نسبة الرجال المدخنين ٤٢ في المئة مقابل ٢٤ في المئة من النساء المدخنات في الدول المتقدمة ويعتبر التدخين سببا معروفا او محتملا للوفاة بالامراض التالية: سرطان الفم، والحنجرة، والرئة، والمريء، والمثانة، والبنكرياس، والحويضة «حوض الكلى» والمعدة وعنق الرحم كما يتسبب بأمراض القلب والسكتة الدماغية، والامراض الوعائية المحيطة، وامراض الرئة الانداديه المزمنة، وغيرها من امراض الجهاز التنفسي وانخفاض وزن الوليد.

حكومة العمال توافق على دعم مدارس إسلامية

وافق رئيس وزراء الحكومة البريطانية الجديدة على دعم اول مدرسة اسلامية في بريطانيا، الامر الذي يمهد لمرحلة انفراج في العلاقة بين الجالية الاسلامية وحكومة العمال. وكانت حكومة المحافظين السابقة رفضت عدة طلبات تقدمت بها مدارس اسلامية لنيل الدعم الاختياري من وزارة التعليم أسوة بالمدارس «المسيحية» واليهودية واخيرا اجتازت مدرسة ثانوية للبنات المسلمات في مدينة «برادفورد» حيث توجد جالية اسلامية كبيرة جميع الاختبارات المطلوبة لنيل الدعم الحكومي. المدرّسة تقدمت بطلب إبان حكومة المحافظين لكنه قوبل بالرفض رغم التزامها بمناهج التعليم الرسمية، مضافا إليها تدريس الدين الإسلامي واللغتين العربية والاوردو. ويقال إن الحكومة وافقت ايضا على مدرستين اعداديتين في «لندن وبرمنجهام» ويوجد في بريطانيا نحو ٦٠ مدرسة اسلامية تسعى كلها لنيل الاعتراف الرسمي بها. حزب العمال تعهد في دعايته الانتخابية بمراجعة قضية التعليم الاسلامي. وقال وزير الداخلية «جاك سترو» انه متفهم لمطالب المسلمين في بريطانيا، كونه يمثل منطقة تعيش فيها اغلبية إسلامية.

أعياد المسلمين عطلة رسمية في اميركا

اقرت نيويورك (اميركا) لأول مرة منح عطلة رسمية للتلاميذ المسلمين في المدارس الحكومية في اول ايام عيد الفطر المبارك واول ايام عيد الاضحى. وقد وافق مجلس التعليم على قرار بهذا الشأن في المحكمة الفيدرالية. ووافق المجلس على رفع رسم الهلال كتعبير اسلامي في المدارس الحكومية في شهر يناير من كل عام، علما بانه لم يكن مسموحاً في السابق بالعطل الرسمية في المناسبات الدينية إلا لابناء الديانتين النصرانية واليهودية.

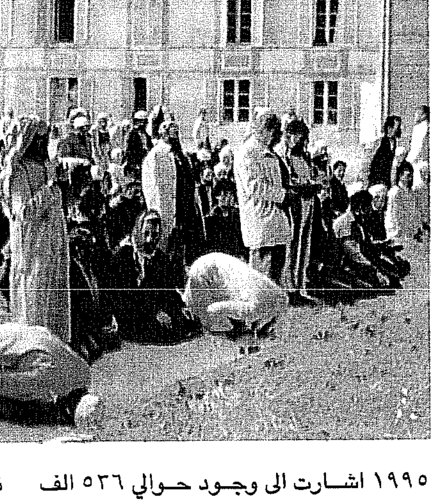
جاء القرار بعد مساع جدّية من المجالس الاسلامية في نيويورك، والتي طالبت ايضا ابناء الجالية الاسلامية بالتعبير عن اعيادهم بشكل واضح في منازلهم وأماكن عملهم.

انتشار يومي للإسلام في أوروبا

أكد السفير الالماني السابق الدكتور مراد هوفمان ان الاسلام حاليا هو الديانة الثانية في اوروبا وامريكا. وقال ان هناك اقبالا يوميا من الباحثين لمعرفة الدين الحق لاعتناقه. جاء ذلك في محاضرة القاها في ولاية «نيوجرسي» عن خلاصة تجربته في الدعوة الاسلامية منذ اشهار اسلامه في الثمانينات. المعروف ان هوفمان سياسي محنك وحامل للكتوراه في الحقوق والشريعة من جامعة «ميونيخ» الالمانية وصاحب عدة مؤلفات اسلامية، و من ابرز ما أشار إليه في محاضرته الدعوة بالتي هي احسن وعدم اللجوء الى الاكراه او العنف وذلك حتى يتم تقديم رسالة الاسلام بصورة مثالية تحظى بإعجاب العالم المتعطش لمثل هذه الرسالة الخالدة التي جعلها الله عز وجل خاتمة الرسالات.

وقال إن التطورات التقنية العصرية وسهولة الاتصالات والمواصلات فرصة رائعة للدعاة، الذين يجب ان يتحلوا بالصبر وأن يكونوا نماذج تحتذي بسلوكهم وتصرفاتهم، لأن شخصية الداعية لها الاثر الاكبر في نشر الرسالة.

مؤسسة مسيحية تؤكد سرعة انتشار الإسلام في بريطانيا



ذكرت دراسة نشرتها صحيفة صنداي تايمز اللندنية ان عدد المسلمين المتدينين في بريطانيا سيفوق عدد المسيحيين من اتباع الكنيسة الانغليكانية وهي الديانة الرئيسية في بريطانيا وذلك بحلول العام ٢٠٠٣ وجاء في الدراسة ان عدد المسلمين المتدينين سيشهد زيادة تقدر بحوالي اربعة آلاف مسلم مقارنة بالمسيحيين الذين يترددون على الكنيسة بحلول العام ٢٠٠٢ وتوقعت الدراسة حدوث زيادة مستمرة في عدد المسلمين المتدينين وانخفاضا في عدد المسيحيين الذين يترددون على الكنيسة لحضور القداس الكنائسي.

كما انه من المتوقع ان يرتفع عدد المساجد في بريطانيا الى نحو مئة مسجد خلال السنوات الثماني المقبلة.

ونقلت الصحيفة عن المدير التنفيذي لمؤسسة الابحاث المسيحية التي قامت باجراء الدراسة «بيتر بريرلي قوله ان هذه الارقام تسلط الضوء على مدى قوة الاسلام الذي يعتبر اكثر واسرع الاديان انتشارا في العالم واكد بريرلي ان الرابطة المسلمة تعتبر اكثر وعيا بأمور دينها وبالدور الذي يلعبه هذا الدين في اوساط المجتمع الاسلامي.

يذكر ان آخر الاحصاءات المتعلقة بهذا الصدد والتي يرجع تاريخ نشرها الى العام ١٩٩٥ اشارت الى وجود حوالي ٥٣٦ الف مسلم متدين في بريطانيا مقارنة بحوالي ٨٥٤ الف مسيحي متدين من أتباع الكنيسة الانغليكانية.

وجاء في تلك الاحصاءات ايضا انه في الوقت الذي بلغ فيه عدد المسلمين المترددين على المساجد اكثر من ٣٢ ألف مسلم سنويا في الفترة مابين الاعوام ١٩٩٢الى ١٩٩٤ فان عدد المترددين على الكنائس شهد انخفاضا نحو ١٤ الف مسيحي سنويا.

وقالت الدراسة ان عدد المسلمين المتدينين سيبلغ نحو ٧٦٠ الف مسلم بحلول العام ٢٠٠٢ في حين ان عدد المسيحيين من اتباع الكنيسة الانغليكانية سيبلغ ٧٥٦ الف مسيحي.

يشار الى ان عدد المسلمين في بريطانيا يبلغ نحو ١,٥ مليون شخص أغلبهم ينتمون الى الهند وباكستان وبنغلاديش.

«المستثمر الدولي» و«بنك بكتي أندسي» السويسري يؤسسان شركة خدمات مالية إسلامية

وقعت شركة المستثمر الدولي وبنك بكتي اند سي السويسري اتفاقية تفاهم لانشاء شركة خدمات مالية اسلامية لتقديم خدمات إدارة المحافظ المالية الى الزبائن الذين يرغبون باستثمار اموالهم حسب الشريعة الإسلامية وتم الاتفاق على اتخاذ مدينة جنيف مقراً لتلك الشركة.

وتعتبر هذه الاتفاقية الجديدة واحدة من مجموعة نشاطات انطلق بها «المستثمر الدولي» لتعزيز موقعه في الخارج ونشر خدماته التي تلتزم بتعاليم الشريعة الاسلامية حيث بدأ انطلاقته الخارجية عام ١٩٩٣ بفتح مكتب تمثيلي له في لندن كما ابرم مجموعة من الاتفاقات التمويلية الاسلامية لنشاطات شركات اجنبية تعمل في منطقة الخليج واخرى في دول اسيوية. عدا عن الاتفاقات الكثيرة التي ابرمها لتمويلات اسلامية محلية «كويتية» وغيرها من النشاطات الاستثمارية.

اما بنك «بكتي اند سي» الذي ابرمت معه اتفاقية انشاء شركة خدمات اسلامية فهو احد اقدم ٥ بنوك في العالم، حيث تأسس عام ١٨٠٥ ويعتبر بنكا رائداً في السوق العالمية المتخصص بتقديم الخدمات المالية الخاصة. ويتوخى البنك من اتفاقيته هذه توسيع خدماته لتتضمن شريحة معينة مهمة ومتزايدة من العملاء معتمداً في ذلك على خبرة «المستثمر الدولي» في تطوير المنتجات الاستثمارية الإسلامية اما بالنسبة للمستثمر الدولي فتعتبر هذه الاتفاقية حجر زاوية في شبكة تحالفاته الاستراتيجية العالمية. والتي اوضح انه سيدخل لاحقا في اتفاقية مماثلة مع مؤسسات مالية اخرى إقليمياً وعالمياً.

نافذة على العالم

(٤٠٠) مليون دولار حجم سوق الإعلام والإعلان في الكويت

يقام في الفترة من ١٥-١٩ ديسمبر معرض «كويت ميديا» على ارض المعارض الدولية في الكويت يشارك فيه جميع الشركات والمؤسسات العاملة بقطاع الاعلام والاعلان من طباعة ونشر وتصميم وانتاج تلفزيوني وسينمائي ومحطات ارسال تلفزيونية. وبرامج كمبيوتر تتعلق بالتصميم والاعلان والإعلام ووكالات الانباء وبنوك المعلومات وغيرها من الشركات والجهات المعنية.

وقال رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة معرض الكويت الدولي وهي الجهة المنظمة للمعرض محمد احمد الغربللي ان هدف المعرض ابراز الاطار العام لسوق الاعلام والاعلان في الكويت والذي قدره الخبراء باكثر من «٤٠٠» مليون دولار خلال العام ١٩٩٦.

شيخ الازهر يؤيد الإعدام لبائعي الاراضي

اكد شيخ الازهر د/محمد سيد طنطاوي ان الفلسطينيين الذين يبيعون لإسرائيل الاراضي يرتكبون «جريمة عظمى».

وقال في تصريح له انه يؤيد تطبيق عقوبة الاعدام على الفلسطينيين الذين يبيعون اراضيهم لليهود.

وكانت السلطة الفلسطينية قد اتهمت بائعي الاراضي رسميا بـ «الخونة» واعتقلت في الآونة الاخيرة ١٢ متهما، علما بأن تاجرين منهم وجدا مقتولين في ظروف غامضة.



● شيخ الازهر

سري لانكا تحصل على ١٠٣ ملايين دولار معونة من الكويت

ذكرت صحيفة «ديلي نيوز» الرسمية السري لانكية ان الحكومة الكويتية وافقت على منح سري لانكا معونة مقدارها ١٠٣ ملايين دولار لإجراء دراسات حول جدوى نظامين مقترحين للري واصلاح ٢٨ جسراً.

وجاءت الموافقة على التمويل المقدم من خلال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية خلال زيارة رئيسة سري لانكا تشاندريكا كومار اتونجا إلى الكويت. واضافت الصحيفة ان عبد الوهاب البدر نائب المدير العام للصندوق اكد لرئيسة سري لانكا ان دراسات جدوى نظامي الري والتي تقدر تكاليفهما بنحو ٩٣ مليون دولار ستبدأ قريبا وقال ان الكويت اسهمت بالفعل بمبلغ ٧٥ مليون دولار في مشروعات تنمية في سري لانكا.

حدوث ٨٥٠٠ حالة إيدز يوميا في العالم

قدر تقرير دولي معدل الاصابات الجديدة بفيروس نقص المناعة البشرية «الايدز» بثمانية آلاف وخمسمئة حالة يوميا على مستوى العالم.

وذكر التقرير – الذي تلقى برنامج الامم المتحدة الانمائي في «ابو ظبي» نسخة منه من صندوق الامم المتحدة للسكان – ان هذا الوباء الذي يمثل قوة مزعزعة للاستقرار الى حد بالغ ربما يشل امكانات التنمية في دول بأكملها ويهدد بخلق جيل من الايتام خصوصاً في افريقيا وآسيا وامبركا اللاتينية حيث يقدر عدد المصابين بالفيروس بنحو ٢٩,٤ مليون شخص.

ودعا التقرير الى مجابهة هذا الوباء مباشرة من خلال الاستعانة بجميع الموارد الموجودة لتحقيق حماية الاسرة واستقرار المجتمعات والتنمية المتوازنة.

واضاف التقرير ان من بين الأولويات السماح لجميع المعرضين للخطر بحماية انفسهم من الاصابة بفيروس نقص المناعة مما يعني بذل جهد عالمي لاقامة قنوات إعلام واتصال افضل بشأن التوجيه للحماية من هذا المرض واسبابه ولتوفير وسائل الحماية خصوصاً بالنسبة للمرأة لانها اكثر تعرضا للاصابة.

واشار التقرير الى ان ٤٢ في المئة من البالغين المصابين حديثا تتراوح اعمارهم بين ١٥ و٢٤ عاما بينما تمثل عمليات نقل الدم الملوث نسبة تتراوح بين ٣ الى ٥ في المئة من حالات الاصابة بالمرض.

اما تقاسم استخدام معدات حقن ملوثة بالمرض من جانب مستعملي المخدرات فيمثل نسبة تتراوح من ٥ الى ١٠ في المئة من حالات الاصابة، غير ان هذه النسبة تتزايد وتمثل في كثير من انحاء العالم الوسيلة السائدة لانتقال العدوى.

ألمانيا وصراع الحضارات

إعداد: عبدالمنعم أحمد

أصبح الألمان آخر ضحايا الفكرة القديمة القائلة إن الإسلام والغرب لابد وأن يقاتلا بعضهمابعضاً، وهي الفكرة التي عادت مرة أخرى كموضة سائدة، فقد أدى صدور حكم عن إحدى المحاكم الألمانية إلى خروج مظاهرات معادية للألمان في شوارع طهران وإلى زعزعة الأرض تحت أقدام الحوار النقدي، للاتحاد الأوروبي مع إيران.

وفي الوقت نفسه بدأ الأتراك يتهمون المستشار الألماني هيلموت كول بأنه يلمح إلى أن تركيا لا يمكنها الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لأن معظم سكانها من المسلمين.

غير أن ألمانيا لا تهمها تركيا ولا إيران قدر اهتمامها بقضية الوحدة الأوروبية والبقاء قريبة من أمريكا وتوثيق عرى الصداقة مع روسيا.

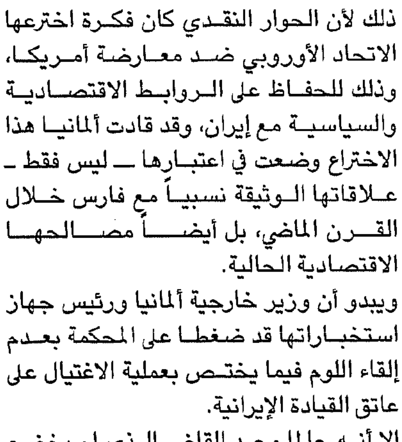
وأولاً وقبل كل شيء الحصول على صفقات تجارية مربحة مع العالم، ولكن في الوقت الذي تعمل فيه ألمانيا على وضع سياسة خارجية أوسع مدى، فإنه قد لا يسعدها أن تكتشف أن صلاتها مع اثنتين من أكبر الدول الإسلامية قد أصابها الضرر.

فقد أعلنت إحدى محاكم برلين أن اغتيال أربعة من الأكراد المعارضين للنظام الإيراني في بار في برلين قبل خمس سنوات مضت قد تم بمصادقة القادة الإيرانيين ومن بينهم «وقد ذكر ذلك ضمنياً إن لم يكن بالاسم» الزعيم الديني الأكبر سيد علي خامنئي.

وقد سحبت الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي – ما عدا اليونان – سفراءها فوراً من طهران، كما عبرت الحكومة الإيرانية عن غضبها حيث ألغت بعثة تجارية كان من المقرر أن تغادر إلى ألمانيا كما أن هناك بوادر على أن المسؤولين الألمان والإيرانيين عملوا معاً من خلف الستار، في محاولة أخيرة لمنع تفاقم تلك الأضرار، غير أن سياسة أوروبا في السابق تجاه إيران ــ مع أنها رسمياً تم تعليقها فقط – تعتبر ــ في واقع الأمر – قد انتهت.

من الحوار إلى الاتهام

ذلك لأن الحوار النقدي كان فكرة اخترعها الاتحاد الأوروبي ضد معارضة أمريكا، وذلك للحفاظ على الروابط الاقتصادية والسياسية مع إيران، وقد قادت ألمانيا هذا الاختراع وضعت في اعتبارها ــ ليس فقط – علاقاتها الوثيقة نسبياً مع فارس خلال القرن الماضي، بل أيضاً مصالحها الاقتصادية الحالية.



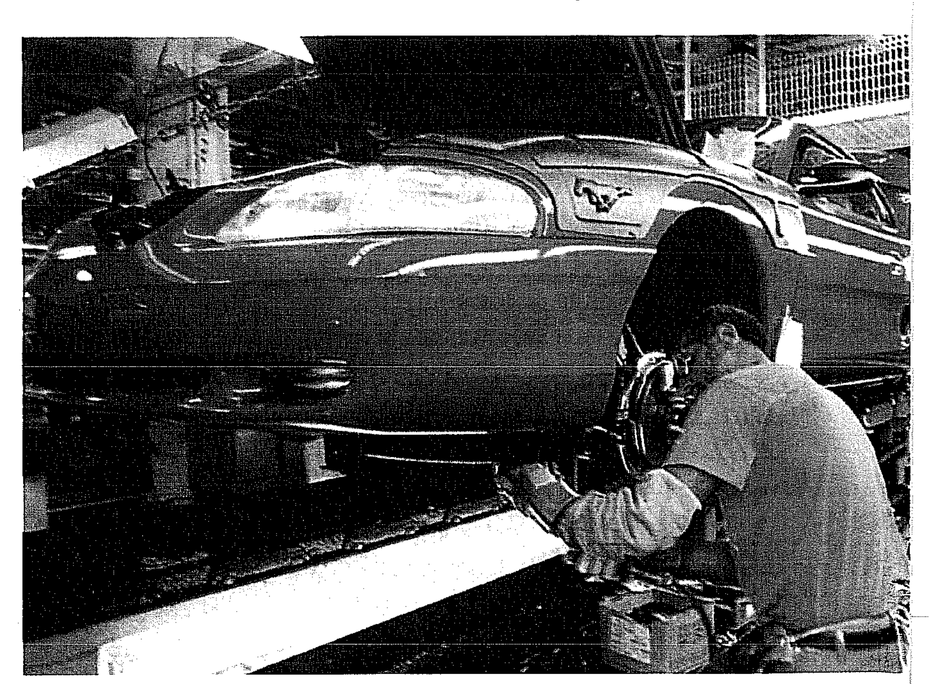
ويبدو أن وزير خارجية ألمانيا ورئيس جهاز استخباراتها قد ضغطا على المحكمة بعدم إلقاء اللوم فيما يختص بعملية الاغتيال على عاتق القيادة الإيرانية.

إلا أنه حالما وجد القاضي الذي لم يخضع لذلك الضغط أن الملالي الذين يحكمون البلاد مسؤولون عن عملية الاغتيال المتعددة، أصبح الحوار في حكم المنتهي، ولأجل استبدال هذا الحوار يرغب كول في أن يتوصل إلى خط وسط يقع بين سياسة أوروبا القديمة، ورغبة أمريكا في عزل إيران، بيد أن المستشار لا يعرف كيف سيتمكن من تحقيق ذلك.

فبالنسبة لألمانيا تعتبر مسألة فرض حظر على إيران أمراً مستبعداً، فألمانيا تعد أكبر مصدر للبضائع إلى إيران، غير أن صادراتها كانت قد انخفضت بصورة حادة منذ عام ١٩٩٢م من مبلغ ٨ بلايين مارك «ما يعادل ٥,١ بلايين دولار» في العام إلى بليوني مارك وهي لا ترغب في حدوث تخفيضات إضافية.

كما أن إيران بدأت تهدد بمحاكمة بعض الشركات الألمانية التي زودت العراق – عدوتها في حرب الخليج خلال الثمانينات – بمعدات يمكن استخدامها في إنتاج الغازات السامة «ويقال أيضاً إن الشركات الألمانية كانت سباقة في عقد صفقات كبرى غير مشروعة لبيع السلاح إلى إيران»، ومع وجود ١٦٠ شركة ألمانية قائمة في إيران، فإن الحكومة الإيرانية لن تجد شيئاً في الشركات التي يمكن أن تستهدفها.

وربما كان الأمر الذي يشغل ذهن المستشار كول أكثر من غيره هو ديون ألمانيا المستحقة لدى إيران والتي تبلغ ١٣ بليون مارك



ألماني.

ويشير المقربون إلى أن هذه المسألة قد تؤدي إلى زيادة تعقيد الجهود الألمانية الهادفة للعمل لكي تصبح عملتها هي العملة الموحدة لأوروبا.

ومع تركيا

وبالإضافة إلى ذلك فإن الأمور يبدو أنها تسير بالسوء نفسه تقريباً مع تركيا، فهناك حوالي مليون تركي يعيشون في ألمانيا والعلاقات بينهم وبين مضيفيهم لم تكن دائماً مريحة فعندما توفي ثلاثة أتراك أخيراً في حريق شب في مسكنهم بألمانيا، اندفع وزير الداخلية التركي قائلاً «لا يمكنهم طردنا من ألمانيا.. لقد بدأوا الآن يشووننا أحياء»، وقد نصح مسؤولون أتراك وزير الخارجية الألماني كلاوس كينكل بأن يزور بلادهم وهو مطاطىء الرأس، وفي الواقع فقد ثبت أن تلك النار لم تكن من فعل الألمان البتة.

غير أن هذا الأمر لم يمنع من نشوب نزاع تركي ـ ألماني آخر، فمن الواضح أن ألمانيا لا ترغب في انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، والسبب الرئيسي ليس ـــ هو لا سمح الله ـ أن تركيا بلد مسلم أو أن رئيس وزرائها الحالي زعيم حزب إسلامي، فالتفسير الذي يقدم هو أن تركيا مازالت تحتاج إلى تحسين معاملتها للأقلية الكردية، وكذا الحال بالنسبة لسجلها العام فيما يتعلق بقضية حقوق الإنسان.

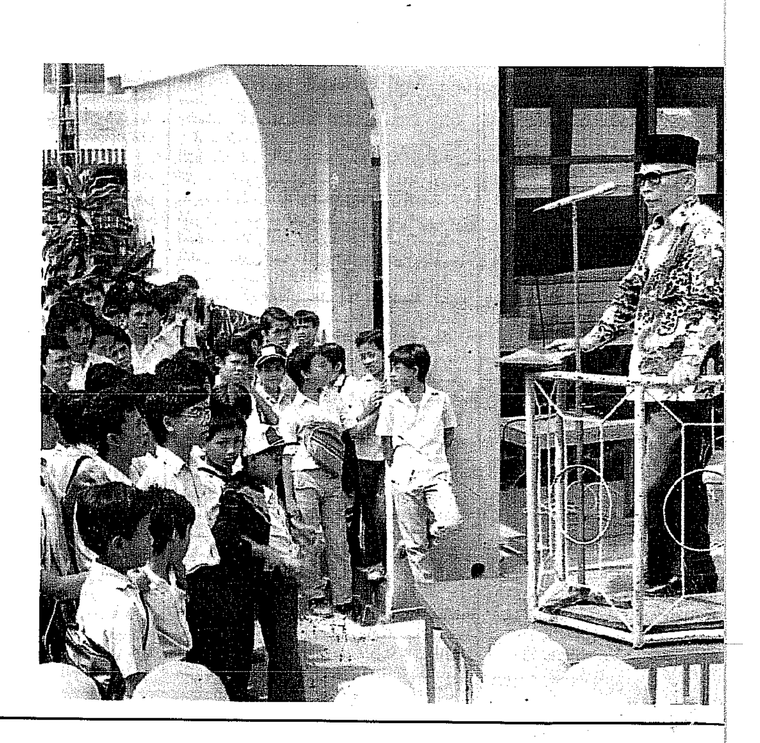
ولسوء الحظ فقد حضر المستشار كول اجتماعات لزعماء الأحزاب المسيحية الديمقراطية في أوروبا حيث جرى التلميح ضمنا إلى أن جزءا من عدم قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي إنما يرجع إلى أنها بلد مسلم.

وقد نقل عن المستشار قوله: «لم أكن أعرف أن الأناضول يعتبر جزءا من أوروبا».

وأغضب هذا القول الأتراك الذين أصبحوا الآن يعتبرون كول عدواً لهم.

كذلك وعن طريق الصدفة كان «صمويل هنتنغتون» البروفيسور الأمريكي ـ الذي أشار في عام ١٩٩٣م إلى خطر «صدام الحضارات» بين الغرب والإسلام ـــ كان في البرلمان الألماني في بون يناقش النزاعات الثقافية عندما تفجر النزاع الألماني ـ الإيراني غير أن هنتنغتون لم يقدم أية حلول فورية، فيما يبدو للمشكلات الحالية التي تواجهها ألمانيا مع الدول الإسلامية، غير أن بعض الألمان يبدون أقل انضباطاً وهم يقولون إنه يجب استبدال سيىء الحظ كينكل الذي وصفت إدارته للسياسة الخارجية بأنها إدارة غير واضحة المعالم.

كيف ستبدو آسيا في عام ٢٠١٥م من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية



كيف ستبدو آسيا في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين؟ من أجل إلقاء نظرة أفضل على المستقبل المجهول، والنقطة التي يجب الانطلاق منها هي: المؤشرات الرئيسية الثلاثة للاقتصاد المستقبلي. والمكانة العسكرية لدول آسيا الرئيسية، والتي تتضمن: الصين، واليابان، وكوريا الموحدة، وأندونيسيا والهند، والمؤشرات الثلاثة هي: الناتج الإجمالي المحلي، نصيب الفرد في الناتج الإجمالي المحلي، ورأس المال العسكري «التكلفة، المشتريات العسكرية الجديدة مضافاً إليها الإنفاق على البحوث وبرامج التطوير العسكري مطروحاً منها التخلص من المعدات العسكرية القديمة.

وجميع التقديرات التي تناقش هنا مبنية على دراسة أصدرتها أخيرا مؤسسة «راند» للدراسات السياسية، باستخدام أسعار تبادل العملات التي تعكس القوة الشرائية الحقيقية لعملات الدول المعنية معبراً عنها بأسعار الدولار الأمريكي في عام ١٩٩٧م، بدلاً من الأسعار الحالية الرسمية لهذه العملات.

ويتوقع أن يبلغ الناتج الإجمالي المحلي للصين عام ٢٠١٥م «دون حساب هونغ كونغ أو تايوان» ما بين «١١ ـــ ١٢» تريليون دولار مقابل «٥ تريليون دولار حالياً»، هذا الإحصاء معدل لسيناريوهين

متبادلين للنمو في الصين في الفترة الفاصلة، الأول: نمو سريع وثابت والثاني: نمو بطيء ومتقطع، وحتى بالنسبة لسيناريو النمو المرتفع فقد توقعنا هبوطاً في أسعار النمو السنوي في الصين، وذلك من المعدلات المرتفعة بشكل كبير للنمو في الثمانينات والتسعينات إلى ما يعادل «٤ ـ ٥» في المئة.

مقارنة مع تقديرات البنك الدولي للنمو السنوي في الاقتصاد الصيني والبالغة (٨) في المئة في عام ٢٠١٠م.

هذا الهبوط سينجم عن عدة عوامل: الناتج الإجمالي المحلي المرتفع في البداية. لأن وضع نسبة محددة للنمو يتطلب تحقيق أرباح سنوية كبيرة. سياسة الحكومة المصممة على نمو واضح من أجل تحويل الثروة من المقاطعات الشرقية مرتفعة النمو إلى المناطق الغربية فقيرة النمو والانخفاض البسيط في تدفق رأس المال إلى الصين من مصادره في أنحاء العالم.

التنبؤ المماثل بالنسبة للناتج الإجمالي المحلي للولايات المتحدة أيضاً «١١ ـ ١٢» تريليون دولار مقارنة مع «٧,٥» تريليون دولار حالياً، التقديرات المشابهة بالنسبة للدول الآسيوية الرئيسية الأخرى مبينة في جدول مرفق. «المعدلات الحالية للناتج الإجمالي المحلي هي «٣» تريليون دولار في اليابان» ، «١,٣» تريليون دولار في الهند، «٤٣٠» بليون دولار في كوريا و «٥٤٥» بليون دولار في أندونيسيا.

وباستخدام نموذج التنبؤ نفسه، قدرت الدراسة التي أعدتها مؤسسة «راند» بأن إجمالي الناتج المحلي لألمانيا سوف يصل إلى «٢,٧» تريليون دولار في عام ٢٠١٥م، مقارنة مع «١,٧» تريليون دولار حالياً، إذا افترضنا أن إجمالي الناتج المحلي لألمانيا سيبقى بمعدل ٤٠٪ من إجمالي الناتج المحلي لجميع دول الاتحاد الأوروبي، فإن ناتج الدول الآسيوية الرئيسية الخمس سيعادل أكثر من ٤٥٪ من الإنتاج العالمي، والولايات المتحدة ٢٥٪ والاتحاد الأوروبي ١٥٪.

الاقتصاد الصيني الشبيه تماماً بالاقتصاد الأمريكي الذي سيعادل ربع الإنتاج العالمي في عام ٢٠١٥م، سيكون أكبر مرتين من اقتصاد اليابان، وسوف يبلغ إجمالي الناتج المحلي لكوريا نصف إجمالي الناتج المحلي لليابان، أما إجمالي الناتج المحلي للهند فسيعادل في عام ٢٠١٥م نحو ٦٠٪ من إجمالي الناتج المحلي للاتحاد الأوروبي.

وبالمقابل فإن نصيب الفرد في تقديرات إجمالي الناتج المحلي يرسم صورة مختلفة تماما، وسوف يصل نصيب الفرد في الناتج المحلي الياباني إلى نحو ٣٦٠٠٠ ألف دولار، وهو نفس الشيء بالنسبة لنصيب الفرد في الولايات المتحدة وألمانيا وأربعة أضعاف نصيب الفرد في الصين، وسيصل نصيب الفرد في كوريا الموحدة، البالغ عدد سكانها ٨٠ مليون نسمة نحو ثلثي نصيب الفرد في الدول الغنية، بينما لا يتجاوز نصيب الفرد في الهند ٤٠٪ من نصيب الفرد في الصين وهو ما يعادل تقريباً نصف نصيب الفرد في أندونيسيا نحو ٦,٦٠٠ دولار.

المؤشر الثالث، رأس المال العسكري، مقياس جزئي وغير فعال لمعرفة القدرات العسكرية الفعلية التي تعتمد على التدريب والمعنويات والقيادة والتحكم للقوات العسكرية، وهذه في الغالب لا تدل كثيراً على النوايا أو الأهداف التي قد تستخدم من أجلها هذه القدرات، لكن ورغم محدوديتها يعد تراكم رأس المال العسكري مؤشرا بارزا عن القدرة العسكرية، وقد وردت تقديرات رأس المال العسكري لعام ٢٠١٥م في الجدول المرفق باستثناء ما يتعلق بالولايات المتحدة.

إن جميع هذه الأرقام تمثل زيادة كبيرة عن مثيلاتها في عام ١٩٩٧م.

فهي مضاعفة بالنسبة للصين واليابان وأربعة أضعاف بالنسبة للهند، أما في الولايات المتحدة فهي نحو ٢٥٪ أي أدنى من المعدل الحالي، ويعود ذلك إلى الانخفاض السنوي في قيمة قسم كبير من العتاد العسكري الأمريكي المتراكم بما يفوق المشتريات العسكرية خلال الفترة الفاصلة.

هذه التقديرات حول الناتج الإجمالي المحلي ونصيب الفرد في الناتج المحلي ورأس المال العسكري توفر أجوبة جزئية للسؤال حول ما ستكون عليه آسيا في عام ٢٠١٥م:

ـ القدرات الاقتصادية والعسكرية للدول الآسيوية الرئيسية ستنمو بشكل مطرد، مقارنة مع قدرات بقية دول العالم.

ـ سيصبح إجمالي الناتج المحلي ورأس المال العسكري للصين كبيراً نسبياً، بينما سيبقى نصيب الفرد في إجمالي الناتج المحلي منخفضاً نسبياً.

ـ ستزيد الهند من قدراتها الاقتصادية والعسكرية بشكل كبير.

ـ ستزيد القدرات العسكرية والاقتصادية لكوريا الموحدة مقارنة مع اليابان.

ـ من المحتمل أن يبقى وضع الولايات المتحدة الاقتصادي والعسكري بارزاً في آسيا، رغم أن معدله النسبي سينخفض.

ـ ستتأثر مكانة الصين في المنطقة بعدة عوامل منها الانخفاض المتوقع في نسبة نموها خلال العقد الأخير والنفوذ المضاد المتمثل باليابان والهند، وكوريا وأندونيسيا والولايات المتحدة.

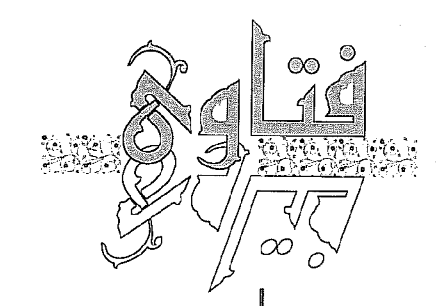
يجب أن نكون واثقين بأن هناك عوامل مهمة أخرى ستؤثر على مستقبل آسيا.

وستدل التجارة والاستثمارات على المستقبل وتؤثر فيه، بالإضافة إلى الشخصيات التي ستتولى الزعامة في كل من الصين وأندونيسيا.

وكذلك إدارة الصين لهونغ كونغ، والعلاقة بين تايوان والوطن الأم، وكذلك عملية إعادة توحيد الكوريتين.

ومع ذلك فإن هذه المؤشرات هي الكمية الرئيسية التي ستوفر نقطة انطلاق جيدة لمعرفة ما سيكون عليه مستقبل آسيا.

○ وول ستريت جورنال



منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حكم راتب من يعمل موظفاً في البنوك الربوية

● تقدم خاطب لابنتي وهو يعمل في البنك الأهلي وسيرته حسنة ويصلي ويلتزم بدينه حسب ما أفادنا به الناس، وانه قدم عدة طلبات عمل إلى جهات مختلفة فما تيسر له إلا هذا العمل فهل راتبه الذي يتقاضاه من عمله هذا حلال أم حرام؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

– العمل في المؤسسات التي تتعامل بالربا إن كانت طبيعته تقتضي مباشرة الربا مثل كتابته وحساب فوائده وقبض مبالغه وغير ذلك من أموره فهو حرام. لحديث ابن مسعود قال:« لعن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه» رواه ابو داود، وان كان لايقتضي مباشرة الربا فلا بأس به اذا لم يجد غيره وكان محتاجاً اليه وإلا فهو مكروه لما فيه من نوع مساعدة على الترابي، ومادام الخاطب حسن السيرة وملتزما بدينه، وأنه قدم عدة طلبات الى جهات مختلفة فما تيسر له إلا هذا العمل– كما ورد في الاستفتاء– فلا بأس بتزويجه. والله اعلم.

وتنصحه اللجنة بمواصلة البحث عن عمل آخر يغنيه عن عمله هذا بعيدا عن الشبهات.

حكم استخدام الملاعق المصنوعة من الفضة

●ارجو منكم ايضاح الحكم الشرعي باستخدام الملاعق والشوك الفضة على موائد المسلمين، خصوصاً بعد ان لاحظنا انتشار هذه الظاهرة في معظم الفنادق والمطاعم الكبرى، ارجو إتباع الحكم بالدليل الشرعي.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

–اتفق الفقهاء على ان الأكل والشرب بالأواني المصنوعة من الذهب او الفضة حرام للنساء وللرجال على سواء، وكذلك استعمال الملاعق والشوك من الذهب او الفضة في الطعام، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١– ماروته أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– ان النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:« الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» متفق عليه.

٢– مارواه البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال:«نهانا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الشرب في الفضة فإنه من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة» متفق عليه.

٣– مارواه حذيفة رضي الله تعالى عنه قال:« نهانا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ان نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها» اخرجه البخاري.

وقال النوري: قال اصحابنا:اجمعت الأمة على تحريم الأكل والشرب وغيرهما من الاستعمال في إناء ذهب أو فضة. وعليه فإن اللجنة ترى حرمة الأكل في صحون الذهب والفضة، وكذلك الملاعق والشوك وغيرها من أدوات الطعام إذا كانت من الذهب او الفضة في المطاعم وغيرها.



حكم المرور أمام المصلي

●لدى والدتي طفلان معوقان عقليا، وعندما تريد أداء فريضة الصلاة يمرون أمامها ولايقومون بالاستماع إلى التوجيهات، ولا استطيع قفل باب الغرفة عليها لاداء الفريضة مع العلم انها تصلي على سجادة للصلاة. وشكراً.

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

–على المصلي ان يحتاط لعدم مرور احد امامه وهو يصلي، ليوفر لنفسه بذلك من الخشوع ما أمكن، وذلك بالصلاة إلى حائط قريب، أو عمود قريب، او يضع سترة أمامه فوق مكان سجوده كالكرسي والعصا، فإذا مر أمامه أحد دون السترة، لزمه الإشارة اليه، ومنعه من ذلك بقدر الإمكان، فإذا لم يمتنع كان المار آثما إن كان مكلفا، وإن لم يكن مكلفاً كالأطفال ونحوهم فلا إثم عليه لعدم التكليف، ولا أثر لذلك على صلاة المصلي مادام قد اتخذ السترة المناسبة، فإذا لم يتخذ سترة مناسبة ومر أمامه أحد كان شريكا له في الإثم إلا ان الصلاة صحيحة والله تعالى اعلم.

حكم رفع صوت المرأة بالغناء

● ماحكم إحضار الطقاقة للأعراس، وماهي أنواع آلات الطرب التي يجوز استخدامها، وماهي الحدود التي يجب ان تتقيد فيها الطقاقة من هذه الآلات والغناء الذي تتغنى به، وماحكم ارتفاع صوتها بالغناء إلى حد ان يسمعه الرجال، وهل يجوز للرجال سماع صوتها؟ الرجاء بيان الحكم مع الدليل؟

● ماحكم التزين بثوب العرس بالنسبة للعروس وهل يعتبر هذا الثوب من ثياب الشهرة؟ وهل يعتبر لبس هذا الثوب من التشبه بالغرب واهل الكفر؟ وهل تعتبر تكلفة اجرة الثوب من الإسراف حيث انه يؤجّر في الليلة بمبلغ لايقل عن مئتي دينار؟ الرجاء ذكر الدليل.

● من عادة الأفراح التي نقيمها هو دخول المعرس على العروس في صالة الأفراح الخاصة بالنساء، وجلوسه عند عروسه قليلا، لتفرح به والدته واهله وتلتقط لهم بعض الصور للذكرى، فهل هذا الفعل جائز وهو دخول رجل على مجتمع من النساء مع العلم بأنهن بكامل زينتهن- متعطرات ومتمكيجات- ولكن قبل دخول المعرس ينبه النساء بذلك حتى يتغطين ويتحجبن ولكن هناك بعض النساء هداهن الله لايتحجبن ويبقين على زينتهن فهل يجوز دخول المعرس عليهن؟ وهل إذا دخل المعرس تؤمر الطقاقة بالتوقف عن الغناء؟ الرجاء ذكر الدليل على ذلك .

● من المعروف ان الاحتفالات التي تحدث في الاعراس يخالطها شيء من المنكر سواء باستخدام بعض الآلات التي لايجوز استخدامها او بفحش الكلمات التي يتغنى بها وكذلك الصخب الذي يصاحب ذلك وغير ذلك من المنكرات .

والسؤال هل يجوز احضار طقاقة لإقامة الحفلات مع الاشتراط عليها باستخدام «الطار» فقط من الآلات وتجنب الغناء الفاحش؟ وهل يعتبر المبلغ الذي يدفع لها من المال الذي يساعدها على المنكر الذي تقيمه في حفلات أخرى وتخالطها المنكرات السابقة، او يكون هذا المبلغ عوناً لها على الاستمرار في هذا الطريق؟

الرجاء إفادتنا بالحكم.

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

-لابأس في العرس بحضور من يبهج المشاركين فيه بما ليس محرماً ولامكروهاً، كالغناء الخالي عن الفحش والميوعة والألفاظ المثيرة، والذي لايسمعه الاجانب، ويستحب استعمال الدف فيه، للحديث الشريف:«أعلنوا هذا النكاح واجلعوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وليولم أحدكم ولو بشاة » رواه الترمذي والبيهقي.

-يكره استئجار امرأة أوغيرها للغناء في العرس، كما يكره للمسلمة أو المسلم ان يمتهن الغناء ويجعله مهنة يرتزق منها، لانه لايخرج عن كونه من اللهو.

- لايجوز التبذير في المال وهو وضعه في غير موضعه، كما يكره التقتير فيه وهو الامتناع عن إنفاقه في موضعه ومدار ذلك على العرف، والمستوى الاجتماعي، ويدخل في ذلك ثوب العرس المسؤول عنه،والمطلوب هو التوسط قال سبحانه:﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾[الاسراء/٢٧] سواء أكان ذلك في الملبس أم المأكل أم المسكن او غير ذلك.

- يمتنع على الرجال ان يدخل على جماعة النساء الاجانب عنه إذا كن بغير حجاب سواء أكان عريساً او غيره الا لضرورة وليس العرس منها.

- الخيلاء والتكبر والتفاخر ممنوع شرعاً بكل صوره في العرس وغير سواء كان ذلك في اللباس او الزينة أوالطعام او غير ذلك لقوله تعالى:﴿ ولاتمش في الارض مرحاً إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ [الاسراء/٣٧].

-يمتنع على المرأة التطيب بما يظهر ريحه في غير بيتها لقول النبي صلى الله عليه وسلم:« أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية» اخرجه الترمذي وصححه.

- لابأس بتزين العروس لعريسها بالثياب وغيرها من غير إسراف ولاتفاخر، ومن غير تشبه بالرجال او بغير المسلمين او بالفسقة لما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:« لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري، وقوله:« من تشبه بقوم فهو منهم» رواه احمد وابو داود والطبراني، وعلى ذلك فإن ثوب الزفاف مباح اذا خلا من المغالاة والتفاخر في حدود مايجري به العرف في الأعراس من غير قصد التشبه بالكفار.

ماحكم قراءة الكف

●يرجى الاطلاع على الانموذج المرفق وهو عبارة عن طريقة مستحدثة لقراءة الكف عن طريق الكمبيوتر. فما حكم الشرع في هذا الأمر؟

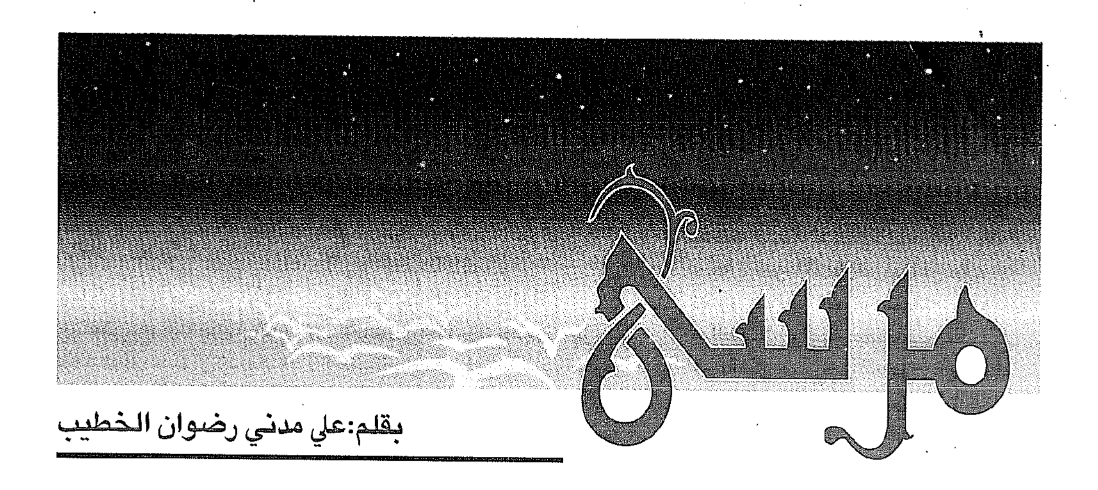
اطلعت اللجنة على الأنموذج المرفق المعنون بـ « آخر ماتوصل إليه علم الكمبيوتر» «البرنامج الصيني الجديد، التحليل الشامل»

ثم اطلعت اللجنة على المرفق الآخر والذي يتضمن طريقة الوصول الى النتائج.

وبعد الإطلاع والمناقشة أجابت اللجنة بالتالي:

- ادعاء علم الغيب والمستقبل يعد عملاً من اعمال الكهانة التي حرمها الإسلام، وهذه البرامج لون من ألوان الكهانة والدجل والإخبار عن المستقبل، وذلك يؤثر على عقائد الناس، والاسلام يحرص على ان تبقى عقيدة المسلم صافية نقية من كل تضليل، وقد وردت احاديث تنهي عن تصديق امثال هؤلاء ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم :« من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم».

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية :
٢٤٤٤٤٠٥
٢٤٦٦٩١٤
٢٤٢٨٩٣٤
وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم: علي مدني رضوان الخطيب

وقفة للتأمل

هنـا يرسـو القلـم، ينفـض عن كـاهلـه وطأة الأيـام وازدحـام الأعمال وهموم الـواقـع، فيبـث القـارىء مـا يتفـاعل في نفسـه.. وهي زاويـة رأي مفتوحـة الـذراعين للجميـع..

في الوقت الـذي يتحرك فيه الظالم بحريـة وانتشار تتقيد حركـة الآلاف من اصحاب المبادىء وذوي الهمم، وفي الوقت الذي ينام فيـه يبقى الكثيرون ممن قهرهم بظلمه بلا نوم او راحـة، وفي الوقت الذي يمرح فيـه ويطوي الارض تذوب نفـوس المقهورين من البشر، وتختنق ارواحهم في صدورهم، ويموتون في اليوم مرات ومرات..

وكلما خلا العصر مـن وجود هـؤلاء كانت حيـاة الناس اقـرب الى ربهم لانهم يخلون بأنفسهم وجـوارحهم من هـواجس التفكير فيما يقض مضجعهـم او ينغص عيشـهم ويكدر صفوهم ويجعلهم كالأشباح في صورة الأرواح.

وكلما توجهت الى مكان من العالم او بقعـة من الارض خلت من ظالم أيقنت ان الحياة بغير هؤلاء جميلة عظيمة.. جميلة لان المكدودين يتنسمون عبيرها دونما سخط ولاكدر وهي عظيمة لانها طريق من طرق الجنان ومفازة يجتازها العبد ليحصل من ورائها على الثمرة النـاعمة والنعمة الخالدة والحظ الأوفـر الذي لايمتنع ولاينقطع. ويالشقـاء قوم وقعوا في قبضة الظالمين. لان الظالم يائس كنود قاس متمرد مقاوم للطبع راغب في عيش -أي عيش- حتى ولـو كـان على حسـاب الملايين من البشر لانهم لم يُعـدّوا عنـده غير قطعان من الغنم يذبح مايشاء منهم متى وكيف ما شاء.

ومن هنـا نـدرك السر في ان الظـالم يتألم كثيرا في معيشتـه او اسلـوب تفكيره وفي مخالطته لغيره وكأنـه يقضي ايامـه في سجن عالي الاسـوار.. كثيف الجدران قلما يتركه الألم برهة، وقلما يستريح او يهدأ او يستقر أو يستشرف للحياة معنى، وتزدهي الالوان امامه وتتناسق الاشكال لكنها تبقى بلا معنى ولامبنى فتبدو غير مريحة للروح والنفس فقد اختلفت الألـوان.. وتشابكت الخطـوط وضاعت كل المعاني- وبـرز الوجـه الكالح مشرّباً بالسواد القاتم المخيف وانطلقت من الجسـد رائحة نتنة تؤذي من حولها وابتعد الصحاب والرفاق.. واصبح مؤتورالنفس، شقي الذات، مكدود البدن.. تائه الفكر.. قليل الحيلة.. ضعيف النفس، مـردود الرأي، ساقط الهمـة، قليل الأعوان، مكروها ممقـوتا، مبغوضا مهجورا، يبحث عن موت عاجل بعد ان فاته كل جميل وشريف. ■